مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

الجزء الثاني

مكتبة المعارف
الرياض

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

مصاعد النظر

للإشراف على مقاصد السور

تأليف

الحافظ المفسر المؤرخ برهان الدين أبي الحسن
ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين
أستاذ التفسير المساعد بجامعة الإمام
محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

الجزء الثاني

مكتبة المعارف
الرياض

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

مكتبة المعارف - ص.ب: ٣٢٨١ - هاتف ٤٠١٣٧٠٨ - ٤٠٢٣٩٧٩

الرياض - المملكة العربية السعودية

سورة البقرة

مدنية إجماعاً .

قال النجم النسفي[1] : ونزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾[2] وهي آخر آية نزلت .

وقال الشمس الأصفهاني : قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه السورة أول ما نزل بالمدينة ، نزلت في مُدَدٍ شتى .

وقيل : فيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾[2] الآية .

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد، بن علي، بن لقمان، النسفي، نجم الدين، مفسر، لغوي، محدّث، أصولي، فقيه ولد بنسف سنة ٤٦١ ه، ورحل إلى بغداد، وسكن سمرقند، وبها توفي سنة ٥٣٧ هـ، له: التيسير في تفسير القرآن، وشرح صحيح البخاري.
راجع: معجم المؤلفين ٧/٣٠٥.

(٢) آية ٢٨١.

وقيل : هذه الآية ليست بمدنية ، نزلت يوم النحر في حجة الوداع ، انتهى .

وهو قول من لم يتحقق الفرق الذي تقدم بين المكي والمدني ، على أنه قد حكاه في سورة النساء ولم يعتمده ، ثم حكاه في سورة المائدة واعتمده ، والله الموفق .

وتسمى : السنام ، والذِّروَة ، والزهراء ، والفسطاط

عدد آياتها

وعدد آيها مائتان وثمانون كوفي ، وسبع بصري ، وخمس فيما عداهما .
اختلافها : إحدى عشرة آية .

انفرد الكوفي بعد ﴿ **الم** ﴾ [(١)] ، والشامي بعد ﴿ **ولهم عذاب عظيم** ﴾ [(٢)] والبصري بعد ﴿ **إلا خائفين** ﴾ [(٣)] ، ﴿ **قولاً معروفاً** ﴾ [(٤)] ، والمدني الأول بعد ﴿ **من الظلمات إلى النور** ﴾ [(٥)] ، والمدني الأول والمكي بعدِّ ﴿ **يسئلونك ماذا ينفقون** ﴾ [(٦)] .

والكوفي والشامي والمدني الأخير بعدِّ ﴿ **لعلكم تتفكرون** ﴾ [(٧)] .
والمدني الأخير والبصري والمكي بعدِّ ﴿ **الحي القيومُ** ﴾ [(٨)] .

وأسقط الشامي ﴿ **مُصْلِحُون** ﴾ [(٩)] ، والمدني الأول ﴿ **واتقون يا أولي**

---

(١) آية ١ .
(٢) آية ٧ .
(٣) آية ١١٤ .
(٤) آية ٢٣٥ .
(٥) آية ٢٥٧ .
(٦) (٧) آية ٢١٩ .
(٨) آية ٢٥٥ .
(٩) آية ١١ .

الألباب ﴾ (١) والمدني الأخير ﴿ في الآخرة من خَلَاق ﴾ (٢) .

ما يشبه الفاصلة فيها

وفيها مُشْبِهُ الفاصلة (٣) : اثنا عشر .

---

(١) آية ١٩٧ .

(٢) آية ٢٠٠ .

(٣) الفاصلة هي : الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ليحسن بها الكلام، وليس المراد بها رؤوس الآيات، لأن رأس الآية نهايتها التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية، أما الفاصلة فليست تحتاج إلى وضع تلك العلامة، ولذا فقد قيل: كل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين.

والفاصلة هي التي تسمى في كلام الأدباء والبلغاء سجعاً على ما هو معروف في علم البديع، ولكن كثيراً من العلماء، يأبى إطلاق هذه التسمية على مقاطع القرآن الكريم سُمُوّاً به عَنْ كلام المخلوقين، وفرقوا بين الفواصل وبين السجع، فقالوا: إن الفاصلة في القرآن هي التي تتبع المعنى، ولا تكون مقصودة لذاتها.

أما السجع فهو الذي يقصده المتكلم، ويجعل المعنى تابعاً له، لما فيه من موالاة الكلام على وزن واحد.

وقد انبرى القاضي أبو بكر الباقلاني للرد على من زعم أن في القرآن سجعاً، فقال في كتابه «إعجاز القرآن»: وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف؟. والسجع مما كانت كهان العرب تألفه، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تخالف النبوات، بخلاف الشعر، وما توهموا أنه سجع باطل، لأن مجيئه على صورته لا يقتضي كونه هو، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدّي بالسجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن، لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ. اهـ.

وتأتي الفاصلة في القرآن على أنواع:

١ ـ الفواصل المتماثلة، كقوله تعالى: ﴿والطور، وكتاب سطور، في رق منشور، والبيت المعمور﴾، وقوله: ﴿فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس والليل اذا عسعس، والصبح اذا تنفس﴾.

منها أحد عشر موضعاً لم يعدها أحد بالإجماع .

والثاني عشر جاء فيه خلاف .

أول ﴿ من خَلاق ﴾ [1] ، ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ [2] ، ﴿ هم في شِقاق ﴾ [3] ، ﴿ والأنفس والثمرات ﴾ [4] ، ﴿ في بطونهم إلا النار ﴾ [5] ، ﴿ طعامُ مسكين ﴾ [6] ، ﴿ من الهُدَى والفرقان ﴾ [7] ، ﴿ والحرماتُ قِصاص ﴾ [8] ، ﴿ عند المَشْعَرِ الحَرام ﴾ [9] ، وأول ﴿ ماذا ينفقون ﴾ [10] ، ﴿ الخبيثَ منه تُنْفِقُون ﴾ [11] .

= ٢ ـ الفواصل المتقاربة في الحروف، مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾. لتقارب ما بين الميم والنون في المخرج.

٣ ـ الفاصلة المتوازية، وهي أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع مثل قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة﴾.

٤ ـ الفاصلة المتوازنة، وهي مراعاة الوزن في الكلمة الواقعة تمام الفاصلة مع المخالفة في الحروف، مثل قوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة﴾ وقوله: ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾.

يراجع: البرهان للزركشي ١/٥٣.

مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٥٣.

(١) الآية ١٠٢.

(٢) الآية ١١٣.

(٣) الآية ١٣٧.

(٤) الآية ١٥٥.

(٥) الآية ١٧٤.

(٦) الآية ١٨٤.

(٧) الآية ١٨٥.

(٨) الآية ١٩٤.

(٩) الآية ١٩٨.

(١٠) الآية ١١٥.

(١١) الآية ٢٦٧.

والثاني عشر : ﴿ ولا شَهِيدٌ ﴾ [١] ، وغلط من عزاها إلى المكي .

وفيها مما يشبه الوسط ، وهو آيتان اثنتان .

﴿ كن فيكون ﴾ [٢] ، ﴿ ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون ﴾ [٣] .

رويها : سبعة أحرف ، يجمعها قولك : قم لندبر .

القاف : ﴿ من خلاق ﴾ [٤] ، واللام : ﴿ السبيل ﴾ [٥] .

مقصودها

والمقصود من هذه السورة : إقامة الدليل على أن الكتاب هدى لِيُتَّبَع في كل حال [٦] ، وأعظم ما يهدي إليه الايمـان بالغيب ، ومجمعـه : الإيمان بالآخرة ، ومداره : الايمان بالبعث ، الذي أعربت عنه قصة البقرة ، التي مدارها الإيمان بالغيب ، فلذلك سميت بها السورة ، وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام ، لأنها في نوع البشر ، ومما تقدم [٧] في قصة بني اسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق ، وكذا ما شاكلها . لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر ، بمباشرة من كان من آحاد الناس ، فهي أدل على القدرة ، ولا سيما وقد أُتْبعتْ بوصف القلوب والحجارة ، بما عم المهتدين بالكتاب والضالين ، فوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة ، ووصف الحجارة بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعه إلى عباد الله .

---

(١) الآية ٢٨٢ .
(٢) الآية ١١٧ .
(٣) الآية ١٤٦ .
(٤) الآية ٢٠٠ .
(٥) الآية ١٠٨ .
(٦) في نظم الدرر: في كل ما قال.
(٧) في نظم الدرر: نقدمها.

وفيها إشارة إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من أولي العزم من الرسل عليهم السلام يرشدنا في كل أمر يحزبنا ، وشأن ينوبنا ، إلى صواب المخرج منه ، فمن أعرض خاب ، ومن تردد كاد ، ومن أجاب اتقى وأجاد .

وسميت بالزهراء : لا يجابها إسفار (١) الوجوه في يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن في شك مريب ، فيحال بينه وبين ما يشتهي . ولأنها سورة الكتاب الذي هو هادٍ ، والهادي يلازمه النور الحسي المدرك بالبصر ، أو المعنوي المدرك بالبصيرة .

وبالسَّنَام : لأنه ليس في الإيمان بالغيب ـ بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبني عليه كل خبير ، والتاج الذي هو نهاية السير (٢) ، والعالي على كل غير أعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة .

ولأن السنام أعلى ما في المطية (٣) الحاملة ، والكتاب الذي هي سورته ، هو أعلى ما في الحامل للأمة (٤) في مسيرهم إلى دار القرار ، وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهم ﷺ .

وبهذا علم ـ أيضاً ـ سر التسمية بالذروة وبالفسطاط ، والفسطاط : هو الخيمة ، والمدينة ، والجماعة ، ولا شك أن الكتاب من الدين بتلك المنزلة ، ولا سيما وفي سورته الدعائم الخمس الخطيرة ، وهو : الجهاد ، وغير ذلك (٥) .

---

(١) في نظم الدرر: لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة ولإيجابها إسفار الوجوه. . . الخ.

(٢) في نظم الدرر: الذي هو غاية السير.

(٣) في نظم الدرر: ما في بطن المطية.

(٤) في نظم الدرر: للأمر.

(٥) وبجانب ما ذكر الشيخ فقد تناولت السورة جوانب كثيرة، وموضوعات عدة أبرزها:
تناولت الآيات الأولى منها الحديث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين =

فوضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر والنفاق، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

٢ ـ ثم تحدثت عن بدء الخليفة، فذكرت قصة أبي البشر آدم عليه السلام وما كان عند تكوينه من أحداث ومفاجآت، مما يدل على تكريم الله لآدم وبنيه.

٣ ـ ثم تحدثت السورة بإسهاب عن أهل الكتاب، وبخاصة يهود بني اسرائيل لأن اليهود كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة، وبذلك تكون العناية واضحة بتنبيه المسلمين الى خبث اليهود ومكرهم، وما جبلت عليه نفوسهم من اللؤم والغدر، ونقض العهود، وخيانة المواثيق، الى غير ذلك من القبائح والمفاسد التي ارتكبوها عبر العصور.

٤ ـ وفي كثير من آيات السورة يبرز الجانب التشريعي الذي كان من أهم مقاصد السورة، والذي به تنتظم حياة المسلمين، وهم في بداية الدولة الإسلامية، فقد كانوا في أمس الحاجة الى التشريع الإلهي الذي يسيرون عليه في حياتهم في العبادات والمعاملات. ولذا فقد تناولت السورة أحكام الحج والعمرة، وأحكام القصاص والوصية، وأحكام الصوم بنوع من التفصيل، وأحكام الجهاد في سبيل الله، وقضية الخمر والميسر، وجانباً كبيراً من شئون الأسرة فيما يتعلق بها من الزواج والطلاق والرضاع والعدة، وتحريم نكاح المشركات والمشركين، وحظر معاشرة النساء جنسياً وهن في حالة حيض أو نفاس، الى غير ذلك من الأحكام الهامة التي تنظم مسيرة الأسرة، وتحوطها بسياج من الأمن والاستقرار. وناهيك عن مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة المكرمة، وارشاد المسلمين الى الجوانب الحق في مواجهة خصومهم.

٥ ـ ثم تناولت السورة قدراً طيباً من التشريعات المالية التي تنظم التعامل بالمال بالطرق المشروعة والمباحة، فذكرت تحريم الربا وبيان ضرره وندبت الى المعاملة بالحسنى برد ما زاد على رأس المال الى أصحابه وإنظار المعسر أو التجاوز عنه، وذكرت أحكام المداينة من كتابة الدَّيْن والاشهاد عليه أو الرهان مما يحفظ حق الدائن والمدين، وندبت الى إقامة الشهادة وحذرت من التهاون فيها.

٦ ـ ثم ختمت السورة بتوجيه المؤمنين الى التوبة والانابة، والتضرع الى الله جل وعلا برفع الأغلال والآصار، وطلب النصر والعون منه وحده على أعدائهم من أهل الملل المخالفة للإسلام.

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرار كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تُحَمِّلْنا مالاً =

فضائلها

وأما فضائلها : فروى مالك في الموطأ ، أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها [١] .

أي يتعلم فرائضها وأحكامها ، مع حفظه لها .

وروى الطبراني بإسناد ـ قال الهيثمي : فيه عدي بن المفضل ، وهو ضعيف [٢] ـ عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، لا يدخله الشيطان تلك الليلة .

وروى الطبراني في الكبير بسند فيه عاصم بن بهدلة ـ قال الهيثمي : وهو ثقة وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح [٣] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لكل شيء سنام ، وسنام القرآن سورة البقرة ، وان لكل شيء لُبَاباً ، وأنَّ لباب القرآن المفصَّل ، وأن الشياطين لتخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وان أَصْفَرَ البيوت ، للجوف الذي ليس فيه من كتاب الله شيء .

وهو مرفوع حكماً .

= طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.
وهكذا بدأت السورة ببيان أوصاف المؤمنين، وختمت ـ أيضاً ـ ببيان أوصافهم، وذكر دعائهم، ليتناسق البدء مع الختام، ويلتئم شمل السورة أفضل التئام.
: ظلال القرآن ١/٢٧. صفوة التفاسير ١/١٥.

(١) الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في سورة البقرة ١/٢٠٥.
وعلق عليه الزرقاني في شرح الموطأ ١/٣٧٠ بقوله: ليس ذلك لبطء حفظه معاذ الله، بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها.
قال: وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً.

(٢) مجمع الزوائد ٦/٣١٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥٩.

وفي بعض طرقه : ما خلق الله من سماء ، ولا أرض ، ولا سهل ، ولا جبل أعظم من آية الكرسي .

وهو ما تمسك به المبتدعة في قولهم بخلق القرآن ، ولا متمسك فيه ، لأن الخلق وقع على المخلوقات التي سماها ، لا على الآية ، كما لو قلت ، لا سيف أمضى من القدر لم يلزم منه أن يكون القدر سيفاً .

ومنه : « لا شخص أغير من الله » . الشخص غيره ، وهو واضح .

وبمثل (هذا) [(١)] فسره الأئمة : ابن عيينة وأحمد ، وأبو عبيد ، رحمهم الله .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : يا رسول الله ، إنّا نقرأ من القرآن فنرجو . ونقرأ فنكاد أن نيأس ـ أو كما قال ـ فقال : ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار ؟. قالوا : بلى يا رسول الله قال : ﴿ **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ ، إلى قوله ﴿ **المفلحون** ﴾ [(٢)] هؤلاء أهل الجنة ، قالوا : إنا نرجو أن نكون من هؤلاء ، ثم قال : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم** ـ إلى قوله : **عظيم** ﴾ [(٣)] ، هؤلاء أهل النار ، قالوا : لسنا هم يا رسول الله ، قال : أجل [(٤)] .

وروى الترمذي في جامعه ، والطبراني ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن حبان في صحيحه من طريقه ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، والدارمي

---

(١) ساقطة من : د.

(٢) سورة البقرة : الآيات ١ ـ ٥.

(٣) سورة البقرة : الآيات ٦ ـ ٧.

(٤) وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٤ عن أبي حاتم أيضاً.
وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف عند أكثر أهل العلم بالرجال.
راجع : ترجمته في الميزان ٩/٤٧٥ الترجمة رقم ٤٥٣٠.

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : إن لكل شيء سناماً ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلاً ، لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهاراً ، لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام (١) .

وروى أحمد ـ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح (٢) ـ والدارمي ، ومحمد بن يحيى ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن عبدالله بن بريدة ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تعلَّموا سورة البقرة ، فإن أخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة ، ولا تستطيعها البَطَلَة .

قال الدارمي وأحمد ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان (٣) .

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٢٣٢/٤ . حديث رقم ٣٠٣٨ عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: حديث غريب.
ومورد الظمآن في زوائد ابن حبان ص ٤٥٧ حديث رقم ١٧٢٧ عن سهل مرفوعاً.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٨٠ موقوفاً على ابن مسعود.
وموقوف الدارمي أصح من مرفوع الترمذي وابن حبان، لأن في سند الترمذي حكيم ابن جبر، قال الترمذي: قد تكلم فيه شعبة وضعفه. وقال الذهبي في الميزان ٥٨٣/١: قال أحمد: ضعيف منكر الحديث.
وفي سند ابن حبان حسان بن إبراهيم الكرماني القاضي، وخالد بن سعيد المدني، كلاهما ضعيف. أما الأول فقد تفرد بأحاديث منكرة، وأما الثاني فضعفه العقيلي وذكر له هذا الحديث.
راجع الميزان ٤٧٧/١، ٦٣١.

(٢) مجمع الزوائد ١٥٩/٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٤٨/٥، ٣٥٢، ٣٦١ .
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٧٩ موقوفاً على خالد بن معدان.
والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب تعلموا البقرة فإن تَعَلُّمَها بركة ٥٦٤/١ .

وقال الدارمي وأحمد : وأنهما يُظلان صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان [١] .

وقال الجماعة : يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أو غيايتان ـ أو فرقانِ من طير صَوَافّ ، يجادلان عن صاحبهما [٢] .

زاد الدارمي : وأن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر [٣] .

الحديث كما تقدم في الفضائل العامة .

قال شيخنا الحافظ شهاب الدين البوصيري : وله ـ أي أصل الحديث ـ بدون هذه الزيادة شاهد عند البزار بسند صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى الدارمي عن عبدالله رضي الله عنه موقوفاً : ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة ، إلا خرج منه الشيطان ، وله صراط [٤] .

وعن خالد بن معدان قال : سورة البقرة تعلمها بركة ، وتَرْكُها حسرة ولا تستطيعها البطلة ، وهي فسطاط القرآن .

وللدارمي ، وعبد بن حميد ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

---

(١) مسند أحمد ٥/٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١.
وسنن الدارمي ٢/٣٢١.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٨٣، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٦١.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراء سورة البقرة ٦/٩٠.
قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرهما، قال العلماء: المراد أن ثوبهما يأتي كغمامتين. اهـ.
والفرقان ـ بكسر الفاء واسكان الراء ـ أي جماعتان أو قطيعان.

(٣) سنن الدارمي: ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٩٤.

(٤) سنن الدارمي ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٧٨.

قالت : قال رسول الله ﷺ : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ الله[1] لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ، و ﴿[2] إلهكم إله واحد ﴾[3] .

وروى أبو عبيد في الفضائل ، وعبد الرزاق في المصنف الجامع ، ومسلم في الصحيح ، والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن خليل ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين[4] : سورةَ البقرة ، وسورةَ آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[5] ، أو غيايتان[6] ، أو فِرْقان من طير صَوَّاف[7] تُحَاجَّانِ عن صاحبهما[8] ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخْذَها بركة ، وتَرْكَها حسرة[9] ولا تستطيعها - وفي رواية : ولا تطيقها - البَطَلَةُ[10].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٦٣ .

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٢٢٣ حديث رقم ٣٣٩٢ .

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما.

(٥) قال المناوي في فيض القدير ٢/٦٤: المراد بقوله: «كأنهما عمامتان»: أن ثوابهما يأتي قارئهما حتى يظله يوم القيامة.

(٦) تقدم تفسيرها، وسيأتي تفسير المؤلف لها.

(٧) تقدم تفسيرها قريباً.

(٨) في صحيح مسلم: أصحابهما.

(٩) قال القاضي ابن العربي المالكي في شرح الترمذي ١١/١٢: «أخذها بركة، وذلك لما يثاب عليها. وتركها حسرة: أي ندامة، لأنه إذا رأى بركتها على غيره ندم ألا يكون مثله.

وقال المناوي في فيض القدير: «فإن أخذها، يعني المواظبة على تلاوتها والعمل بها، بركة: أي زيادة ونماء، «وتركها حسرة»: أي تأسف على ما فات من الثواب.

(١٠) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٦/٩٠.

قال معاوية بن سلام : بلغني أن البطلة : السحرة [1] .

وزاد مسلم في رواية : ما من عبد يقرأ بهما في ركعة قبل أن يسجد ، ثم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ، إن كادت لتحصي الدين كله [2] .

والغياية ـ بمعجمة وتحتانيتين ـ : الظُّلَّة .

وذلك أنَّ تالي هاتين السورتين حق تلاوتهما ، لَمَّا كان في الدنيا حاملاً لثقلهما ، وحرارة أمرهما ونهيهما ، ناسب في يوم الجزاء أن ترفعا عنه وتظلاه دفعاً للحر والنصب عنه .

ولعل خصوصية البقرة في طرد الشيطان من أجل أن مقصودها ومدلول اسمها ملازم لطرد الشيطان ، ببيان خفي أمره ، وابطال عظيم شره ، بفتنته ومكره فيما جرَّ به الإنسان إلى القتل من كبره ، فوضح أمر القاتل حتى وقع القصاص الذي هو جناه ، فزال بذلك أثر الذنبين اللذين هما أول المعاصي ، وهما : الكبر ، والقتل .

ومنعها من السحرة ، من أجل ما فيها من قصة سليمان عليه السلام من توهية السحر ، وابطال ضرره ، وتوهية كيد أهل الكتاب الـذين هم أعظم الناس إكباباً على السحر ، مع إتيان أنبيائهم عليهم السلام بإبطاله ، وطرح أمره واهماله .

وسيأتي هذا الحديث بهذا اللفظ في آل عمران .

= ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، بـاب تعليم القرآن وفضله ٣٦٥/٣ حديث رقم ٥٩٩١.

(١) قال المناوي في فيض القدير ٦٤/٢: البطلة ـ بفتح الباء والطاء ـ: السحرة، تسمية لهم باسم فعلهم، لأن ما يأتون به باطل.
وقيل: البطلة: أهل البطالة الذين لم يُؤَهَّلوا لذلك، ولم يُوَفَّقوا له، أي لا يستطيعون قراءة ألفاظها وتدبُّر معانيها لبطالتهم وكسلهم. اهـ.

(٢) لم أعثر على تلك الزيادة في صحيح مسلم.

وروى الطبراني في الأوسط في ترجمة مقدام بن داود، بن عيسى الرعيني - قال الهيثمي: وهو ضعيف [1] - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: اقرؤا القرآن، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، تعلموا القرآن، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، تعلموا الزهراوين.

فذكر نحوه.

قال المنذري: الغيايتان - مثنى غياية، بغين معجمة، وياءين تحتانيتين - وهي: كل شيء أظل الانسان فوق رأسه، كالسحابة والغاشية ونحوهما، وفرقان: أي قطعتان [2].

ولمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يقرأ في ركعتي الفجر، في الأولى منهما: ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا** ﴾ الآية التي في البقرة [3]، وفي الأخرة منهما: ﴿ **آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون** ﴾ [4].

وفي رواية: والتي في آل عمران: ﴿ **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** ﴾ [5].

ورواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٦٨.

قال الذهبي في الميزان ٤/١٧٦: وقال محمد بن يوسف الكندي: كان فقيهاً مفتياً، لم يكن بالمحمود في الرواية، مات سنة ٢٨٣ ه.

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٠.

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٤) سورة آل عمران آية ٦٤.

(٥) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين باب فضل السنن الراتبة ٦/٥.

في ركعتي الفجر : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ﴾ في الركعة الأولى وبهذه الآية : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [١] ، أو ﴿ إنَّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [٢] .

قال أبو داود : شك الداوردي [٣] .

ولأحمد عن رجل ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : البقرة سَنَام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً واستخرجت ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [٤] من تحت العرش ، فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة [٥] .

قال الحافظ نورالدين الهيثمي : ورواه الطبراني ، وأسقط المبهم [٦] .

وروى وكيع [٧] في تفسيره عن الحسن قال : سئل النبي ﷺ : أي القرآن أفضل ؟. قال : سورة البقرة ، وسئل : فأي آية أفضل ؟. قال : آية الكرسي .

وسيأتي تخريجه من عند الحارث بزيادة .

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٣ .
(٢) سورة البقرة: آية ١١٩ .
(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما ٢/٢٠ حديث رقم ١٢٦٠ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٥) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦ .
(٦) مجمع الزوائد ٦/٣١١ .
(٧) هو أبو سفيان وكيع بن الجَرَّاح بن مليح بن عدى الرُّواسي، إمام في الحديث ولد في الكوفة سنة ١٢٩ - وقيل: سنة ١٢٧ - سمع الأعمش وهشام ابن عروة والأوزاعي، وروى عنه أحمد بن حنبل، وابن مهدي وابن المديني قال النووي: وأجمعوا على جلالته، ووفور علمه وحفظه واتقانه وورعه وصلاحه وعبادته وتوثيقه واعتماده. اهـ.
وتوفي في منصرفه من الحج سنة ١٩٧ هـ.
راجع: تاريخ بغداد ١٣/٤٦٦. وتهذيب الأسماء ٢/١٤٤.

وسيأتي هذا الحديث في سورة يس ، من مسند أبي يعلى الموصلي ، ان شاء الله تعالى .

وللترمذي ـ وقال : غريب (لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير)[1] وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه ـ عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لكل شيء سنام ، وأن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة أي القرآن ، آية الكرسي[2] .

ورواه عبدالرزاق في جامعه ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، ولفظه : سورة البقرة فيها آية هي سيدة[3] آي القرآن ، لا تقرأ[4] في بيت وفيه شيطان الا خرج منه ، آية الكرسي[5] .

وعند مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[6] .

---

(١) زيادة عن الترمذي .
(٢) صحيح الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/١٥٧ حديث رقم ٢٨٧٨ .
(٣) في المستدرك : سيد .
(٦) في المستدرك : يقرأ .
(٥) مصنف عبد الرزاق : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٦ حديث رقم ٦٠١٩ . والمستدرك : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة البقرة ١/٥٦٠ . قال الذهبي : صحيح .
(٦) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في البيت ٦/٦٨ .
وصحيح الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/١٥٧ . حديث رقم ٢٨٧٧ . وفضائل القرآن للنسائي ص ٧٦ حديث رقم ٧٠ .

وزاد مسلم : قال رسول الله ﷺ : إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده ، فليجعل لبيته نصيباً من صلاته ، فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرا [١] .

ورواه أبو عبيد عنه ، ولفظه : صلوا في بيوتكم ، ولا تجعلوها قبوراً ، وزَيِّنُوا أصواتكم بالقرآن ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة .

وللطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال لأصحابه : تعلموا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة [٢] .

ولأبي عبيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة (تقرأ فيه)[٣].

وعند الحاكم عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً، وقال: صحيح على شرطهما ومرفوعاً بإسناد ـ قال المنذري: حسن بما تقدم[٤] ـ : اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة[٥].

---

(١) هذا حديث مستقل عند مسلم من حديث أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهما، وليست زيادة في الرواية، وأما الحديث الأول فهو من حديث سهل بن سعد الساعدي عن أبي هريرة.
والمراد بالصلاة المطلوب أداؤها في البيت صلاة النافلة، لا الفرض، لما رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة.
وأيا ما كان الأمر فهذه الزيادة ليس هذا موضعها، إذ لا دلالة فيها على ما نحن بصدده، وسبحان من له كمال العلم، وجل عن السهو.

(٢) وبهذا اللفظ أخرجه عبد الرزاق من حديث أبي أمامة ٣/٣٦٦ حديث رقم ٣/٥٩٩.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) الترغيب والترهيب: كتاب القرآن، باب الترغيب في قراءة سورة البقرة ٢/٣٧٠.

(٥) المستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب إن الشيطان لا يدخل بيتاً تقرأ فيه سورة البقرة ١/٥٦١.

وهو مرفوع على كلا[1] التقديرين، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.

ورواه أبو عبيد موقوفاً بلفظ: إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن إسحاق، عن أبي الأحوص، وكذا الطبراني بأسانيد ـ قال الهيثمي: رجال أحدها رجال الصحيح[2] ـ قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن هذا القرآن مأدبة الله[3]، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر[4] البيوت من الخير، الذي ليس فيه من كتاب الله شيء وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب، كخراب البيت الذي لا عامر له وإن الشيطان ليخرج من البيت يسمع سورة البقرة تقرأ فيه[5].

وفي الفردوس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة البقرة في ليلة، تُوِّجَ بها تاجاً في الجنة[6].

ورواه الدارمي عن عبد الرحمن بن الأسود موقوفاً عليه[7]، وله حكم الرفع.

---

(١) في د: كلام.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٦٤.

(٣) قال في النهاية ١/٣٠: يعني مدعاته، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع.

قال: والمشهور في المأدبة ضم الدال، وأجازـها بعضهم الفتح وقيل: هي بالفتح مفعلة من الأدب.

(٤) يعني: أكثر خلاء وعَريًا من الخير.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٨ حديث رقم ٥٩٩٨.

(٦) وذكره السيوطي في الجامع ايصغـير ٢/٦٣٢ حديث رقم ٨٩٢٥ عن البيهقي في الشعب، ورمز له بالصحة.

(٧) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٨١.

وعند ابن حبان في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله ﷺ بينما أنا أقرأ سورة البقرة، إذ سمعت وجبة[(1)] من خلفي، فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أبا عتيك[(2)]، قال: فالتفتُّ فإذا مثلُ المصباح مُدَلًّى بين السماء والأرض، ورسول الله ﷺ يقول: اقرأ أبا عتيك، فقال: يا رسول الله: فما استطعت أن أمضي فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت، لرأيت العجائب[(3)].

وللشيخين وغيرهما ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف[(4)] الليل أقرأ في مِرْبَدي[(5)]، إذ جالت[(6)] فرسي، فقال رسول الله ﷺ؛ أقرأ ابنَ حضير (قال: فقرأت ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ ابنَ حضير)[(7)]، قال: فانصرفت وكان يحيى ـ يعني ابنه ـ قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظُّلَّة فيها أمثالُ السُّرُج، عرجت في الجو

---

(1) أي جلبة وصيحة.
قال الزمخشري في الفائق ٣١٦/١: الوجبة: صوت السقوط. وقال ٤٣/٤: أصل الوجوب: الوقوع والسقوط، قال الله تعالى: ﴿فإذا وَجَلَتْ جُنُوبُها﴾ أي وقعت.

(2) كنيته أسيد بن حضير.
والمعنى: أنه كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول ملائكة الرحمة، واستماعها لقراءتك.

(3) مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٢٤.

(4) في د: في.

(5) قال ابن الأثير في النهاية ١٨٢/٢: المربد: الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمى مربد المدينة والبصرة. وهو بكسر الميم وفتح الباء: من ربد بالمكان إذا أقام فيه، وربده إذا حبسه.

(6) قال في النهاية ٣١٧/١: يقال: جال واجتال، إذا ذهب وجاء ومنه الجولان في الحرب. واجتال الشيء اذا ذهب وساقه. والجائل: الزائد عن مكانه.

(7) ما بين القوسين ساقط من: د.

حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة (كانت)[1] تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس، ما تستتر منهم[2].

ورواه إسحاق في مسنده، والنسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه بنحوه.

ورواه عبد الرزاق عنه بلفظ: فغشيتني مثل السحابة، فيها المصابيح، وامرأتي نائمة إلى جنبي وهي حامل، والفرس مربوط في الدار، فخشيت أن تنفر الفرس فتفزع المرأة، فتلقى ولدها، فانصرفت من صلاتي، فذكرت ذلك للنبي ﷺ حين أصبحت، فقال: اقرأ أسيد، ذلك مَلَكُ يستمع القرآن[3].

ورواه البخاري، وأبو عبيد، عن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير رضي الله عنهما قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكت، ثم قرأ فجالت ثم قرأ فجالت، فانصرف إلى ابنه يحيى، وكان قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما انصرف رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة، فيها أمثال المصابيح، عرجت إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح، حَدَّثَ رسول الله ﷺ بذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: يا ابنَ حضير اقرأ، يا ابنَ حضير اقرأ[4]، قال: أشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فانصرفتُ إليه، ، ورفعتُ

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب نزول السكينة والملائكة عند نزول القرآن ٦/٢٣٤.

وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٨٣ قال العيني في شرح البخاري ٢/٣٦: فيه جواز رؤية بني آدم الملائكة فالمؤمنون يرونهم رحمة، والكفار عذاباً، لكن يشترط الصلاح وحسن الصوت والذي في الحديث: إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة، بصفة خاصة ولو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ، وفيه فضيلة أسيد، وفضيلة قراءة سورة البقرة في صلاة الليل. اهـ.

(٣) المصنف: كتاب الصلاة، باب حسن الصوت ٢/٤٨٦ حديث رقم ٤١٨٢.

(٤) أي استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة، واستماعها لقراءتك.

رأسي إلى السماء فإذا هي مثلُ الظُّلَّة، فيها أمثال المصابيح، فعرجتْ حتى لا أراها.

قال: أوتدري ما ذاك؟. قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم[1].

ورواه عن كعب بن مالك، عن أسيد بن حضير رضي الله عنهما، أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن، وهو حَسَنُ الصوت، فذكر نحوه[2].

ورواه الحافظ ابن رجب من طريق عبد الله بن محمد البغوي، وأبو عبيد ـ أيضاً ـ من طريق أخرى، ولفظه:

قال: قلت يا رسول الله، بَيْنَما أنا أقرأ البارحة بسورة البقرة ـ فلما انتهيت إلى آخرها، سمعت رَجَّةً من خلفي، حتى ظننتُ أن فرسي تَطْلِقُ، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أبا عتيك (مرتين. قال: فالتفتُّ إلى أمثال المصابيح ملء ما بين السماء والأرض. فقال: اقرأ أبا عتيك)[3] فقال: والله ما استطعت أن أمضي. فقال: تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ـ وقال البغوي: لقراءة سورة البقرة ـ أما إنك لو مضيتَ، لرأيتَ الأعاجِيب[4].

ورواه الحافظ ابن رجب من طريق عثمان بن أبي شيبة[5] من حديث

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ٦/١٠٦.

(٢) وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٦٢.
والإمام أحمد في المسند ٣/٨١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٤) شرح السنة للبغوي ٤/٤٧ الحديث رقم ١٢٠٦.

(٥) هو أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة محمد بن إبراهيم العِبْسي ـ أخو أبي بكر بن أبي شيبة صاحب المصنف ـ أحد الحفاظ الأعلام، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة. وخلق. له المسند والتفسير. وتوفي سنة ٢٣٩ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٤، تاريخ بغداد ١١/٢٣٢ ميزان الاعتدال ٣/٣٥.

محمود بن لبيد[1]: أن أسيد بن حضير رضي الله عنهما، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن فقرأ ليلة وفرسُه مربوطٌ عنده، وابنُه نائمٌ إلى جنبه، فأدار الفرس في رباطه، فقرأ فأدار الفرس في رباطه، فانصرف وأخذ ابنه، وخشى أن يطأه الفرس، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ أسيد فإن الملائكة لم تزل يستمعون صوتك، فلو أنك قرأت، أصبحت ظلة بين السماء والأرض، يراها الناس فيها الملائكة.

قال ابن رجب: وفي هذا السياق دلالة على فضيلة الصوت الحسن بالقرآن.

ولأبي عبيد ـ أيضاً ـ عن جرير بن يزيد[2]: أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس[3] رضي الله عنه لم تزل دارُه البارحة تزهو مصابيح؟. قال: فلعله قرأ سورة البقرة، فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة[4].

(١) محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع، بن امرىء القيس، بن عبد الأشهل الأنصاري، من أولاد الصحابة، ولم يصح له سماع من النبي ﷺ، وثقة ابن سعد، مات سنة ست وتسعين هجرية.
راجع: الخلاصة ص ٣٧١.

(٢) هو جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجَلي. له في النسائي وابن ماجة حديث واحد، قال أبو زرعة: منكر الحديث.
راجع: الخلاصة ١/١٦٣ ترجمة رقم ١٠١٧، والميزان ١/٣٩٧ ترجمة رقم ١٤٧١.

(٣) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن امرىء القيس بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، يكني أبا محمد، وقيل: عبد الرحمن، شهد أحداً وقتل شهيداً في حرب اليمامة سنة ١٣ هجرية، وهو الذي رؤي في النوم بعد قتله وأجيزت وصيته. قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس.
راجع: الاستيعاب على هامش الإصابة ١/١٩٥. ولإصابة ١/١٩٧. والتجريد ١/٦٤.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٣ وقال: هذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل.

ولعل خصوصية البقرة بذلك، من أجل قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتِيَهُمُ الله في ظُلَلٍ من الغَمَام والملائكةِ وقُضِيَ الأمرُ** ﴾[١]. فإن ظهور مجد الله سبحانه (لبني اسرائيل)[٢] على الطور، كان في ظلل الغمام والنار، ولذلك تليت الآية بقوله تعالى: ﴿ **سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنَةٍ** ﴾[٣].

ولأبي عبيد في الغريب والفضائل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: جَرِّدوا القرآن، لِيَرْبُوَ فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يخرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[٤].

وفي رواية الفضائل: يفر من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة.

ثم ذكر أبو عبيد اختلاف الناس في معناه، فقيل: جرّدوه من النقط والفواتح والتعشير[٥] ونحوه. ولا تخلطوا به غيره[٦].

وروى: أن رجلاً قرأ عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. فقال عبد الله: جَرِّدُوا القرآن[٧].

وقيل: بل المعنى: أن يتعلم وحده، وتُتْرَكَ الأحاديث.

ثم رد أبو عبيد هذا، بأن فيه إبطالَ السنن، وبأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجه الناس إلى العراق قال: جـردوا القرآن، وأقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم[٨].

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠.

(٢) ساقط من: د.

(٣) سورة البقرة آية ١١١.

(٤) غريب الحديث ٤/٤٦.

(٥) التعشير: وضع علامة على نهاية كل عشر آيات.

(٦) غريب الحديث: الموضع السابق.

(٧) هذه الرواية في الفائق للزمخشري ١/٢٠٦.

(٨) رواه أبو عبيد في الغريب ٤/٤٩.

ففي قوله: «أقلوا (الرواية)[1]» ما يبين أنه لم يرد بتجريد القرآن ترك الرواية (عن رسول الله ﷺ)[2]، وإنما أراد - عندنا - علمَ أهلِ الكتاب.

وأيد ذلك بأن عبد الله نفسه كان يحدِّث عن النبي ﷺ بحديث كثير، ثم قوى أنه إنما حثهم على أن لا يتعلم شيء من كتب الله عز وجل، لأن ما خلا القرآن من كتب الله، إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى، وليسوا بمأمونين عليها[3].

وروى فيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه قال: من أشراط الساعة: أن تُوضع الأخيار، وتُرفع الأشرارُ، وأن تُقرأ المُثْنَـاةُ على رؤوس الأشهاد، لا تُغَيَّرُ[4] قيل: وما المُثْنَاة؟. قال: ما استُكْتِبَ من غير كتاب الله[5].

قال أبو عبيد: فسألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأولى عن المثناة فقال: إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله عز وجل، فسمَّوْه المثناة كأنه يعني: أنهم أحلوا فيه ما شاءوا، وحرموا فيه ما شاءوا، على خلاف كتاب الله[6].

فبهذا عرف تأويل حديث عبد الله بن عمرو، وأنه إنما كره الأخذ عن أهل الكتاب لذلك المعنى، وقد كانت عنده كُتُب (وقعت)[7] إليه يوم

---

(١) زيادة عن غريب الحديث.

(٢) غريب الحديث ٤/٤٩.

(٣) راجع: غريب الحديث: الموضع السابق.

(٤) في سنن الدارمي: فلا.

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٢٨١.

(٦) غريب الحديث ٤/٢٨٢.

(٧) ساقطة من: د.

اليرموك، فأظنه قال هذه لمعرفته بما فيها، ولم يرد النهي عن حديث رسول الله ﷺ وسنته. وكيف ينهي عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه. انتهى[١].

وأصل حديث المثناة هذا، في أوائل الدارمي[٢].

وهذه المثناة (تسمى)[٣] عندهم اللهن المثناة - بالشين المعجمة - غير أنهم يلوون ألسنتهم على عادتهم في لحونهم في جلوسهم.

وأخبرني بعضهم: أن معنى هذه اللفظة عندهم: الجمع والضم، فتكون المثناة تعريبها، وهي في أكثر من مائة سفر.

وذلك أنه كان يجتمع أحبارهم، فيكتبون ما يرون أنهم محتاجون إليه من الأحكام والآداب، ثم إذا انقرضوا، اجتمع من خلف بعدهم من الأحبار في العصر الثاني، فزادوا ما شاؤ وا.

وعندهم: أن هؤلاء الأحبار لا يفعلون ذلك إلا عن الله وحياً.

فعندهم: أن كل ما كتبوه فهو (وحي)[٤] من عند الله، (كما قال تعالى: «ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»)[٥] [٦].

وما زالوا كذلك عصراً بعد عصر، إلى أن زادت عدة مجلداتها على العد وتجاوزت الحد، فيقال: إنها تقارب مائتي مجلد، فلما رأوا ذلك، منعوا من الزيادة، فمنعوا الوحي على زعمهم.

---

(١) غريب الحديث ٤/٢٨٢.

(٢) سنن الدارمي: المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث ١/١٢٣ من حديث عمرو بن قيس عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهم.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سورة آل عمران آية ٧٨.

(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.

فقد عُلم من هذا كله (أنه)[1] إنما نمنع مما لا نعلمه، وأما ما علمناه بشهادة كتابنا المهيمن على كل كتاب، بصدقه أو كذبه، فإنه يقضي به، فالمصدَّقُ كتابُنا لا غيره. والله الموفق.

وروى أبو عبيد في الغريب أيضاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما، حين قيل له: أقرأ القرآن في ثلاث؟. فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبَّرها، أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول هذرمة[2].

يعني: السرعة[3].

وعند الترمذي في فضائل القرآن، واللفظ له وقال حسن، والنسائي في السير، وابن ماجة في السنة مختصراً، وابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسول الله ﷺ بَعْثاً وهم ذووا عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم، يعني: ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سِنّاً، فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة، فقال: أمعك سورة البقرة؟. قال: نعم، قال: اذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة، إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ : تَعَلَّموا القرآنَ، فاقْرَؤُوه (وأَقْرِؤُوه)[4] وقوموا به، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به، كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه، فيرقد وهو في جوفه، كمثل جراب أُوكي على مسك[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٢٠.

(٣) كلام أبي عبيد في الغريب: يعني السرعة في القراءة وكذلك في الكلام.
وقال الزمخشري في الفائق ٣/ ٢٠٠: هذرمة: هي السرعة في الكلام والمشي، والهذربة والهربذة، نحوها.

(٤) زيادة عن الترمذي.

(٥) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/ ١٥٦ حديث رقم ٢٨٧٦. =

وروى الطبراني في الأوسط، عن عثمان رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ وفدا إلى اليمن، فأمَّر عليهم أميراً منهم، وهو أصغرهم، فمكث أياماً لم يَسِرْ، فلقى النبيُّ ﷺ رجلاً منهم، فقال: يا فلان مالَكَ، أما انطلقت؟. قال: يا رسول الله أميرُنا يشتكي رجله، فأتاه النبي ﷺ، ونفث عليه «بسم الله، وبالله، أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما فيها» سبع مرات، فبرأ الرجل، فقال شيخ: يا رسول الله، أتُؤمِّرُه علينا وهو أصغرنا؟. فذكر النبي ﷺ قراءته القرآن، فقال الشيخ: يا رسول الله، لولا أني أخاف أن أتَوسَّدَه[1] فلا أقوم به لتعلمته، فقال رسول الله ﷺ: تَعَلَّمْه، فإنما مثل القرآن كجراب ملأتَهُ مسكاً، ثم ربطت على فِيهِ، فإن فَتَحْتَ فاحَ لك ريحُ المسك، وإن تركتَه كان مسكاً موضوعاً، كذلك مثل القرآن إذا قرأته أو كان في صدرك.

قال الهيثمي: وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان، إلا أنه قال: في أحاديث ابنه عنه مناكير.

قال الهيثمي: وليس هذا من (رواية[2] ابنه عنه[3].

وروى عبد الرزاق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان ثلاثة في سفر، فليؤمَّهم أقرؤُهم، وإن كان أصْغَرَهم، فإذا أمَّهُم فهو أميرُهم[4].

= وسنن ابن ماجة: المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن ١/٧٨ حديث رقم ٢١٧.
وموارد الظمآن بزوائد ابن حبان: كتاب التفسير، باب فيمن يقرأ القرآن ٤٤٢.

(١) أي لا أداوم قراءته وأحافظ عليها.

(٢) زيادة عن الهيثمي.

(٣) مجمع الزوائد ٧/١٦١.
قال الحافظ في تقريب التهذيب ٢/٣٤٩: يحيى بن سلمة بن كهيل ـ بالتصغير ـ الحضرمي أبو جعفر الكوفي، متروك، وكان شيعياً. اهـ.

(٤) المصنف: كتاب الصلاة، باب القوم يجتمعون من يؤمهم ٢/٣٩٠ حديث رقم ٣٨١٢.

قال أبو سلمة: فذاك أمير أمَّرَه رسول الله ﷺ.

وقال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: وكانت راية بني مالك بن النجار في تبوك، مع عمارة بن حزم[1] رضي الله عنه، فأخذها رسول الله ﷺ ودفعها إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقال عمارة: يا رسول الله، أبلغك عني شيء؟. قال: لا، ولكن القرآن مقدَّم، وزيد أكثر أخذاً منك للقرآن.

ثم قال: وهذا عندي خبر لا يصح[2].

لكن شيخنا[3] ذكره في كتاب «الاصابة» ولم يتعقبه، وقال: وكان فيمن ينقل التراب مع المسلمين، يعني في الخندق، فنعس فرقد، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه (وهو لا يشعر)[4]، فقال له النبي ﷺ: يا أبا رُقَاد ويومئذ نهى النبي ﷺ أن يُرَوَّعَ المؤمِنُ، ولا يؤخذ متاعه جادّاً ولا لاَعِباً. انتهى[5].

فمن الغرائب: أن يقدِّر الله بعد سنتين أنه تنزع له (الراية)[6]، كما آتاه الله من اليقظة في كتابه، ممن أخذ سلاحه في حال نومه.

وروى الحارث بن أبي أسامة عن الحسن رحمه الله: أن رسول الله ﷺ

---

(١) هو عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان، بن عمرو، بن عبد عوف، الأنصاري شهد بيعة العقبة وبدار، وجميع المشاهد، وتوفي شهيداً يوم اليمامة.
راجع: الإصابة ٢/٥٠٧. والتجريد ١/٣٩٥.

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٤٢.

(٣) يعني شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) الإصابة ٤/٤٢.
وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٢/٢٧٨ ولم يتعقبه أيضاً. والذهبي في التجريد ١/١٩٧ بصيغة «روى» ولم يعقب عليه بشيء.

(٦) ساقطة من: د.

قال: أفضل القرآن: سورة البقرة، وأعظم آيةٍ فيه: آيةُ الكرسي[١].

قال: وقال رسول الله ﷺ: من قرأ في ليلة مائة آية، لم يحاجه القرآن، ومن قرأ مائتين كُتِبَ له قنوتُ ليلة، ومن قرأ بالمائة إلى الألف، أصبح وله قنطار، والقنطار دية أحدكم: اثنا عشر ألفاً.

قال: وإن أصفر البيوت من الخير، البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن، وإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.

فضل آية الكرسي

وروى عبد الرزاق عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: إن الله اختار الكلام، فاختار القرآن، واختار القرآن فاختار منه سورة البقرة، واختار من سورة البقرة آية الكرسي، واختار البلاد فاختار الحرم، واختار الحرم، فاختار موضع البيت[٢].

وفي أمالي (أبي)[٣] الحسين بن شمعون[٤] عن عائشة رضي الله عنها،

---

(١) هذا حديث مرسل، ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ١/١٩٣ حديث رقم ١٢٨٩ وضعفه.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٦٧ حديث رقم ٥٩٩٤.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن اسماعيل بن شمعون ـ وفي سير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية: سمعون، بالسين المهملة ـ قال الذهبي: «الإمام الواعظ، الكبير المحدث»، سمع من أبي بكر بن أبي داود، وهو أكبر شيوخه، ومحمد بن عمرو بن البختري. وأحمد بن سليمان بن زبان. وحدث عنه أبو عبد الرحمن السلمي، وعلي بن طلحة المقرىء، والحسن الخلال وغيرهم. ومات ـ رحمه الله ـ يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة، سنة ٣٨٧.

راجع: سير أعلام النبلاء ١٦/٥٠٥، والبداية والنهاية ١١/٣٦١، وميزان الاعتدال ٣/٤٦٦، والنجوم الزاهرة ٤/١٩٨، شذرات الذهب ٣/١٢٤.

أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فشكا إليه: أن ما في بيته ممحوق البركة، قال: أين أنت من آية الكرسي، ما تليت في شيء على طعام، ولا إدام، إلا أَنْمَى الله بركة ذلك الطعام والإدام.

وعند البخاري، وابن خزيمة، وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَّلَني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يَحْثُو من الطعام فأخذته، فقلت: لأدفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فقال: إني محتاج وعليَّ دَيْنٌ، ولي عيال، وبي حاجةٌ شديدة، فخلَّيْتُ عنه فأصبحتُ فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرُك البارحةَ؟ قلت: يا رسول الله شكى حاجةً شديدة وعِيالاً فَرَحِمتُه، فخلَّيْتُ سبيلَه، قال: أما إنه كَذَبَكَ وسيعود، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدَّتُه، فجاء يحثو من الطعام.

فذكر الحديث في قبضه عليه، واعتذاره وتَرفُّقِهِ، إلى أن قال: فأخذته ـ يعني: في الثالثة ـ فقلت: لأفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذه آخر ثلاث مرات، تزعم أنك لا تعود، ثم تعود، قال: دعني، فإني أُعَلِّمُك كلماتٍ ينفعُك الله بها، قلت: وما هنَّ؟، قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ **الله لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾[1] حتى تختم الآية، فإنك لن يزالَ عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، فخلَّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟، قلت: يا رسول الله زَعم أنَّهُ يُعَلِّمُني كلمات ينفعني الله بهن، فخلَّيت سبيله، قال: ما هن؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك. الحديث. وفيه: وكانوا أحرص شيء على الخير.

فقال النبي ﷺ: أما إنه صَدَقَك وهو كَذُوب، تَعْلَم من تخاطب منذ ثلاث (ليال)[2] يا أبا هريرة؟. قال: لا، قال: ذاك الشيطان[3].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٢) زيادة عن البخاري.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وَكَّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل =

وللنسائي في «اليوم والليلة» من الكبرى، عنه رضي الله عنه، أنه كان على تمر الصدقة، فوجد أثر كفٍّ، كأنه قد أُخِذَ منه، فذكر ذلك للنبي ﷺ قال: أتريد أن تأخذه؟. (قلت: نعم. قال)[1]. قل: سبحان من سخرك بمحمد[2]، قال[3] أبو هريرة: فقلت، فإذا أنا به قائم بين يَدَيَّ، فأخذته لأذهب به إلى النبي ﷺ. فقال: إنما أخذتُه لأهل بيت فُقَرَاءَ من الجن ولن أعود، فعاد، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أتريد أن تأخذه؟ فقلت: نعم، قال: فقل: سبحان من سخرك لمحمد[4]. قال أبو هريرة: فقلت فإذا أنابه قائم، فأردت به لأذهب إلى النبي ﷺ، فعاهدني ألا يعود، فتركته، ثم عاد. فذكرته للنبي ﷺ، فقال: أتريد أن تأخذه؟. فقلت: نعم. فقال: سبحان الذي سخرك لمحمد، فإذا أنا به. قلت: عاهدتَّني فكذبت وعدتَّ، لأذهبن بك إلى النبي ﷺ. فقال: خلِّ عني أُعَلِّمْكَ كلماتٍ إذا قلتَهن لم يقربك ذَكَرْ ولا أنثى من الجن، قلت: وما هؤلاء الكلمات؟، قال: آية الكرسي، اقرأها عند كل صباح ومساء. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فخلَّيْتُ عنه، فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال: وما علمتَ أنه كذلك[5].

وعند أحمد، والقاضي أبي عبد الله المحاملي في السادس عشر من فوائده، والترمذي واللفظ له وقال: حسن غريب، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه كانت له سهوة[6] فيها تمر، وكانت تجيء

= فهو جائز ٣/٦٣. وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٤/٩٢.
وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ٦/٢٣٢.
قال الحافظ ابن كثير في التفسير ١/٣٠٦: رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم.

(١) ساقطة من: د.
(٢) في تفسير ابن كثير: سبحان من سحرك، محمد.
(٣) في د: فقال.
(٤) كذا بالأصل: لمحمد.
(٥) في تفسير ابن كثير من رواية الحافظ أبي بكر بن مردوية: أما علمت أن ذلك كذلك.
(٦) سيأتي بعد قليل تفسير المؤلف للسهوة.

الغول وتأكل منه، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: اذهب، فإذا رأيتَها فقل: بسم الله، أجيبي رسولَ الله ﷺ، قال: فأخذها، فحلفت أن لا تعود فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ، قال: ما فعل أسيرك؟. قال: حلفت أن لا تعود، قال: كذبَتْ، وهي معاودة للكذب، فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟. قال: حلفت أن لا تعود، قال: كذبَتْ وهي معاودة للكذب، فأخذها مرة أخرى فقال: ما أنا بتاركِكِ حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني ذاكِرةٌ لك شيئاً: آية الكرسي، اقرأها في بيتك، فلا يقربك الشيطان ولا غيره، فجاء إلى نبي ﷺ، فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: فأخبره بما قالت، قال: صدَقَتْ وهي كَذُوبٌ (١).

وفي بعض طرقه قال: أرسلني وأعلمك آية من كتاب الله، لا تضعها على مال ولا ولد، فيقربه الشيطان أبداً، قلت: وما هي؟. قال: لا أستطيع أن أتكلم بها، آيةُ الكرسي.

ولفظ المحاملي: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان تمر لنا في سهوة فكنت أراه كل يوم من غير أن نأخذ منه شيئاً، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إن تمراً لنا في سَهْوَةٍ لنا، وإنَّا نجده ينقص كل يوم من غير أن نأخذ منه شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: تلك جِنِّيَّةٌ ـ أو غُولٌ ـ تأكل طعامك، وستجدها هِرَّةً، فإذا رأيتها فقل: بسم الله، أجيبي رسول الله ﷺ، فانطلقتُ فدخلتُ البيتَ، فإذا سنور في التمر، فقلت: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ فإذا هي عجوزٌ جالسةٌ. فقلت: يا عدوة الله انطلقي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: أنشُدُك الله يا أبا أيوب لما تركتني فلن أعود، فتركتها ثم غدوتُ إلى رسول الله ﷺ، قال: ما فعل الرجل وأسيره؟. (فقلت: أخذتها يا رسول الله، فناشدتني فحلفتْ أن لا تعودَ، قال: كذبَتْ تُعُوُد،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٤٢٣.

وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب/٣ ـ ٥/١٥٨ حديث رقم ٢٨٨٠.

فانطلقت فإذا سنور في البيت قلت بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: أنشدك الله يا أبا أيوب لما تركتني فوالله لا أعود أبداً، فتركتُها، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ، قال: ما فعل الرجل وأسيره؟)(٣). فأخبرته، قال: كذبت ستعود. فأخذتها الثالثة، فقلت: يا عدوة الله أليس قد زعمتِ أنَّكِ لا تعودين؟. قالت: يا أبا أيوب اتركني، فوالله لأعلمنَّك شيئاً إذا قلتَه حين تُصبح، لم يدخل بيتَك الشيطانُ حتى تمسى، وإذا قلتَه حين تمسى لم يدخل الشيطان بيتك حتى تصبح. قلت: ما هو؟. قلت: آية الكرسي، فتركتها، ثم غدوت على رسول الله ﷺ، فقال: ما فعل الرجل وأسيره؟. قلت: أخذتها فناشدتني الله وقالت: اتركني، فوالله لأعلمنك شيئاً إذا قلته حين تمسي لم يدخل الشيطان بيتك حتى تصبح، وإذا قلته حين تصبح لم يدخل الشيطان بيتك حتى تمسي. فقلت: ما هو؟. فقالت: آية الكرسي. قال صدقت وإنها لكذوب.

السهوة ـ بفتح السين المهملة ـ : الطاق في الحائط، يوضع فيها الشيء.

وقيل: هي الصُّفَّة، وقيل: المخدع بين البيتين.

وقيل: هو شيء شبيه بالرَّف.

وقيل: بيت صغير كالخزانة الصغيرة.

قال المنذري: كل واحد من هؤلاء يسمى: سهوة، ولفظ الحديث يحتمل الكل، ولكن ورد في بعض طرق (هذا)(٢) الحديث ما يرجح الأول.

والغول ـ بضم المعجمة(١) ـ ؛ هو شيطان يأكل الناس، وقيل: هو من

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) ساقطة من: د.

(٣) زيادة عن الترغيب والترهيب.

يتلون من الجن[1]. انتهى[2].

وعند الحارث بن أبي أسـامة، وأبي يعـلى الموصـلي، وابن حبان في صحيحه والنسائي في اليوم والليلة من الكبرى، والطبراني ـ بـإسناد قـال المنذري: جيد[3] ـ عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جَرِينٌ فيه تمر، وكان مما يتعاهده، فيجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بداية كهيئة الغلام المحتلم، قال: فسلمتُ، فرد السلام، فقلت: ما أنت جن أم أنس؟. قال: جن، فقلت: ناولني يـدك، فإذا يـد كلب، وشعر كلب، فقلت: هذا خلق الجن؟. فقال: لقد علمت الجنُّ أن ما فيهم من هو أشد مني، فقلت: ما يحملك على ما صنعت؟. قال: بلغني أنك تحب الصدقة، فأحببت أن أصيب من طعامك. فقلت: ما الذي يحرزنا منكم؟. فقال: هذه الآية، آية الكرسي[4].

وفي رواية[5] للنسائي: إذا قلتَها حين تصبح أُجِرْتَ منا إلى أن تمسى، وإذا قلتها حين تمسى أُجِرْتَ منا إلى أن تصبح. قال: فتركته، وغداً إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: صدق الخبيث.

الجَرِينُ ـ بفتح الجيم، وكسر الراء المهملة ـ هو البيدر[6].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٠٦: الغول في لغة العرب: الجانُّ اذا تبدي بالليل.
وقال ابن الأثير في النهاية ٣/٣٩٦: الغول: أحد الغيلان: وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغوُّلاً: أي تتلون تلوُّناً في صور شتى. وتغولهم: أي تضلهم عن الطريف وتهلكهم.

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٤.

(٣) الترغيب والترهيب ١/٤٥٨.

(٤) موارد الظمآن: كتاب التفسير، سورة البقرة ص ٤٢٦.

(٥) في د: وهي.

(٦) والبيدر: الموضوع الذي يداس فيه الطعام. قاله في اللسان ٤/٥٠.

وللدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه، فصرعه الإنسي، فقال له الأنسي: إني لأراك ضَبِيلاً[1] شَخِيتاً، كأن ذُرَيْعَتَيْكَ ذُرَيْعَتَا كلب، فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك؟. قال: لا والله إني من بينهم لضليع. ولكن عاوِدْني الثانية فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك. قال: نعم. قال: تقرأ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾؟. قال: نعم. قال: فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان، له خَبَجٌ كخَبَجِ الحمار. ثم لا يدخله حتى يصبح[2].

قال أبو محمد: الضبيل: الدقيق. والشَّخِيتُ: المهزول[3]. والضَّلِيعُ: جَيِّدُ الأضلاع[4]. والخَبَجُ: الريح[5].

ورواه الدينوري في الجزء الثامن عشر من «المُجَالَسَة» عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه: لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسي، فقال له الجني: عاوِدْني، فعاوده فصرعه الإنسي، فقال له الإنسي: أراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذِراعيك ذِراعَا كلب، فكذلك أنتم معاشر الجن أم أنت منهم كذا؟.

قال: لا والله إني منهم لضليع، ولكن عاوِدْني الثالثة، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك، فعاوده فصرعه، فقال: هات علمني، قال: هل تقرأ آية

---

(١) في سنن الدارمي: ضئيلاً، وهو الصواب، كما في النهاية ٣/٦٩ وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٦.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٢/٣٢٢ حديث رقم ٣٣٨٤.

(٣) وراجعه في النهاية ٢/٤٥٠. وغريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٧.

(٤) وقال في النهاية ٣/٩٧: وقيل: هو العظيم الصدر الواسع الجنبين.

(٥) وقال في النهاية ٢/٦: الخبج ـ بالتحريك ـ: الضراط ويروي بالحاء المهملة.

وقال أبو عبيد في الغريب ٣/٣١٧: وهو الحبج ـ أيضاً ـ بالحاء. وله أسماء سوى هذين كثيرة.

الكرسي؟. قال: نعم، قال: فإنك لا تقرؤها في بيت، إلا خرج منه الشيطان، ثم لا يدخله حتى يصبح، فقال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن مَنْ ذاك الرجلُ من أصحاب محمد ﷺ، هو عمر رضي الله عنه؟.

فقال: من يكون هو إلا عمر؟.

ورواه أبو عبيد في «الغريب»، فقال في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن رجلاً من الجن لقيه فقال: هل لك أن تصارعني، فإن صرعتَني علَّمْتُك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان؟.

فصارعه فصرعه عمر رضي الله عنه ـ فذكر نحوه ـ وقال: تقرأ آية الكرسي، فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته، إلا خرج الشيطان وله خَبَجٌ كخبج الحمار[1].

ثم رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه(خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فذكر الحديث، قال: فقيل لعبد الله: أهو عمررضي الله عنه)[2]؟. فقال: وما عسى أن يكون إلا عمر.

وقال: «ضئيلا شخيتا» هما جميعاً: النحيف الجسم الدقيق.

والضليع: العظيم الخلق.

والخبج: الضراط. وهو الحَبَجُ أيضاً بالحاء، يعني المهملة. وله أسماء سوى هذين كثيرة[3].

وعند مسلم وأبي داود وأبي عبيد، من حديث أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟. قال: قلت: ﴿ **اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٣) راجع: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣١٧.

قال: فضرب في صدري وقال: لِيُهنَكَ[١] العلمُ أبَا المُنْذِر[٢].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، وأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[٣] ـ وعبدبن حميد، ومسدد، وابن أبي شيبة في كتابه، وزادوا: والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لَلِساناً وشفتين، تُقَدِّس المَلِكَ عند ساق العرش[٤].

وسيأتي الكلام على سر هذا الحديث قريباً.

ولأبي داود عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاءهم في صُفَّة المهاجرين، فسأل إنسانٌ: أي آية في القرآن أعظم؟. قال رسول الله ﷺ: ﴿ الله لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾[٥].

ورواه الطبراني في الكبير، عن الأسقع البكري والد واثلة بلفظه، إلا أنه قال: ﴿ الله لا إِلَه إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القيومُ لا تأخذه سِنَةٌ ولاَ نَوْمٌ ﴾. حتى انقضت[٦].

---

(١) في سنن أبي داود: ليهن لك.

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٩٣/٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في آية الكرسي ٧٢/٢ حديث رقم ١٤٦٠.
قال النووي في شرح مسلم ٩٤/٦: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات، من الإلهية والوحدانيّة والحياة والعلم والمُلْكِ والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصولُ الأسماء والصفات. اهـ.

(٣) مجمع الزوائد ٣٢١/٦.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٧٠/٣ حديث رقم ٦٠٠١.
ومسند الإمام أحمد ١٤٢/٥.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الحروف والقراءات ٣٧/٤ حديث رقم ٤٠٠٣.

(٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢١/٦: رواه الطبراني، وفيه راوٍ لم يُسَمَّ وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات.

ورواه إسحاق بن راهويه بإسناد فيه مجهول، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ، فأيُّما أُنزل عليكِ أعظمُ؟. قال: ﴿ الله لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ حتى تختم.

وعزاه ابن رجب إلى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في صحيحه(١).

ورواه أبو الحسن الخِلَعي في الجزء الثالث عشر من فوائده، عن أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، قال: قلت: فأي شيء أعظم مما أنزل الله عليك؟. قال: آية الكرسي، يا أبا ذر ما السموات السبع فيالكرسي، إلا كحَلَقَةُ مُلقاة في فَلاة من الأرض، وفضلُ العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة.

قلت: فبأبي أنت وأمي، فكم الأنبياء؟. قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قلت: فكم الرسل من ذلك؟، قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جَمًّا غَفِيراً.

قلت: فمن كان أولُهم؟. قال: آدم، قلت: آدم نبي مرسل؟.

قال: نعم، خلقه الله بيده،ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلا.

يا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وجنوح وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب،

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/١٧٨، ١٧٩.
وفي سنده أبو عمر- ويقال: أبو عمرو- الدمشقي، واسمه: محمد ابن فَضَالة بن الصقر، قال الدار قطني: متروك. عن عبيد بن الخشخاش ذكره البخاري في الضعفاء. فالحديث ضعيف، لضعف أبي عمر، ولأن عبيد لم يسمع من أبي ذر.
راجع: الميزان ٣/٩ ترجمة رقم ٥٤٢٠، ٤/٦ ترجمة رقم ٨٠٥٥، ٤/٥٥٥ ترجمة رقم ١٠٤٥٢.

ونبيكم. . - يعني: وإبراهيم من كوثا[1] - وسائرهم من بني اسرائيل. على الكل أفضل الصلاة والسلام.

فأول الأنبياء: آدم، وآخرهم: أنا، وأول أنبياء بني اسرائيل: موسى وآخرهم: عيسى عليه السلام.

قلت: بأبي أنت وأمي[2] يا رسول الله «فكم كتابا أنزله الله؟. قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب. أنزل الله على شيث بن آدم عليهما السلام خمسين صحيفة، وأنزل الله على جنوخ[3] وهو ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وأنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، وأنزل الله على موسى عليه السلام من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان[4].

وقوله: «كحلقة ملقاة في فلاة»، يدل على أن السموات كُرَيَّةٌ متداخِلة.

وعند الحاكم - وقال: صحيح الإسناد - من طريق حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: سورة

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) في د: بأبي وأمي أنت.

(٣) في تفسير ابن كثير: خنوخ.

(٤) مدار هذا الحديث على ابراهيم بن هشام بن يحيى، بن يحيى، الغساني المتوفي سنة ٢٣٨. قال الذهبي في الميزان ٧٢/١: وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل. انفرد به عن أبيه.

وقال ابن حاتم في الجرح والتعديل ١٤٣/٢: أظنه لم يطلب العلم وهو كذاب.

وقال الذهبي: قال أبو زرعة: كذاب.

وقال ابن كثير في تفسيره ٥٨٦/١: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البُستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات، واتهم به ابراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث.

البقرة فيها آية، هي سيدة(1) آي القرآن، لا تقرأ(2) في بيت وفيه شيطان، إلا خرج منه، آية الكرسي(3).

وللقاضي أبي عبد الله المحاملي في الخامس عشر من فوائده، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله عَلِّمْني شيئاً ينفعني الله به، قال: اقرأ آية الكرسي، فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك، حتى الدويرات(4) حول دارك.

وروى الدينوري في الجزء الحادي والعشرين من المُجالسة، عن الحسن رحمه الله، أن النبي ﷺ قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن عفريتاً من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك، فقل: ﴿ **الله لَا إِلَه إِلَّا هُو الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾ **حتى تختم آية الكرسي**.

ولأبي عبيد عن أبي أُمامة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أنه قال: ما أرى رجلاً وُلِدَ في الإسلام، أو أدرك عقلُه في الإسلام، يبيت أبداً، حتى يقرأ هذه الآية ﴿**الله لَا إِلَه إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾، الآية، ولم تعلموا ما هي، إنما أعطيها نَبِيُّكم ﷺ من كنز تحت العرش، ولم يعطها أحد قبل نبيكم وما بت ليلة قط حتى أقرؤ ها ثلاث مرات، أقرؤ ها في الركعتين بعد العشاء الآخرة، وفي وِتْرِي، وحين آخذ مضجعي من فِراشي.

والسر ـ والله أعلم ـ في طرها الشيطان في جميع الأوقات: أن المقصود

---

(1) في المستدرك: سيد.

(2) في المستدرك: يقرأ.

(3) المستدرك: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة ١/٥٦٠. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٦ حديث رقم ٦٠١٩.

(4) في د: الدوران.

منها ـ كما بينتُه في نظم الدرر[1] ـ: الدلالة على مضمون الآية التي قبلها، من تمام القدرة المستلزم للوحدانية، المستلزمة للإحاطة بجميع صفات الكمال، مع التصريح بتلك الصفات الثبوتية والسلبية، كلها أو جلها، وذكر الاسم الأعظم، وما يدل عليه فيها عشرين مرة.

فلا جرم أن من قرأها، فتَنَسَّمَتْ أنفاسه من تلك القدرة، ضربت على بيته من سرادقات العظمة، فطرت عنه وعمن شاء الله من جيرانه الشيطان، وأَعْلَتْهُ عن حضيض الآفات، إلى حضرات الرحمن.

وعلى هذا المقصود دلت تسميتها بالكرسي، لأنه على قدر مملكة المَلِك، تكون قدرته، وعلى حسب قدرته، يكون علوه وعظمته.

وما تقدم من كونها تُقَدِّسُ، مؤيِّدٌ لما ذكرت من مقصودها، فإن النطق آية تمام القدرة، ولما كانت نسبتها بذلك من سائر آيات القرآن، مثل نشْبة الإنسان من جميع الحيوان، بيِّنَتْ أُبْهِيالبيان، انتظم قوله تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدِّينِ قد تبيَّن الرُّشْدُ من الغَيِّ** ﴾[2].

وروينا في «سباعيات» الصيدلاني[3] ومسند الإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل رجلاً من أصحابه: معك آية الكرسي؟. قال: نعم. قال: ربع القرآن[4].

---

(١) راجع نظم الدرر ٤/٣٩/ط الهند.

(٢) آية ٢٥٦.

(٣) هو أبو بكر محمد بن داود بن محمد المروزي، المعروف بالصيدلاني، ويعرف بالداودي. فقيه محدث. توفي في حدود سنة ٤٢٧ هجرية.
راجع: معجم المؤلفين ٩/٢٩٨.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٣٢١.
لكن فيه سلمة بن وردان، أبو يعلي الجندعي، المدني. قال الذهبي في الميزان ٢/١٩٣: وقال أحمد: منكر الحديث، اهـ. وساق له الحديث المذكور.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/١٧٥: ليس بقوي، تدبرت حديثه، =

وكذا قال في الكافرون والنصر.

وسبب كون هذه الآية ربعاً، لا ثلثاً كالإخلاص: أنها ـ وإن أثبتت الإلهية ـ لم يُصرِّح فيها بالصمدية، ولا بنفي الولد والمكافىء، فهي بسورة «الكافرون» أشبه من حيث إنها داعية إلى الاقبال على صاحب تلك الأوصاف دون غيره.

وسيأتي لهذا في «الكافرون» تتمة.

وعند النسائي[1] والطبراني بأسانيدَ، أحدها صحيح ـ قال المنذري: وقال شيخنا أبو الحسن: على شرط البخاري[2] ـ وابنُ حبان في «كتاب الصلاة» وصححه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي دُبَر كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت[3].

وزاد الطبراني في بعض طرقه: وقل هو الله أحد.

قال المنذري: واسناده بهذه الزيادة جيد أيضاً[4].

= فوجدت عامتها منكرة، لا يوافق حديثُه عن أنس حديثَ الثقات إلا في حديث واحد، وهو حديث أنس عن معاذ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً...» فإن هذا الحديث قد شاركه فيه غيره، اهـ. مختصراً.

ونقل الذهبي عن الحاكم أنه قال: رواياته عن أنس أكثرها مناكير.

(١) في السنن الكبرى كما قال ابن القيم في زاد المعاد ١/٣٠٣ تحقيق شعيب الأرناؤط.

(٢) الترغيب والترهيب: كتاب الذكر والدعاء، باب الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات ٢/٤٥٣.

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٠٧ أنه على شرط البخاري أيضاً.

(٣) وذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٦٣٢ حديث رقم ٨٩٢٦ ورمز له بالصحة.

(٤) الترغيب والترهيب ٢/٤٥٣.

قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد ١/٣٠٣ : هذا الحديث تفرد به محمد بن حمير، عن محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة، ورواه النسائي عن الحسين بن بشر، عن محمد بن حمير. =

وعند الطبراني بإسناد حسن، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذِمَّة الله إلى الصلاة الأخرى(١).

ولصاحب الفردوس عن أنس، وأبي أمامة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي في دُبُر الصلاة المكتوبة، قال أنس: كان له مثل أجر نبي.

وقال أبو أمامة: كان الرب يتولى قبض روحه بيده، وكان بمنزلة من قاتل عن أنبياء الله حتى يستشهد(٢).

= وهذا الحديث من الناس من يصححه ويقول: الحسين بن بشر قد قال فيه النسائي: لا بأس به، وفي موضع آخر: ثقة. واما المُحَمَّدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه.
قالوا: فالحديث على رسمه.
ومنهم من يقول: هو موضوع، وأدخله أبو الفرج بن الجوزي في كتابه في الموضوعات، وتعلق علي محمد بن حمير، وأنَّ أبا حاتم الرازي قال: لا يحتج به، وقال يعقوب بن سفيان: ليس بقوي.. وأنكر ذلك عليه بعض الحفاظ ووثقوا محمداً وقال: هو أجل من أن يكون له حديث موضوع، وقد احتج به أجل من صنف في الحديث الصحيح وهو البخاري، ووثقه أشد الناس مقالة في الرجال يحيى بن معين.
وقد رواه الطبراني في معجمه أيضاً من حديث عبد الله بن الحسن عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذمة الله الى الصلاة الأخرى.
وقد روى هذا الحديث من حديث أبي أمامة، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وفيها كلها ضَعْفٌ، ولكنه اذا انضم بعضها الى بعض مع تباين طرقها، واختلاف مخارجها، دَلَّتْ على أن الحديث له أصل، وليس بموضوع، اهـ.

(١) قال الهيثمي في الزوائد ٢/١٤٨: رواه الطبراني في الكبير، واسناده حسن.
(٢) حديث أبي أمامة أخرجه ابن السنى في اليوم والليلة ص ٥٥ حديث رقم ١٢١. وفيه اسماعيل بن عياش مختلف فيه.

ولأبي الشيخ ابن حيان، والترمذي في فضائل القرآن وقال: غريب. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي حين يصبح وآيةً من أول «حم المؤمن» حُفِظَ في يومه ذلك حتى يُمْسِي، ومن قرأها حين يمسي حُفِظَ في ليلته حتى يُصْبِحَ.

ولفظ الترمذي: من قرأ حم المؤمن إلى: «واليه المصيرُ[1]»، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بها حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي، حفظها بهما حتى يصبح[2].

وسيأتي هذا الحديث في غافر، إن شاء الله تعالى، وفيه زيادة قراءة الدخان.

فضل خواتيم سورة البقرة

ولصاحب الفردوس عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، عند الكَرْبِ، أغاثه الله.

وعند الستة، وعبد الرزاق في جامعه، وابن خُزَيْمَة، والدَّارِمِي، وعبدِ ابن حَميد وأبي عُبَيد، عن أبي مسعود الأنصاري[3] رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتَاةُ[4].

---

(١) سورة غافر آية ١ ـ ٣.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٥/١٥٧ حديث رقم ٢٨٧٩.
وفيه عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مُلَيْكَة. قال الترمذي: تكلم فيه بعض أهل العلم من قِبَل حفظه.

(٣) اسمه عقبة بن عمرو، بن ثعلبة، بن أسيرة، بن عطية، بن خدارة، بن عوف بن الحارث، بن الخزرج.
قال الذهبي في التجريد ٢/٢٠٢: وهو أحدث من شهد العقبة سنا ولم يشهد بدراً.
وقال ابن حجر في الإصابة ٢/٤٨٤: اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا في شهوده بدراً.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ٥/١٧، وكتاب فضائل =

ورواه الدَّارمي ـ كما في نُسْخَتَيْن ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

قال المنذري: أجزأتاه عن قيامَ تلك الليلة[2]، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة. وقيل: كفتاه مِنْ كل شيطان فلا يقربُه ليلتَه. وقيل: معناه: حَسْبُه بها فَضْلاً وأجْراً. والله أعلم. انتهى[3].

والصواب في مثل هذا: التعميم، فإنَّ اللفظ يحتمله، والفَضْلُ أوْسَعُ.

= القرآن، باب فضل سورة البقرة ١٠٤/٦، وباب في كم يقرأ القرآن ١١٣/٦.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ٩١/٦.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة ١٥٩/٥ حديث رقم ٢٨٨١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٥٦/٢ حديث رقم ١٣٩٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيما يرجى أن يكون من قيام الليل ٤٣٥/١ حديث رقم ١٣٦٨.
وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ٢٨٨/١ حديث رقم ١٤٩٥. وكتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٣٢٣/٢ حديث رقم ٣٣٩١.
ومصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٧٧/٣ حديث رقم ٦٠٢٠.
وصحيح ابن خزيمة: كتاب الصلاة، باب ذكر أقل ما يجزىء من القرآن في قيام الليل ١٨٠/٢ حديث رقم ١١٤١.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٣٢٣/٢ حديث رقم ٣٣٩١.

(٢) قال الحافظ في الفتح ٥٦/٩: ورد صريحاً من طريق عاصم، عن علقمة، عن أبي مسعود يرفعه: من قرأ خاتمة البقرة أجزأت عنه قيام ليلة.
قلت: ويشهد له ـ أيضاً ـ حديث صاحب مسند الفردوس الآتي بعد.

(٣) الترغيب والترهيب: كتاب الذكر والدعاء، باب الترغيب في أذكار تقال بالليل والنهار غير مختصة بالليل والنهار ٤٤٦/٢.
وراجع: التبيان ص ١٢٤، وشرح مسلم ٩١/٦، كلاهما للنووي. والفتح ٥٦١/٩.

وفي الفردوس عن عقبة بن عامر، وأبي مسعود، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ خاتمة سورة البقرة حتى يختمها في ليلة، أجزأت عنه قيام تلك الليلة.

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ في ليلة آخر سورة البقرة، فقد أكثر وأطاب.

وله برجال ـ قال الهيثمي: ثقات ـ عن شَدَّاد بن أَوْسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أن يخلُقَ السموات والأرض بألفَيْ عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يُقْرآنِ في دار ثَلَاثَ لَيَالٍ، فيقربُها شيطان[1].

وله عن عقبة بنِ عامر رضي الله عنه قال: تَرَدَّدُوا في الآيتين من آخر سورة البقرة «آمن الرسول» إلى خاتمتها، فإن الله اصطفى بهما محمداً ﷺ.

وعند مسلم، والنَّسائي في الصلاة، والترمذي في التفسير، وأبي يعلى الموصلي في مسنده، وأبي نعيم في الحلية في ترجمة طلحةَ بنِ مصرِّف، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى (وهي في السماء السادسة[2])، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فَيُقْبَضُ منها، وإليها يَنْتَهِي ما يَهْبِطُ به من فوقها، فيُقْبَضُ منها، قال:

---

(١) سيذكره المؤلف بعد قليل من حديث النعمان بن بشير، عند الترمذي وآخري.

(٢) هكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي بلفظ: «السادسة» وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٢٥٢ من حديث مسلم بلفظ: «السابعة».

قال النووي في شرح مسلم ٢/٣: هكذا هو في جميع الأصول «السادسة» وقد تقدم في الروايات الأُخَر من حديث أنس: أنها فوق السماء السابعة. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بـالمنتهى. قلت: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم. اهـ.

«إذ يغشى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى»، قال: فراش من ذهب)[1]، قال: فأُعْطِي رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعْطِيَ الصلواتِ الخَمْسَ، وأُعْطِيَ خَواتِيمَ سورةِ البقرة، وغُفِر لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمته المُقْحَماتُ[2].

وقال أبو نعيم: صحيح متفق عليه من حديث طلحة، لم نكتبه إلا من حديث مالك عن أبي الزبير[3].

ورواه أبو عبيد عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: الآيات الأواخر من سورة البقرة، إنهن لمن كنز تحت العرش.

وعند أبي عبيد في الفضائل، والترمذي في الجامع واللفظ لهما، والنسائي وابن حبان في صحيحه، وأحمد بن منيع في مسنده، والدارمي، والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة، وأحمد بن عمرو القَطَوَاني، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، عن النعمان بن بشير رضي الله

(١) ما بين القوسين زيادة عن صحيح مسلم وسنن النسائي.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهي ٣/٢.
وسنن النسائي: كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ١/٢٢٣.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم ٥/٣٩٣ حديث رقم ٣٢٧٦.
والحلية لأبي نعيم ٥/١٥.
والمقحمات ـ بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء ـ قال النووي ٣/٣: الذنوب العظام الكبائر، التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها، والتقحم: الوقوع في المهالك، ومعنى الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات. اهـ.
وقال السيوطي في شرح النسائي ١/٢٢٤: أي الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.

(٣) عند مسلم ٣/٢: الزبير بن عدى.
وفي التقريب للحافظ ١/٢٥٨: الزبير بن عدى الهمداني، اليامي ـ بالتحتانية ـ أبو عبد الله الكوفي، اهـ.
فاسمه: الزبير، لا أبو الزبير. وكنيته «أبو عبد الله» كما ذكر الحافظ.

عنها، أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا يُقْرَءانِ في دار ثلاث ليال، فيقربُها شيطان[1].

ولفظ ابن منيع: فمن قرأ بهما في (بيته) لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام.

وقال: هو عنده على العرش.

ولفظ ابن صدقة بعد قوله: «بألفي عام ف هو عنده على العرش: أنزل في ذلك الكتاب آيتين ختم بهما سورة البقرة، وأن الشيطان لا يلج بيتاً قرئت فيه ثلاث ليال.

والباقي سواء.

وفي رواية الحاكم: ولا يقرآن في بيت فيقربه الشيطان ثلاث ليال.

وقال صحيح على شرط مسلم[2].

وعند مسدد، وأبي بكر بن أبي داود، عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أرى أحداً يعقل، ينام حتى يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة (فإنهن من كنز تحت العرش.

ولفظ ابن أبي داود: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة)[3].

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة ٥/١٥٩ حديث رقم ٢٨٨٢ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وابن حبان «موارد الظمآن» كتاب التفسير، سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٢٩٠.

والمستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب آيتانِ من آخر سورة البقرة لا تقرآن في دار فيقر بها شيطان ثلاث ليال ١/٥٦٢.

قال الذهبي ١/٥٦٢: صحيح.

(٢) المستدرك: الموضع السابق.

(٣) ما بين القوسين ساقط من: د.

قال النووي: واسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم[1].

وروى أيضاً عن علي رضي الله عنه: ما أرى[2] أحداً يعقل في الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي.

وللإمام أحمد بن حنبل ـ قال الهيثمي: بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح[3] ـ وأحمد بن منيع، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت من تحت العرش ـ (وفي رواية: آيتين أوتيتهما من كنز من بيت تحت العرش)[4] ـ لم يؤتهما نبي قبلي: الآيتان من آخر سورة البقرة[5].

وللطبراني في الكبير والأوسط، وأحمد في المسند ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[6] ـ عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة ـ وفي رواية: خواتيم سورة البقرة ـ من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي[7].

قال ابن رجب: وخرَّجه النسائي، وعِندَهُ: وأُوتيتُ هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم يعط منه أحد قبلي، ولا يعطي منه أحد بعدي.

وأشار إلى أنه في صحيح مسلم.

---

(١) التبيان ص ١٢٥.

(٢) في د: رأى.

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) مسند الإمام أحمد ١٥١/٥، ١٨٠.
وأخرجه من حديث عقبة بن عامر الجهني ١٤٧/٤، ١٥٨.

(٦) عبارة الهيثمي في الزوائد ٣٢٤/٦ هكذا: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٧) مسند الإمام أحمد ٣٨٣/٥.

وللدارمي عن أيفع بن عبد الله الكلاعي - وجزم الذهبي أنه تابعي[١] - قال: قال رجل يا رسول الله، أي سورة في القرآن أعظم؟. قال: «قل هو الله أحد» قال: فأيُّ آية في القرآن أعظم؟. قال: آية الكرسي ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾، قال: فأَيُّ آية يا نبيَّ الله تحب أن تصيبك وأمتك؟. قال: خاتمة سورة البقرة، فإنها من خزائن رحمة الله، من تحت عرشه، أعطاها هذه الأمة، لم تترك خيراً من خير الدنيا والأخرة، الا اشتملت عليه[٢].

وفي رواية: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي آية في القرآن أعظم؟. قال: آية الكرسي، وخاتمة البقرة[٣].

فعلى هذهالرواية هو متصل، فيه مبهم.

وخرج ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ آخر سورة البقرة، أو آيةالكرسي، ضحك، وقال: إنهما من كنز الرحمن تحت العرش. وإذا قرأ: ﴿ **من يعمل سوءاء يجز به** ﴾[٤]، ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾[٥]، استرجع[٦] واستكان[٧].

---

(١) كذا في الإصابة لابن حجر ١/١٣٩ ترجمة رقم ٥٧٨، وعنده أنه مات سنة ١٠٦ هجرية.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٣٢١ حديث رقم ٣٣٨٣.

(٣) لم أعثر على هذه الرواية في سنن الدارمي. ط بيروت.

(٤) سورة النساء آية ١٢٣.

(٥) سورة النجم آية ٣٩ - ٤١.

(٦) أي قال: إنا لله وإنا اليه راجعون.

واستكان: قال في اللسان ١٣/٣٧١: فيه قولان: أحدهما: أنه من السكينة. اهـ.

(٧) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٤١ ولم يعقب عليه.

وله عن علي رضي الله عنه قال: ما كنت أرى أن أحداً يعقل ينام، حتى يقرأ هؤلاءالآيات من آخر سورة البقرة، وأنهن لمن كنز تحت العرش.

ولابن جرير في التفسير، والبزار في مسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أو غيره[1] - عن النبي ﷺ، وبعضهم وقفه على أبي هريرة. فذكر حديثاً في الإسراء.

وفيه: إن الله قال: يا محمد جعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيل، وأعطيتك سبعاً من المثاني (والقرآن)[2] العظيم، لم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم أعطها نبياً قبلك .

وسيأتي في الكوثر ما يتصل بهذا.

وعند الحاكم وصححه على شرط البخاري، عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء[4].

وفي إسناده معاوية بن صالح، قال المنذري: لم يحتج به البخاري، إنما احتج به مسلم[5].

---

(١) هذا الشك موجود عند ابن جرير.

(٢) ساقطة من: م.

(٣) تفسير ابن جرير ١٥/ ١٠ من حديث طويل في سورة الإسراء.
والحديث من طريق أبي جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى ماهان، قال ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير.
وأشار الذهبي في الميزان الى هذا الحديث في ترجمته وقال: فيه ألفاظ منكرة جداً.
راجع: الميزان ٣/ ٣٢٠.

(٤) المستدرك: كتاب فضائل القرآن ١/ ٥٦٢.

(٥) الترغيب والترهيب ٢/ ٣٧٢.

وهو عند أبي عبيد في الفضائل، وأبي داود في المراسيل، والدارمي، من حديث جبير بن نفير مرسلا[١].

وللإمام أحمد، وأبي يعلى الموصلي، في مسنديهما، والطبراني، وأبي عبيد في الفضائل، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرأ - وفي رواية: يقول على المنبر: اقرأوا - بهاتين الآيتين من آخر سورة البقرة، إني أعطيتهما من تحت العرش[٢].

قال الهيثمي: والحديث حسن[٣].

(ولفظ أبي عبيد: فإن ربي جل جلاله أعطانيهما من تحت العرش)[٤].
وفي سورة الشعراء حديث في فضل البقرة، وهاتين الآيتين[٥].

وروى الدارمي، عن عبدالله رضي الله عنه قال: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة، لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع من أولها[٦] وآية الكرسي[٧]، وآيتان بعدها[٨]، وثلاث خواتيمها، أولها[٩]: «لله ما في السموات وما في الأرض»[١٠].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٢/٣٢٣ حديث رقم ٣٣٩٣.
(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٤٧، ١٥٨.
(٣) مجمع الزوائد ٦/٣١٢.
(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.
(٥) راجع جـ ٢/٤١١.
(٦) من أول السورة الى قوله تعالى: وبالآخرة هم يوقنون.
(٧) الآية: ٢٥٥.
(٨) الآيتان: ٢٥٦ - ٢٥٧.
(٩) الآيات: ٢٨٤ - ٢٨٦.
(١٠) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة آية الكرسي ٢/٣٢٢.

وقال في رواية أخرى: من قرأها، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان، ولا شيء يكرهه، ولا يُقْرَأْنَ على مجنون إلا أفاق(1).

وله عن المغيرة بن سبيع - وكان من أصحاب عبدالله - قال: من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه، لم ينس القرآن: أربع آيات من أولها، وآية الكرسي، وآيتان مِنْ بعدها، وثلاث من آخرها(2).

وللبيهقي في الدعوات - وقال: موقوف حسن - عن العلاء بن اللجلاج، أنه قال لبنيه: إذا أدخلتموني في قبري، فضعوني في اللحد وقولوا: بسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وسنوا عليَّ التراب سنًّا(3) ، واقرأوا عندي أول البقرة وخاتمتها، فإني رأيت ابن عمر يستحب ذلك.

وفي الفردوس عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ من أول البقرة أربع آيات، وآية الكرسي، والآيتين بعدها، والثلاث من آخرها، كلأه الله في أهله، وولده، وماله، ودنياه، وآخرته.

وللطبراني - قال الهيثمي: عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، صدوق إن شاء الله، كما قال الذهبي(4)، قال ابن أبي حاتم: وقد تكلموا فيه(5)، وبقية رجاله وثقوا(6) - عن بريدة رضي الله عنه قال: بلغني أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخذ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ، فأتيته فقلت: بلغني أنك أخذت الشيطان على عهد رسول الله ﷺ؟. قال: نعم، ضَمَّ إلى رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فجعلته في غرفة لي، فكنت أجد فيه كل يوم

---

(1) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٣٢٢/٢.

(2) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(3) قال ابن الأثير في النهاية ٤١٣/٢: أي ضعوه وضعاً سهلاً.

(4) راجع الميزان ٣٩٦/٤ ترجمة رقم ٩٥٨٦.

(5) عبارة ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٧٥/٩ هكذا: كتبت عنه، وكتب عنه أبي، وتكلموا فيه.

(6) مجمع الزوائد ٣٢٢/٦.

نقصاناً، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: هو عمل الشيطان فارصده، فرصدته ليلاً، فلما ذهب هَوِيٌّ من الليل أقبل على صورة الفيل، فلما انتهى إلى الباب، دخل من خلل الباب على صورته، فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت عليَّ ثيابي فتوسطته، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، يا عدو الله وَثَبْتَ إلى تمر الصدقة فأخذته، وكانوا أحق به منك، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك، فعاهدني أن لا يعود، فغدوت إلى رسول الله ﷺ، فقال لي: ما فعل أسيرك؟.. فقلت: عاهدني أن لا يعود. قال: إنه عائد فارصده، فرصدته الليلة الثانيةفصنع مثل ذلك، فصنعت مثل ذلك، وعاهدني ألا يعود، فخلَّيْتُ سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ (لأخبره) فإذا مناديه ينادي: أين معاذ؟. فقال لي: يا معاذ ما فعل أسيرك؟. فأخبرته، فقال لي: إنه عائد فارصده فرصدته الليلة الثالثة، فصنع مثل ذلك، وصنعت مثل ذلك. فقلت: يا عدو الله، عاهدتني مرتين وهذه الثالثة، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك. فقال: إني شيطان ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين[1]، ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك، ولقد كنا في مدينتكم هذه، حتى بعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان، أنفرتنا منها، فوقعنا بنصيبين، ولا يقرآن في بيت، إلا لم يلج فيه الشيطان ثلاثاً، فإن خليت سبيلي علمتكهما؟. قلت، نعم، قال: آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة، «آمن الرسول» إلى آخرها، فخليت سبيله، فغدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره، فإذا مناديه ينادي: أين معاذ بن جبل؟. فلما دخلت عليه قال لي: ما فعل أسيرك؟. قلت: عاهدني ألا يعود، وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: صدق الخبيث وهو كذوب.

قال: فكنت أقرؤهما عليه بعد ذلك، فلا أجد فيه نقصاناً.

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ٥/٢٨٨: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام.

وقال صاحب كتاب معجم ما استعجم ٤ /١٣١٠: من كور ديار ربيعة وهي كلها بين الحيرة والشام.

وللطبراني في الكبير أيضاً ـ قال الهيثمي: ورجاله وثقوا كلهم، وفي بعضهم ضعف[1] ـ عن مالك بن حمزة، بن أبي أسيد الساعدي، عن أبيه، عن جده أبي أسيد الساعدي الخزرجي رضي الله عنه، وله بئر بالمدينة يقال لها: بئر بضاعة، قد بصق فيها النبي ﷺ، فهي يتبشر بها، ويتيمن بها.

قال: فلما قطع أبو أسيد تمر حائطه، جعلها في غرفة، فكانت الغول تخالفه إلى مسربته[2]، فتسرق تمره، وتفسده عليه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: تلك الغول يا أبا أسيد، فاستمع عليها، فإذا سمعت اقتحامها، فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ، فقالت الغول[3]: يا أبا أسيد، اعفني أن تكلفني أن أذهب إلى رسول الله ﷺ وأعطيك موثقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك، ولا أسرق تمرك، فأدلك على آية تقرؤها على بيتك، فلا تخالف إلى[4] أهلك، وتقرؤها على إنائك فلا يكشف غطاؤه[5] فأعطته الموثق الذي رضي به منها، فقالت: الآية التي أدلك عليها هي آية الكرسي. ثم حكت[6] أسنانها تضرط. فأتى النبي ﷺ فقص عليه القصة حيث ولّت. فقال النبي ﷺ: صدقت وهي كذوب.

اشتمال سورة البقرة على آخر ما نزل من القرآن

وروى البخاري في التفسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على رسول[7] الله ﷺ، آية الربا[8].

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٣.

(٢) قال في اللسان ١/٤٦٥: هي مثل الصُّفَّةِ بين يدي الغرفة.

(٣) كذا بالأصل ومجمع الزوائد، وواضح أن في الكلام حذفاً يسهل على القارىء تقديره.

(٤) في د: الا.

(٥) في مجمع الزوائد: نكشف غطاءه.

(٦) في د: حلت.

(٧) فيالبخاري: علي النبي ﷺ.

(٨) صحيح البخاري: كتاب التفسير، «سورة البقرة»، باب واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ٥/١٦٤.

وروى أبو عبيد عن ابن شهاب(١) قال: آخر القرآن عهداً بالعرش: آية الربا وآية الدَّيْنِ.

وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية أنزلت من القرآن: ﴿ واتقوا(٢) يوماً تُرْجَعُون فيه إلى الله ﴾(٣).

---

(١) هومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري.
تقدمت ترجمته.

(٢) الآية ٢٨١.

(٣) وأخرجه البخاري ترجمة: الموضع السابق.

وقد اختلفت العلماء في تعيين آخر ما نزل من الآيات، وآخر ما نزل من السور، وسبب اختلافهم تعدد الروايات الواردة، وخلوها من حديث مرفوع الى النبي ﷺ يقطع مادة الخلاف، فقال كل واحد بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، وكل منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ قبل وفاته، وها هي أقوالهم كما وردت عن السلف: فأما ما ورد في تعيين آخر ما نزل من الآيات:

١ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً تُرْجَعُون فيه الى الله﴾ أخرجه النسائي عن ابن عباس، وترجم به البخاري في صحيحه.

٢ ـ أن آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذَرُوا ما بقِيَ من الرِّبا﴾، أخرجه البخاري عن ابن عباس، والبيهقي عن ابن عمر.

٣ ـ أن آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بِدَيْنٍ﴾ الآية وهو مروي عن ابن شهاب الزهري وسعيد ابن المسيب.

٤ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أُضِيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ رواه ابن مردوية عن أم سلمة رضي الله عنها.

٥ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ الآية، أخرجه الشيخان عن البراء بن عازب.

٧ ـ أن آخر آية نزلت خاتمة سورة براءة: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتّمْ. . .﴾ الآيتان، رواه الحاكم عن أبي بن كعب.

٨ ـ أن آخر آية نزلت قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فلْيَعْمَلْ عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ رواه ابن جرير عن معاوية بن سفيان.

هذا حاصل ما ورد في شأن آخر آيات القرآن نزولاً، وهي أقوال في ظاهرها متعارضة، وروايات متباينة، ومنها القوى، ومنها الضعيف، والمعروف عند العلماء: أنه اذا تعارضت الروايات في أمر من الأمور، واختلفت الأقوال في مسألة من المسائل، فإما أن يجمع بينها ان أمكن الجمع بلا تكلّف. واما أن يرجّح بعضها على بعض بحسب ما يعتريها من القوة والضعف، وقد جمع العلماء بين تلك الأقوال بما لا يدع تعارضاً فيما بينها. فآيات سورة البقرة نزلت دفعة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، الا ان كل واحد أخبر عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل، والى ذلك مال السيوطي، وجنح اليه العلامة البقاعي.

وأما آية آل عمران فتحمل على أنها آخر ما نزل في شأن النساء، لا على أنها آخر ما نزل من القرآن.

وأما آية سورة النساء: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً﴾ فتحمل على أنها آخر ما نزل في قتل المؤمن عمداً، ولذا فقد جاء في الرواية: هي آخر ما نزل وما نسخها شيء.

وأما آية آخر سورة النساء: ﴿يستفتونك قل الله يُفْتيكم في الكَلاَلَة﴾ فتحمل على أنها آخر ما نزل من آيات المواريث.

وأما الآيتان من آخر سورة براءة، فيحمل القول فيهما على أنهما آخر ما نزل مِنْ سورة الكهف، فالرواية فيها ضعيفة، ولذا فقد قال الحافظ ابن كثير: هذا أثر مشكل ولعله أراد: لم ينزل بعدها آية تنسخها، بل هي آية مثبتة محكمة.

ولم يبق بعد ذلك الا القول بآخر الآيات في سورة البقرة، وبخاصة آية: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾ الآية. ومال اليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٢٠٥، لما فيها من الإشارة الى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول.

وقال الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان ١/٩٠: ولكن النفس تستريح الى أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله، ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾. وذلك لأمرين: أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة الى ختام الوحي والدين بسبب ما تَحُثُّ عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوه به من الرجوع الى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله. اهـ.

قال: زعموا: أن رسول الله ﷺ مكث بعدها تسع ليال[1] بدأ به[2] يوم السبت، وتوفي يوم الاثنين. انتهى.

ولا مخالفة، لأنها من آيات الربا والدِّين.

وقال بعض العلماء: هي[3] أرجى آية في القرآن، لأنها أطول آية فيه، وقد أرشد الله فيها العباد إلى حفظه بأنواع كثيرة من الاحتياط، وإذا كان هذا لطفه بأموالهم الفائتة، فكيف يكون حفظه عليهم لإيمانهم الذي ينفعهم في آخرتهم على الدوام.

وروى مسلم وغيره، عن ابن عباس ـ وغيره ـ رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾[4]، دخل قلوبهم منها شيء، لم يدخلها من شيء[5]، فقال النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا، قال: فألقي الله عز وجل في قلوبهم الأيمان، فأنزل الله عز وجل ﴿ آمن الرسول بما أُنزِلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله ﴾ ـ إلى

= هذا، وأما مسلك الترجيح بين الروايات: فما رواه البخاري في صحيحه بشأن آية الربا وآية ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾، أرجح وأصح من غيره الوارد في غير الصحيح، بل وأرجح مما رواه الشيخان بشأن آية الكلالة، لأن آية سورة البقرة تعددت فيها الروايات، وجاءت في الصحيح بطرق مختلفة، بخلاف غيرها من الآيات التي قلت رواياتها ورواتها وان جاءت في الصحيح أو الصحيحين. ولذا فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٣١٦: وأصح الأقوال في آخرية الآية، قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾.

هذا في آخر ما نزل من الآيات، وأما آخر ما نزل من السور فسيأتي فيه الكلام في سورة المائدة. ان شاء الله.

(١) نسبه الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٣٣، والحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٢٠٥ الى ابن جريج، وأشار الى انه من رواية الطبري عنه.

(٢) أي بدأ به المرض.

(٣) يعني آية الدين.

(٤) الآية ٢٨٤ من السورة.

(٥) اللفظ في صحيح مسلم هكذا: لم يدخل قلوبهم من شيء.

قوله ـ: ﴿ لا يكلِّف الله نفساً إلا وُسْعَها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾، قال: قد فعلت، ﴿ ربَّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً [١] كما حَمَلْتَهُ على الذين من قبلنا ﴾، قال: قد فعلت ﴿ واعْفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾[٢]، قال: قد فعلت[٣].

ورواه عن أبي هريرة بنحوه، وقال: «نعم» موضع «قد فعلت».

وفي سورة طه عن أبي أمامة رضي الله عنه في فضلها[٤].

وتقدم في الفاتحة من ذلك[٥].

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٦٢: الإصر: العهد والميثاق.
وقيل: الحمل والثقل.

(٢) الآيات ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ٢/١٤٦.

(٤) راجع: جـ ٢/٣٨٦ وما بعدها.

(٥) راجع.

سورة آل عمران

مدنية إجماعاً. هكذا قالوا.

وقال النجم النسفي في تيسيره: مكية في قول عكرمة[1] والحسن البصري مدنية في قول عامة أهل التفسير.

وقال الجعبري في شرح الشاطبية: مدنية، إلا خمس آيات فمكية.

وهي إحدى الزهراوين. وتاج القرآن.

عدد آياتها وفواصلها

وآيها مائتان في جميع العدد، فهي متفقة الإجماع، مختلفة التفصيل. اختلافها في سبع آيات:

(١) هو عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري.
قال الحافظ في التقريب ٢/٣٠: ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة. اهـ. ومات سنة ١٠٧ من الهجرة.

﴿ الم ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ الإنجيل ﴾[2] الأول، أسقطها الشامي وحده.

﴿ وأنزل الفرقان ﴾[2] أسقطها الكوفي وحده.

﴿ الإنجيل ﴾[3] الثاني، عدها الكوفي وحده.

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾[4] عدها البصري وحده.

﴿ مما تحبون ﴾[5] الأول، أسقطها الكوفي والبصري، وأبو جعفر القاريء وعدها الباقون وشيبة بن نصاح.

﴿ مقامُ إبراهيم ﴾[6] عدها الشامي وأبو جعفر، ولم يعدها الباقون وشيبة.

وفيها مما يشبه الفواصل ما يتلفق[7] من قولى الداني والجعبري، ثلاث عشرة كلمة:

﴿ ولهم عذاب شديد ﴾[8]. ﴿ عِنْدَ الله الإِسْلامُ ﴾[9]، ﴿وحَصُوراً﴾[10] ﴿إلا رَمْزاً﴾[11]، ﴿يخلق ما يشاء﴾[12]، ﴿في الأميين

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ٣.

(٣) آية: ٤٨.

(٤) آية: ٤٩.

(٥) آية: ٩٢.

(٦) آية: ٩٧.

(٧) في د: يتعلق.

(٨) آية: ٤.

(٩) آية: ١٩.

(١٠) آية: ٣٩.

(١١) آية: ٤١.

(١٢) آية: ٤٧.

سبيـل ﴾[١]، ﴿ أفغير دين الله يبغـون ﴾[٢]، ﴿ لهم عذاب أليم ﴾[٣]، ﴿ إليه سبيلاً ﴾[٤]، ﴿ من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾[٥]، ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾[٦]، ﴿ أذى كثيراً ﴾[٧]، ﴿ متاع قليل ﴾[٨].

وفيها عكس ذلك وهو ما يشبه الوسط، وهو رأس آية: ست.

﴿ بـالأسحـار ﴾[٩]، ﴿ يفعـل مـا يشـاء ﴾[١٠]، ﴿ يقـول لـه كن فيكون ﴾[١١]، ﴿ قال له كن فيكون ﴾[١٢]، ﴿ ولِيَعْلَم المؤمنِين ﴾[١٣]، ﴿ في البلاد ﴾[١٤].

رويها تسعة أحرف: مر لقد أطنب.

القاف: الحريق[١٥]، والهمزة: السماء[١٦]، والدعاء[١٧]، وما يشاء[١٨].

---

(١) آية: ٧٥.
(٢) آية: ٨٣.
(٣) آية: ٩١.
(٤) آية: ٩٧.
(٥) آية: ١٥٢.
(٦) آية: ١٥٥.
(٧) آية: ١٨٦.
(٨) آية: ١٩٧.
(٩) آية: ١٧.
(١٠) آية: ٤٠.
(١١) آية: ٤٧.
(١٢) آية: ٥٩.
(١٣) آية: ١٦٦.
(١٤) آية: ١٩٦.
(١٥) آية: ١٨١.
(١٦) آية: ٥.
(١٧) آية: ٣٨.
(١٨) آية: ٤٠.

مقصودها

ومقصودها: التوحيد.

وذلك أن الفاتحة ـ وهي أم القرآن ـ لما كانت جامعة للدِّين إجمالاً جاء ما به التفصيل، وهو القرآن ، الذي هي أمه، محاذياً لذلك، فابتدأ بسورة الكتاب، المحيط بأمر الدين، كما أن الفاتحة محيطة بأم القرآن، ثم بسورة التوحيد، الذي هو سر حرف الحمد، أول حروف الفاتحة السبعة، لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقوم بناء شيء من الدين بدونه، كما أن الفاتحة أس القرآن.

وأيضاً: فلما ثبت بالبقرة أم الكتاب، في أنه هدى، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت هذه لإثبات أمر الدعوة الجامعة، في قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾[1]، فأثبت الوحدانية له سبحانه بإبطال إلهية غيره بإثبات أن عيسى عليه السلام ـ الذي كان يحي الموتى ـ عبده، فغيره بطريق الأولى.

وعلم أن الذي أقدره على إحياء الموتى، تارة بالنفخ، وتارة بغيره، هو الذي أقدر أحاد بني إسرائيل ـ على عهد موسى عليه السلام ـ على إحياء ذلك القتيل، بضربه بلحم تلك البقرة، التي أمرهم موسى عليه السلام بذبحها وسميت بها السورة إشارة إلى ما تقدم من التطبيق بين اسمها ومسماها.

فلما ثبت بهذا: أن الكل عبيده سبحانه، جاءت سورة النساء داعية إلى إقبالهم إليه، واجتماعهم عليه.

والدليل على أن المقصود من هذه السورة، الدلالة على التوحيد: تسميتها بآل عمران، فإنه لم يعرب عن هذا القصد في هذه السورة، ما

---

(١) آية: ٢١.

أعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم، بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد، الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة، كما أن التوحيد خاصته المعقولة.

والتوحيد موجب لزهادة المتحلي بهذه السورة.

فلذلك سميت الزهراء، وهو في نفسه ملزوم للأنوار الزاهرة، والأضواء الباهرة كلها، التي هي الأدلة الحقة للدين الحق، فلا يمكن رؤيتها على الحقيقة بدون تصحيحه. والله تعالى الهادى[1].

---

(١) وقال في نظم الدرر ١٩٥/٤: المقاصد التي سيقت لها هذه السورة: إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما، مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أُعد للمتقين من الجنة والرضوان، هو الذي ينبغي الإقبال عليه، والمسارعة اليه. وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر، والصدق والإنفاق، والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة. اهـ.

ولإبراز هذا المقصد ـ أي التوحيد ـ تسير السورة بتسلسل في ثلاثة خطوط رئيسة، تلتقي كلها حول هدف واحد هو إبراز هذا الجانب. أما الخط الأول: فهو بيان معنى الدين، ومعنى الإسلام.

فالدين هو صورة التوحيد المطلق، الذي يتمثل في توحيد الألوهية فلا إله في الوجود إلا الله. وفي توحيد القوامة على البشر وعلى الكون كله، فلا يقوم شيء في الوجود الا بالله تعالى، ولا يقوم بتدبير أمر الخلائق الا الله جلت قدرته. ومن هنا يكون الدين الذي يقبله الله من عباده هو: الإسلام. ومعناه: الاستسلام المطلق للقوامة الإلهية، والتلقي من هذا المصدر وحده في كل شأن من شئون الحياة والتحاكم الى كتاب الله المنزل من هذا المصدر.

ويتكي سياق السورة على هذا الخط. ويوضحه في كثير من الآيات بشكل ظاهر ملموس. ومن هذه الآيات:

﴿الله لَا إِلَهَ إلاّ هو الحَ القَيُّوم﴾... ﴿شَهِدَ الله أنّه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولُو العلم قائماً بالقسط لا إلهَ إلاّ هو العزيز الحكيمُ﴾... ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾... ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم. فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾... ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعَوْن الى كتاب الله ليحكم بينهم﴾... ﴿قل إن كنتم تحبون الله =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم في صحيحه، والترمذي وقال: حسن غريب، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

فاتبعوني يحببكم الله﴾... ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾... ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾... ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه﴾.

وأما الخط الثاني: فهو تصوير حال المسلمين مع ربهم. واستسلامهم له، وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول والطاعة، والاتباع الدقيق، وتعرض السورة لذلك الاتجاه في كثير من الآيات، منها:

﴿والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا﴾... ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله آمناً بالله واشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾... ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشَوْهُم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾... ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار، ربنا انك من تدخلِ النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنُوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبناوكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتِنَا ماوَعَدتَّنَا على رسلك ولا تُخْزِنا يوم القيامة إنك لا تُخْلِفُ الميعاد﴾.

وأما الخط الثالث: فهو التحذير من ولاية غير المؤمنين، والتهوين من شأن الكافرين، وتقرير أنه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولي الكفار الذين لا يحتكمون لكتاب الله، ولا يتبعون منهجه في الحياة. وتعرض السورة لذلك في كثير من الآيات. منها:

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾... ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يُضلّون إلا أنْفَسَهم وما يشعرون﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين...﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خَبَالاً ودُّوا ما عنتم، فقد بَدَت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر﴾... ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾.

راجع: في ظلال القرآن ١/٣٥٧ وما بعدها.

يقول: يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين[1] كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهن بعد، فقال: تأتيان كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان، بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما فِرْقان[2] من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما[3].

ولفظ الترمذي: كأنهما غمامتان بينهما إشراق، أو كأنهما غمامتان سوداوان، أو كأنهما ظلتان من طير صواف، يجادلان عن صاحبهما[4].

وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: تعلَّموا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما تعلموا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة.

وله في الأوسط، عن أنس رضي الله عنه نحوه.

والمعنى في هذا الحديث ـ وما أشبهه ـ: أنه يجيء فضل العمل وثواب القراءة، لما أشار إليه قوله: وأهله الذين كانوا يعملون به.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في سورة السجدة التعبير عن هذا المراد بأوضح مما هنا، وأقرب إلى الظاهر، والله الموفق.

والإشارة بالسواد إلى قوة الإظلال.

---

(١) في د: الذي.

(٢) في صحيح مسلم: «حزقان» بحاء مهملة، بعدها زاي معجمة، وقاف بعدها ألف.
قال النووي في شرح مسلم ٦/٩٠: الفرقان ـ بكسر الفاء واسكان الراء والحزقان، بكسر الحاء المهملة واسكان الزاي ـ ومعناهما واحد وهما: قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة.

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن سورة البقرة ٦/٩٠.

(٤) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران ٥/١٦٠ حديث رقم ٢٨٨٣.

والشرق: قال المنذري: بفتح الشين المعجمة، (وقد تكسر)[1] وبسكون الراء، بعدهما قاف، أي بينهما فرق يضيء[2].

وفي القاموس: أن الشرق: الضوء نفسه، فهو حينئذ الفارق بينهما[3].

وسر تمثيلهما بذلك:

أما بالغمام والظلة: فلما مضى في البقرة من ظهور مجد الله تعالى - الذي هذه سورة توحيده - في الغمام. وذلك لأن مظهر الرحمة بالغيث والظل، والنسيم، والروح، كما كان لبني إسرائيل.

ولأن بني إسرائيل كانت علامة قبول أعمالهم: نزول نار تأكل القربان فعوضنا من ذلك ظلا يروح الأجسام، وينعش الأرواح، معه نور[4] يشرح الصدور ويبهج النفوس.

وأما الطير: فللإيمان بما فيها من إكرام عيسى عليه السلام بتكوين الطير مع أنه عبد الله، واكرام الشهداء بأن أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها.

وشاركتها البقرة في الشهداء، وفي إكرام الخليل عليه السلام بإحياء الطيور.

وأما النور: ففي مقابلة النار، وكما كان لبني إسرائيل المذكورين في كثير منها من عمود النور في الغمام بالنهار. والله الموفق.

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٧٢.

(٣) وقال صاحب النهاية ٢/٤٦٤: الشرق ههنا: الضوء، وهو الشمس والشق أيضاً.

(٤) في د: نوح.

وعند الطبراني في الأوسط والكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ السورة التي يذكر[1] فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس.

وللبيهقي في الشعب عن مكحول مرسلاً، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة، صلت عليه الملائكة إلى الليل.

ورواه الدارمي عن مكحول موقوفاً عليه[2].

وللطبراني في الأوسط بسند ـ قال المنذري: فيه بقية[3] ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما خيب الله امرءاً قام في جوف الليل، فافتتح سورة البقرة وآل عمران.

ولأحمد وأبي داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجة، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ **والهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلاَّ هو الرحمن الرحيم** ﴾[4]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ **الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم** ﴾[6].

---

(١) في د: الذي.
(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٣٢٥. حديث رقم ..٣٤.
(٣) الترغيب والترهيب ١/٤٣٤.
وبقية: هو بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي، أبو يحمد ـ بضم التحتانية وسكون المهملة، وكسر الميم ـ قال الحافظ في التقريب ١/١٠٥: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء.
(٤) سورة البقرة آية ١٦٣.
(٥) آية: ٢.
(٦) مسند الإمام أحمد ٦/٤٦١، وليس فيه: «وفاتحة آل عمران».
وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٥/٥١٧ حديث رقم ٣٤٧٨.
=

وفي رواية للإمام أحمد: أن الآية الثانية لآية آل عمران، آية الكرسي.

ولأحمد عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول، اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب؟. قال: نعم، ما خلق الله من بشر من بني آدم، إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن شاء الله أقامه، وإن شاء أزاغه. فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه (هو)الوهاب، قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟. قال: بلى، قولي: اللهم ربَّ النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضِلَّات الفتن ما أحييتني[1].

قال الهيثمي: وروى الترمذي بعضه[2]، ورواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق[3].

= وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء ٢/٨ حديث رقم ١٤٩٦.
وسنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٩٦٧ حديث رقم ٣٨٥٥.
وفي سنن الحديث عبيد الله بن أبي زياد القداح المكي ليس بالقوى، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٥٣٣، وشهر بن حوشب وهو صدوق كثير الارسال والأوهام كما ذكر الحافظ ـ أيضاً ـ في التقريب ٢/٣٥٥.

(١) مسند الإمام أحمد ٦/٣٠٢.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ٩٥ ـ ٥/١٩٩ حديث رقم ٣٥٨٨.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) مجمع الزوائد: كتاب التفسير، و ٧/٢١١ كتاب القدر.
قال الذهبي يفي الميزان ٢/٢٨٣: كان شهر على بَيْتِ المال فأخذ منه دراهم، فقال قائل:

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراءَ بعدك يا شهر

وللطبراني بسند فيه عمر بن المختار ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[1] ـ عن غالب القطان[2]، قال: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريباً من الأعمش، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر، قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآية: «شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدِّين عند الله الإسلامُ ﴾[3]، قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة، وهي عند الله وديعة، ﴿ إن **الدين عند الله الإسلام** ﴾ قالها مراراً، قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فغدوت إليه فودَّعته ثم قلت: يا أبا محمد، إني سمعتك تردد هذه الآية. قال: أو ما بلغك فيها؟. قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني. قال: والله لأحدثنَّك بها سنة، فأقمت سنة فكتبت[4] على بابه، فلما مضت السنة. قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة، قال: حدثني أبو وائل[5]، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله تعالى: عبدي عهد إليَّ وأنا أحق من وفي بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة[6].

وله ـ أيضاً ـ عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ـ

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٥.
وقال الذهبي في الميزان ٣/٢٢٣: عمر بن المختار البصري، عن يونس بن عبيد، وغيره، قال ابن عدى: روى الأباطيل.

(٢) هو غالب بن خطاف القطان البصري. قال الذهبي في الميزان ٣/٣٣٠: من رجال الصحيحين، وقال فيه أحمد: ثقة، ثقة.

(٣) سورة آل عمران آية ١٧ ـ ١٨.

(٤) كذا بالأصل ومجمع الزوائد. وفي ابن كثير: فكنت. وهذا أصوب.

(٥) هو عبد الله بن بحير الصنعاني القاص، من شيوخ عبد الرزاق. وهو أبو وائل، وثقة ابن معين، وقال ابن حبان: يروي العجائب التي كأنها معمولة، ولا يحتج به. وهو غير عبد الله بن بحير بن ريسان. ذاك ثقة.
راجع الميزان ٢/٣٩٥ ترجمة رقم ٤٢٢٢.

(٦) قال الهيثمي ٦/٣٢٦: فيه عمر بن المختار وهو ضعيف كما تقدم فهو حديث ضعيف.

قال الهيثمي: وهو ضعيف[١] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين، يقولون: يا عباد الله، هذا الطريق، واعتصموا بحبل الله جميعاً. قال: الصراط المستقيم: كتاب الله.

وللإمام أحمد عن أبي يحيى مولى آل الزبير (عن الزبير بن العوام)[٢] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية: **﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾**، وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب[٣].

ورواه الطبراني، إلا أنه قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿العزيز الحكيم﴾ (قال: وأنا أشهد أن لا إله إلا أنت العزيز الحكيم)[٤].

قال الهيثمي: وفي إسناديها مجاهيل[٥].

ولصاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه، وأبي الشيخ بن حيان عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ـ إلى قوله: الإسلام ـ قال أنس رضي الله عنه: عند منامه ـ، خلق الله منه سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة[٦].

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٦.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٨٩ عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل.
وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/١٠٢ وقال: تفرد به عمر بن المختار وهو يحدث بالأباطيل.

(٢) زيادة عن المسند.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/١٦٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٥) مجمع الزوائد ٦/٣٢٥.

(٦) حديث أنس، مداره على مجاشع بن عمرو، وهو منكر الحديث. =

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة، جيء به يوم القيامة، فقيل: عبدي هذا عهد إليّ عهداً، وأنا أحق من وَفَّى بالعهد.

ولأبي الشيخ ابن حبان، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة البقرة وآل عمران، إيماناً واحتساباً، جعل الله له يوم القيامة جناحين منظومين بالدر والياقوت، يطير بهما على الصراط أسرع من البرق[١].

ولأبي عبيد في الفضائل والغريب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ سورة آل عمران، فهي غنى[٢].

وله فيهما عنه ـ رضي الله عنه ـ: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران، يقوم بها الرجل من آخر الليل[٣].

وللطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى رسول الله ﷺ أتى معاذاً فقال: يا معاذ مالي لم أرك؟. فقال: يا رسول الله ليهودِيٍّ عَلَيَّ وقية من تبر، فخرجتُ إليك، فحبسني عنك، فقال له رسول الله ﷺ: يا معاذ ألا أعلمك دعاء تدعو به، فلو كان

= قال العقيلي: حديثه منكر، وقال ابن معين: قد رأيته أحد الكذابين، وقال البخاري: مجاشع بن عمرو أبو يوسف منكر مجهول. والحديث ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١٢ حديث رقم ٩٧٩.

والفتني في تذكرة الموضوعات ٨٠.

وراجع: ترجمة مجاشع في الميزان ٣/٤٣٦، والمغنى في الضعفاء ٢/٥٤١.

(١) لم أعثر له على تخريج. وفيه مبالغة ظاهرة، تشهد بعدم صحته.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٧٠.

(٣) غريب الحديث ٢/١٨١.

وأخرجه الدارمي في سننه: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٤٥٣.

والمراد بالصعلوك: الفقير الذي لا مال له يتصدق منه.

عليك من الدَّين مثل صَبِر أداه الله عنك - وصبر، أي بالمهملة. وزن كتف: جبل باليمن[1] - قال في القاموس: مطل على ثغر - فادع الله يا معاذ، قل: اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذك من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار، وتولج النار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما، وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك.

وفي رواية بعده: اللهم أغنني من الفقر، واقض عني الدين، وتوفني في عبادتك، وجهاد في سبيلك.

ورواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد، عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاذ بن جبل: ألَا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبلٍ دَيْناً لأداه الله تعالى عنك؟.» ﴿ **قل اللهم مالك الملك** - فساقه - إلى: **كل شيء قدير** ﴾[2]، رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة، تعطيهما من تشاء، وتمنعهما من تشاء، بيدك الخير، ارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك[3].

قال العلائي: وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ آخر[4].

---

(١) وقال ابن الأثير في النهاية ٩/٣: هو اسم جبل باليمن. وقيل: إنما هو مثل جبل صير، باسقاط الباء الموحدة، وهو جبل لطيء.
وهذه الكلمةجاءت في حديثين لعلي ومعاذ: أما حديث علي فهو: صير. وأما رواية معاذ: فصبير. كذا فرق بينهما بعضهم.
قلت: وجاء في حديث أبي وائل عند الحاكم في المستدرك ٥٣٨/١: لو كان عليك مثل جبل صبير دينا. . الحديث.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢٠٢/١.
قال الهيثمي في الزوائد ١٨٦/١٠: رواه الطبراني في الصغير، ورجاله ثقات.

(٤) المستدرك: كتاب الدعاء ٥١٥/١ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، =

وروى البزار ـ قال الهيثمي: برجال الصحيح[١] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض** ﴾[٢]، فأين النار؟. قال: أرأيت الليل يطمس كل شيء، فأين النهار؟. قال: حيث شاء الله، قال: فكذلك حيث شاء الله[٣].

وعند ابن حبان في صحيحه من طريق عبيد بن عمير أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: يا عائشة ذريني أتعبد الليلة

= ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ أبو بكر فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه؟. قلت: ما هو؟. قال: كان عيسى بن مريم يعلمه أصحابه قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا، فدعا الله بذلك، لقضاه الله عنه: اللهم فَارِجَ الهَمِّ، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني، فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك.

وفي سنده الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي، قال احمد: أحاديثه كلها موضوعة، وقال أبو حاتم: كذاب. وقال النسائي والدار قطني وجماعة: متروك الحديث.

راجع: الميزان ١/٥٧٢ الترجمة رقم ٢١٨٠.

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٣.

(٣) وأخرجه ابن حبان: موارد الظمآن ص ٤٢٨.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٠٤: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك: أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل اذا جاء النهار، ألا يكون في مكان وان كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار.

الثاني: أن يكون المعنى: أن النهار اذا تغشي وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون في الجانب الآخر. فكذلك الجنة تكون في أعلى عليين فوق السموات تحت العرش، وعرضها ـ كما قال الله عز وجل ـ كعرض السموات والأرض، والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السموات والأرض، وبين وجود النار. اهـ.

لربي، فقلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يُؤْذِنُه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟. لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿ **إن**[1] **في خلق السموات والأرض** ﴾ الآية كلها[2].

ورواه ابن مردويه في التفسير[3]، وابن أبي الدنيا في كتاب «التفكر» من وجه آخر. وفيه: أتاني في ليلته حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني حتى أتعبد لربي.

وفيه: فقام إلى القِرْبَةِ فتوضأ منها، ولم يكثر صب الماء، وقال بعد البكاء في السجود: ثم اضطجع على جنبه يبكي، حتى أتاه بلال يؤذنه بصلاة الصبح[3].

قال ابن رجب: وخرّجه عبد بن حميد بسياق مطول، من طريق ابي جناب الكلبي[4]، وهو متكلم فيه.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ ـ ١٩٤.

(٢) رواه ابن حبان من طريق عمران بن موسى عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن ابراهيم بن سويد النخعي، عن عبد الملك بن سليمان عن عطاء. وكلهم ثقات.
قال الحافظ ابن كثير ١/٤٤١: وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار» عن شجاع بن أشرس به.

(٣) رواه من طريق حشرج بن نباتة الأشجعي الكوفي، ضعفه البخاري والنسائي، وذكره ابن عدى في الكامل وسرد له أحاديث منكرة.
الميزان ١/٥٥١.

(٤) هو يحيى بن أبي حية ـ بحاء مهملة بعدها ياء تحتانية ـ أبو جناب الكلبي، مشهور =

وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان يرفعه: من قرأ آخر آل عمران، ولم يتفكر فيها ويله، فعد بأصابعه عشراً[١].

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضاً ـ أن الأوزاعي سئل: ما أدنى ما يخرج عن العهدة في التفكر؟. (فأطرق هنيهة)[٢]، فقال: يقرؤهن وهو يعقلهن.

وللطبراني في الكبير ـ بسند فيه يحيى الحماني وهو ضعيف[٣] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟. قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟. قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية: ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾[٤] ليتفكروا فيها[٥].

= بكنيته، المتوفي سنة ١٤٧. قال الحافظ ابن حجر: ضعفوه لكثرة تدليسه، وقال الفلاس: متروك. وقال النسائي: ليس بالقوى. وقال أبو نعيم: ثقة يدلس.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٤٦. والخلاصة ٤٢٢. والميزان ٤/٣٧١.

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبد العزيز: هو ابن الوزير الجذامي الجروي المصري البغدادي المتوفي سنة ٢٥٧هـ. وثقة أبو حاتم. وقال الدار قطني: لم ير مثله فضلاً وزهداً.
الخلاصة ٧٩.
وسنيد: هو ابن داود المصيصي المفسر، المتوفي سنة ٢٢٠. ضعفه أبو حاتم. الخلاصة ١٦٢.

(٢) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(٣) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٩.
وترجمة يحيى في تقريب التهذيب ٢/٣٥٢، والخلاصة ٤٢٥.
والميزان ٤/٣٩٢.

(٤) الآية ١٩٠ من السورة.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٣٨: وهذا مشكل، فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة. =

وللبيهقي في الشعب، عن عثمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ آخر آل عمران في ليلة، كتب له قيام ليلة.

ورواه الدارمي موقوفاً على عثمان رضي الله عنه[1].

وللشيخين، وأبي داود في السنن، والنسائي، وابن ماجه، وعبد بن حميد والبيهقي في الدعوات، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رقد عند رسول الله ﷺ، فرآه استيقظ فتسوك وتوضأ، وهو يقول: ﴿ **إن في خَلْق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**﴾[2] حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات: ست ركعات، كل ذلك يستاك ثم يتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، ثم أتاه المؤذن، فخرج إلى الصلاة، ورسول الله ﷺ يقول: اللهم اجعل في قلبي نوراً... الحديث[4].

= وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٢٣٥: ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ الى المدينة، ولا سيما في زمن الهدنة.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل +لله ٢/٣٢٥. حديث رقم ٣٣٩٩.

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ ـ ٢٠٠.

(٣) جاء في بعض طرقه عند البخاري ١/١٧١: وكان اذا نام نفخ.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب السمر في العلم ١/٣٧، وكتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء ١/٤٣، وباب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ١/٥٣، وكتاب الأذان، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل ١/٢٠٨، وباب يقوم من يمين الإمام بحذائه سواء اذا كان اثنين ١/١٧٧ والبابين بعده، وباب ميمنة المسجد والإمام ١/١٧٨، وكتاب الوتر، باب ما جاء في الوتر ٢/١٢، وكتاب العمل في الصلاة، باب استعانة اليد في الصلاة اذا كان من أمر الصلاة ٢/٥٨. وكتاب التفسير سورة آل عمران، باب ان في خلق السموات والأرض ٥/١٧٤، وباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ٥/١٧٥، وباب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ٥/١٧٥، وباب ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ٥/١٧٦. =

ورواه أبو بكر الشامي في الخامس من «الغيلانيات»، عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: بتُّ ليلةً عند النبي ﷺ، فلما انصرف من العشاء الآخرة، انصرفتُ معه، فلما دخل البيت ركع ركعتين خَفِيفَتَيْنِ، ركوعهما مثلُ قعودهما، وسجودهما مثل قيامهما، وذلك في الشتاء، ورسول الله ﷺ في الحجرة، وأنا في البيت، فقلتُ: والله لأَرْمُقَنَّ الليلةَ رسولَ الله ﷺ، ولأَنْظُرَ كيف صَلَاتُهُ، قال: فاضطجع في مُصَلَّاهُ حتى سمعتُ غطيطه[1]، قال: ثم تَعَارَّ[2]، فنظر في أفق السماء وكبَّر، ثم قرأ العشر الآيات من سورة

= وكتاب اللباس، باب الذوائب ٧/٥٩. وكتاب الأدب، باب رفع البصر الى السماء ٧/١٢٢. وكتاب الدعوات، باب الدعاء اذا انتبه من الليل ٧/١٤٨. وكتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق ٨/١٨٧.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل ٦/٥١.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجلين يؤم أحدهما صاحبه كيف يقومان ١/١٦٦ حديث رقم ٦١٠، وباب صلاة الليل ٢/٤٤ حديث رقم ١٣٥٣.

وسنن النسائي: كتاب الإمامة، باب الجماعة اذا كانوا اثنين ٢/١٠٤. وسنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في كم يصلي من الليل ١/٤٣٣ حديث رقم ١٣٦٣.

وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي ﷺ في الوتر ١/٢٢١.
وذكره العلامة ابن الأثير في جامع الأصول ٥/٦٠٠ حديث رقم ٣٨٥٢ وقال: هذه الروايات أطراف من حديث طويل، له روايات كثيرة، وطرق عدة، قد أخرجه الجماعة.
واستقصى كل رواياته في نفس الكتاب ٦/٨٠ حديث رقم ٤١٩٧.

(١) قال في النهاية ٣/٣٧٢: الغطيط: الصوت الذي يخرج من نفس النائم.
وراجع: مقاييس اللغة ٤/٣٨٤ ـ ومختار الصحاح ص ٤٧٦.

(٢) قال في النهاية ١/١٩٠: أي هب من نومه واستيقظ.

آل عمران، ثم أخذ سواكاً فاستن(١)، ثم خرج فقضى حاجته، ثم رجع إلى شَنٍّ(٢) مُعلَّقةٍ فصبَّ على يده، ثم توضأ ولم يوقظ أحداً، وصلى ركعتين، ركوعهما مثل سجودهما، وسجودهما مثل قيامهما، وقال: فأُراه صلى مثل ما رقد، ثم اضطجع مكانه، ورقد حتى سمعتُ غطيطه(٣).

وللدارمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن أخاً لكم أُرِي في المنام: أن الناس يسلكون في صدع جبل(٤) وَعْرٍ طويل، وعلى رأس الجبل شجرتان خَضْرَوَانِ تَهْتِفان: هل فيكم مَنْ يقرأ سورة البقرة، هل فيكم من يقرأ سورة آل عمران؟. فإذا قال الرجل: نعم. دنتا بأعذاقهما - أي أغصانهما - حتى يتعلق بهما فتخطو به الجبل(٥).

وله عن مسروق قال: قرأ رجل عند عبد الله رضي الله عنه البقرة وآل

---

(١) قال في النهاية ٢/٤١١: الاستنان: استعمال السواك، وهو افتعال من الأسنان أي يمرّه عليها.

(٢) الشن: القربة التي تملأ بالماء. قاله في النهاية ٢/٥٠٦.
وقال في جامع الأصول ٦/٩١: الشن: القربة البالية، وجمعها شنان.

(٣) حديث الفضل بن العباس أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة، باب صلاة الليل ٢/٤٤ حديث رقم ١٣٥٥.
وعلق عليه المرحوم الشيخ أحمد شاكر في معالم السنن ٢/١٠٣ فقال: سكت عنه أبو داود والمنذري، ولكنه منقطع، فإن كُرَيباً لم يدرك الفضل ابن عباس. وحديثه عنه مرسل.

(٤) قال صاحب معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٨: الصدع: النبات، لأنه يصدع الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾.
وقال صحاب مختار الصحاح ص ٣٥٨: الصدع: الشق، وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿ والأرض ذات الصدع﴾.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة وآل عمران ٢/٣٢٤ حديث رقم ٣٣٩٥.

عمران. فقال: قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى(١).

وله عن كعب قال: من قرأ البقرة وآل عمران، جاءتا يوم القيامةتقولان: يا رب لا سبيل عليه(٢).

وله عن عبد الله رضي الله عنه قال: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل(٣).

وله عن أبي السليل قال: أصاب رجل دما، فأوى إلى وادي مجنة، وَادٍ لا يمشي فيه أحد ، إلا أصابته حية، وعلى شفير الوادي راهبان، فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه: هلك ـ والله ـ الرجل.

قال: فافتتح سورة آل عمران، فقالا: قرأ سورة، لعله سينجو قال: فأصبح سليماً(٥).

ولابن السني عن السيد الجليل ـ قال النووي: المجمع على جلالته(٦) ـ

---

(١) سنن الدارمي: الموضع السابق، حديث رقم ٣٣٩٦.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق، حديث رقم ٣٣٩٧.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٣٢٥ حديث رقم ٣٤٠١. والمراد بالصعلوك: الفقير.

(٤) أبو السليل هو: ضريب ـ بالتصغير، وآخره باء موحدة ـ بن نقير، القيسي الجريري.
قال ابن حجر في التقريب ١/٣٧٤: ثقة.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/٤٧٠: ضريب بن نقير ـ بنون وقاف بعدها ياء تحتية ـ بن سمير أبو السليل القيسي بصري. ويقال: ضريب بن نفير ـ بفاء بعد النون ـ من بني قيس بن ثعلبة، روى عن عبدالله بن رباح ومعاذة.
قال يحيى بن معين: ثقة.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل آل عمران ٢/٤٥٣.

(٦) الأذكار للنووي ص ٢٠١.
ووصفه الذهبي في تاريخ الإسلام ٥/٣١٨ بأنه أحد أعلام الهدى، وكان من أصحاب الحسن البصري، توفي سنة ١٣٩: وقيل: سنة ١٤٠ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٤٦، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٦٢، ترجمة رقم ١٣٤.

أبي عبد الله: يونس بن عبيد الله، بن دينار البصري، التابعي المشهور، قال: ليس رجل يكون على دابة (صعبة)[1] فيقول في أذنها: ﴿ أفغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ وله أسْلم مَنْ في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه يُرْجَعُون ﴾ إلا وقفت بإذن الله تعالى[2].

ورواه البيهقي في كتاب «الدعوات» عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله.

ولفظه: إذا استصعبت دابة أحدكم، أو كانت شموساً، فليقرأ هذه الآية في أذنها: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَنْ في السموات والأرض طَوْعاً وكَرْهاً وإليه يُرْجَعُون ﴾[3].

وروى أبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عوف (بن مالك)[4] رضي الله عنه قال: قمت مع النبي ﷺ (فبدأ فاستاك، وتوضأ ثم قام فصلى)[4]، فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة، إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامة[5]، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة، سورة[6].

وفي سورة طه عن أبي أمامه (رضي الله عنه)[7] حديث في فضل القرآن.

(١) ساقطة من: د.

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٣٦ حديث رقم ٥١٠.

(٣) سورة آل عمران آية ٨٣.

(٤) زيادة عن أبي داود.

(٥) عند النسائي: ثم سجد بقدر ركوعه.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/ ٣٢٠ حديث رقم ٨٧٣.

وأخرج نحوه عن حذيفة بن اليمان وفيه: فصلى أربع ركعات، فقرأ فيهن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، أو الأنعام. حديث رقم ٨٧٤.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الدعاء في السجود ٢/ ٢٢٣.

(٧) زيادة عن: د.

سورة النساء

مدنية إجماعاً، كذا قال بعضهم.

وقال الأصبهاني: إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح[1]، في عثمان بن أبي طلحــة، وهي: ﴿ إِنَّ اللهَ يَـأْمُــرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَـانَـاتِ إِلى أَهْلِهَا ﴾[2].

وقيل: نزلت عند هجرة النبي ﷺ.

وقيل: السورة مكية، ولا خلاف أن منها ما نزل بالمدينة.

والظاهر الأول، فإن في البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ما نزلت سورة النساء، إلا وأنا عند رسول الله ﷺ[3].

(١) في د: أم الفتح، وهو تحريف.

(٢) الآية: ٥٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/٢٢٨.

ولا خلاف أن النبي ﷺ إنما بنى بها بالمدينة[1] .

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وسبعون وخمس ايات في المدنيين، والمكي والبصري، والكوفي والشامي، دون غيرهم.

﴿ فيُعذِّبُهم عذاباً أليماً ﴾[2] عدها الشامي وحده.

وفيهاما يشبه الفواصل ثمانية:

﴿ إحداهن قِنْطاراً ﴾[3]، ﴿ عليهن سبيلاً ﴾[4]، ﴿ إلى أَجَلٍ قريب ﴾[5] ﴿ للناس رسولا ﴾[6]، ﴿ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾[7]، ﴿ يكتب ما يُبَيِّتُون ﴾[8]، ﴿ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفا ﴾[9]، ﴿ ولا الملائكةُ المقربون ﴾[10].

وعكسه أربعة:

﴿ ألا تَعُولُوا ﴾[11]، ﴿ مريئاً ﴾[12]، ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾[13]، ﴿ ولا لِيَهْدِيَهُمْ طريقاً ﴾[14].

---

(١) بنى بها في شوال من السنة الأولى من الهجرة، يعني بعد قدومه المدينة بستة أشهر.
راجع: الفتح ٧/٢٢٥.

(٢) الآية: ١٧٣.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٣٤.

(٥) الآية: ٧٧.

(٦) الآية؛ !..

(٧) الآية: ٧٢.

(٨) الآية: ٨١.

(٩) الآية: ١٢٥.

(١٠) الآية: ١٧٢.

(١١) الآية: ٢.

(١٢) الآية: ٤.

(١٣) الآية: ٦٧.

(١٤) الآية: ١٦٨.

ورويها أربعة أحرف: ملنا.

كذا قال الجعبري، وليس كذلك، وإنما رويها سبعة عشر حرفاً، كما عرف في علم العروض، يجمعها قولك: أغث مرض، صلف، قد طعن، تطلب[١] .

مقصودها

مقصودها: الاجتماع على التوحيد، الذي هَدَتْ إليه سورة آل عمران والكتاب الذي حدت إليه[٢] سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيراً مما أراده شاس بن قيس[٣] وأنظاره من الفرقة.

ولما كان مقصودها الاجتماع (على ما دعت إليه السورتان قبلها من

---

(١) الهمزة: «فكلوه هنيئاً مريئاً» الآية: ٤.
الغين: «قولا بليغاً» الآية: ٦٣.
«لا يكادون يفقهون حديثاً» الآية: ٨٧.
الضاد: «نصيبا مفروضاً» الآية: ٧. والآية: ١١٨.
الصاد: «ولا يجدون عنها محيصاً» الآية: ١٢١.
وباقي الأحرف مكرر في السورة بكثرة.

(٢) في نظم الدرر: حدّت عليه.

(٣) هو رجل من يهود بني قينقاع، شديد الكفر، عظيم البغض للمسلمين، مر ذات يوم على جماعة من الصحابة من الأوس والخزرج وهم في مجلس واحد يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم، بعد أن كانوا في الجاهلية متفرقين متحاربين، فأمر شاباً من اليهود كان معه أ يعمد إلى مجلسهم فيذكر لهم يوم بغاث وما كان فيه. وعندئذ تنازع الحيَّانِ، وكادا يقتتلان، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتى إليهم فهدأهم، وعرفوا أنها نزعة من الشيطان وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ورد الله كيد شاس ابن قيس، وأنزل الله فيه وما صنع: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾.
راجع: سيرة ابن هشام ٢/٥٥٥.

التوحيد)[1] وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل ـ عادة ـ الأرحام العاطف التي مدارها النساء، سميت «سورة النساء»[2]. لذلك.

ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد[3].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد، عن حارثة بن مضرِّب[4] قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: تعلَّموا سورة النساء[5]، والأحزاب، والنور.

وروى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل؟. قال: إني أحب[6] أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿ فكيف

---

(١) زيادة عن نظم الدرر.

(٢) سميت «سور النساء»، لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن كثرة لم توجد في غيرها من سور القرآن. ولذلك أطلق عليها «سورة النساء الكبرى» في مقابلة «سورة النساء الصغرى» وهي سورة الطلاق.

(٣) هذه السورة ـ بما حوته من تشريعات وتوجيهات ـ تهدف أساساً إلى محو ملامح المجتمع الجاهلي، وتكييف ملامح المجتمع المسلم وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وتلفت الأنظار إلى الدفاع عن كيانه المميز، وذلك ببيان طبيعة منهجه، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله من المشركين واليهود والمنافقين، وكف حيلهم ومكائدهم، وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم، مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم حياة المسلم، وتصبه في قالب مضبوط.
راجع: في ظلال القرآن/ ٢/٥٥٥.

(٤) بتشديد الراء مكسورة، قبلها ضاء معجمة، قاله ابن حجر في التقريب ١/١٤٥.
قال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ١/١٢: أدرك النبي ﷺ.

(٥) في م: «سور» على الجمع.

(٦) وفي رواية للبخاري: قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري.

إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾[1]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[2].

وفي رواية الترمذي: تهملان[3].

وفي رواية لمسلم: أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر اقرأ علي، فذكر الحديث[4].

وروى الطبراني برجال ـ قال الهيثمي: ثقات[5] ـ، وابن أبي الدنيا عن محمد بن فضالة الظفري، وكان ممن صحب النبي ﷺ، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في مسجد

---

(١) الآية ٤١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، وباب قول المقرىء للقارىء حسبك ٥/١١٣ وباب البكاء عند القرآن ٥/١١٤.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سماع القرآن وتدبره ٦/٨٧.
وسنن أبي داود: كتاب العلم، باب في القصص ٣/٣٢٤ حديث رقم ٣٦٦٨.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة النساء ٤/٣٠٤ حديث رقم ٥٠١٤، ٥٠١٥.
وفضائل القرآن للنسائي ص ١٠٨ حديث رقم ١٠٠.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ٥/١٨٠ عن عمرو بن مرة بلفظ حديث عبدالله بن مسعود. وأشار إليه في كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن ٦/١١٤.
قال الحافظ في الفتح ٩/٩٩: قال ابن بطّال؛ إنما بكى ﷺ عند تلاوته هـذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء.
والذي يظهر: أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً، فقد يقضي إلى تعذيبهم.
قلت: ولا مانع من إرادة الكل.

(٣) وهو كذلك عند أبي داود، والنسائي في فضائل القرآن ص ١٠٨ حديث رقم ١٠٠.

(٤) وكذا رواه الترمذي في صحيحه ٤/٣٠٤ حديث رقم ٥٠٣ في تفسير سورة النساء.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٤.

بني ظفر اليوم، ومعه عبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأناس من أصحابه، وأمر النبي ﷺ قارئاً، فقرأ حتى أتى على هذه الآية: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾، فبكى رسول الله ﷺ، حتى اضطرب لحياه، فقال: أي رب شهدت على من أنا بين ظهرانيه، فكيف بِمَنْ لم أره[1].

وروى عن يحيى بن عبد الرحمن، بن لبيبة، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أر[2].

وروى الروياني[3] ـ وذكره ابن رجب ـ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: دخلت المسجد أنا وفلان وفلان حين هدأ الناس للمَقِيل، فجاء

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٩/٩٩: وأخرج ابن المبارك في الزهد من طريق سعيد بن المسيب قال: ليس من يوم إلا يعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم»، ففي هذا المرسل ما يرفع الإشكال الذي تضمنه حديث ابن فضالة، اهـ.
والإشكال الذي أشار إليه الحافظ في قوله ﷺ: فكيف بمن لم أره.

(٢) قال الهيثمي ٧/٤: رواه الطبراني، وعبد الرحمن بن أبي لبيبة لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.
وقال الذهبي في الميزان ٤/٣٩٣: يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة من شيوخ وكيع، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقاله في ص ٤٠٣ ترجمة رقم ٩٦١١، و٤٠٧ ترجمة رقم ٩٦٢٠.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/١٦٦: «سألت أبي عنه فقال: ليس بقوي». وعليه: فالحديث ضعيف.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن هارون الروياني، نسبة إلى رويان مدينة بنواحي طبرستان، حافظ مشهور، وله مسند معروف، روى عنه أبو بكر الإسماعيلي، وجماعة. وتوفي سنة ٣٠٧ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٢، والرسالة المستطرفة ص ٦١ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣١٦ ترجمة رقم ٧٢٨.

رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، قال: فيومئذ نزلت هذه الآية: ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾[١]، وكان ابن مسعود رضي الله عنه حسن الصوت، فقال له رسول الله ﷺ: اقرأ يا ابن مسعود سورة النساء، فقرأ حتى بلغ «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا». الآيات، فأشار النبي ﷺ: اسكت ثم قال: حق والله لهم[٢] إذا صافحتهم النار وصافحوها، أن يودوا لو تسوى بهم الأرض، وبكى رسول الله ﷺ وبكينا، حتى كدنا نموت، ثم قال: أرددها علينا، فقرأ حتى انتهى عند هذه الآية، قال: حق لهم إذا صافحتهم النار ـ مثل قوله الأول ـ ثم بكى وبكينا معه، ثم قال: اردها، فرددها سبع مرات[٣]، كل ذلك يبكي ويقول: حق لهم ـ مثل قوله الأول ـ لم يسكت حتى اشتهينا أن يسكت من شدة حزنه وبكائه وما نراه صنع.

قال ابن رجب: وهذا سياق غريب، وفيه نكادة، وفيه أبو داود، نفيع[٤]، وفيه ضعف شديد.

وروى ابن المبارك عن موسى بن عبيدة[٥]، عن خالد بن يسار[٦]، قال: لما قرأها ابن أم عبد علي النبي ﷺ بكى فاشتد بكاؤه، ثم قام

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٠٤.

(٢) في د: حق لهم والله.

(٣) في د: سبع مرار.

(٤) هو أبو داود نفيع بن الحارث النخعي، الكوفي الهمداني، الأعمى، يروى عن أنس بن مالك وابن عباس، وعمران بن حصين، وزيد بن أرقم، وآخرين قال الذهبي في الميزان ٤/٢٧٢: قال العقيلي: كان يغلو في الرفض.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح ٨/٤٩٠: منكر الحديث.

(٥) في د: عبيد.
وهو خطأ، لأنه موسى بن عبيدة الربذي، المتوفي سنة ١٥٣ هـ.
راجع: ترجمته في الميزان ٤/٢١٣ ترجمة رقم ٨٨٩٥.

(٦) قال ابن أبي حاتم ٣/٣٦٢، والذهبي في الميزان ١/٦٤٨: مجهول.

مغطياً رأسه حتى دخل بيته[١].

قال ابن رجب: وهذا مرسل ضعيف[٢].

وفي جامع الأصول ـ غير معزو[٣] ـ عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما في القرآن أحب إليّ من هذه الآية: ﴿ **إن[٤] لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خمس آيات ما يسرني أن لي بهن الدنيا وما فيها، إحداهن: ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْن عنه** ﴾[٦] إلى آخرها و﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾[٧] إلى آخرها. و﴿ **ولو أنهم إذا**

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك ص ٣٦ حديث رقم ١١١.

(٢) ضعيف للجهل بخالد بن يسار، وموسى بن عبيدة الربذي مختلف فيه والأكثرون على تضعيفه، واتقاء حديثه، راجعه في الميزان ٤/٢١٣.

(٣) يعني: غير منسوب إلى كتاب من الكتب الستة التي احتواها جامع الأصول، ولكن ليس كما قال المؤلف، فهو معزو في جامع الأصول ٢/٩٢ حديث رقم ٥٧٠ إلى الترمذي. وغير معزو في جـ ٨/٤٧٨ حديث رقم ٦٢٥١، ويظهر لي أن البقاعي رحمه الله لم يطلع عليه في جامع الأصول إلا في هذا الموضع فقط، فكان ذلك عذراً له، أو أن نسخته التي نقل عليها كانت خاليه من العزو في الموضعين.

(٤) الآية: ٤٨ والآية: ١١٦ من سورة النساء.

(٥) جامع الأوصل لابن الأثير ٢/٩٢ حديث رقم ٥٧٠ كتاب التفسير، سورة النساء. وج ٨/٤٧٨ حديث رقم ٦٢٥١ كتاب فضائل القرآن باب سورة النساء.

والحديث أخرجه الترمذي في صحيحه: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء ٤/٣١٣ حديث رقم ٥٠٢٨ وقال: حديث حسن غريب. ولكن في سنده ثوير بن أبي فاختة، أبو الجهم الكوفي، ضعفه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٤٧٢. وقال الذهبي في الميزان ١/٣٧٥: كان رافضياً، وقال الدارقطني: متروك.

فالحديث ـ على هذا ـ ضعيف، ولا يرتقى إلى درجة الحديث الحسن.

(٦) الآية: ٣١ من سورة النساء.

(٧) الآية: ٤٠ من السورة.

ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ﴾[١]؟ الآية. و﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[٢]. و﴿ من[٣] يعمل سوء أو يَظْلِمْ نفسه ثم يستغفر الله يَجِد الله غفوراً رحيماً ﴾[٤].

وروى البخاري في فضائل القرآن، عن يوسف بن ماهك[٥]، أن عراقياً[٦] سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تريه مصحفاً، فقالت: لم؟. قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنه يُقْرَأُ غير مؤلَّف[٧]، قالت: وما يضرك[٨] أيُّه قرأت قبل؟! إنما نزل ما نزل (منه)[٩]، سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو

---

(١) الآية: ٦٤ من السورة.

(٢) الآية: ٤٨ والآية: ١١٦ من السورة.

(٣) الآية: ١١٠ من السورة.

(٤) جامع الأصول ٤٧٩/٨ حديث رقم ٦٢٥٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء ٣٠٥/٢ وقال: هذا إسناد صحيح. ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢/٧: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٥) هو يوسف بن ماهك ـ بفتح الهاء ـ الفارسي المكي، المتوفي سنة ١١٠ هـ «الخلاصة ٤٣٩».

(٦) أي رجل من أهل العراق.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٨/٩: لم أقف على اسمه.
وسيذكره المؤلف بعد قليل عن أبي عبيد بلفظ: «إذ جاء أعرابي» مما يدل على أن يوسف بن ماهك راوي الحديث لم يعرف اسم هذا الرجل.

(٧) يعني: غير مرتب السور، قال الحافظ في الفتح ٤٠/٩: والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان ممن يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان. اهـ. مختصرا.

(٨) في م: يضيرك. والتصويب عن البخاري.

(٩) زيادة عن صحيح البخاري.

نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا[1]: لا نَدَعُ الخمر أبداً[2]، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا نَدَعُ الزنا أبداً[2]، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: «بَلِ الساعةُ مَوْعِدُهم والساعةُ أدْهَى وأمَرُّ» وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور[3].

ورواه أبو عبيد عن يوسف بن ماهك، قال: إني لعند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاء أعرابي فقال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك؟، قالت: لم؟، قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنَّا نقرؤه غير مؤلَّف ـ فذكره.

وقال في آخره: فأمليت عليه آي السور.

وروى الإمام أحمد في المسند، عن مسلم بن مِخْرَاق، عن عائشة رضي الله عنها، قال: ذُكر لها: أن ناساً يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا، ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ بالبقرة، وآل عمران، والنساء، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذه، ولا يمر بآية فيها استبشار، إلا دعا الله، ورَغِبَ إليه[4].

وروى أبو عبيد في الفضائل والغريب، عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فكان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية عذاب تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح.

---

(١) في د: قالوا.

(٢) وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة من ترك المألوف.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/٢٢٨.

ومعنى قوله: «فأملت عليه آي السور». قال الحافظ: أي آيات كل سورة كأن تقول له: سورة كذا ـ كذا آية، وسورة كذا، كذا آية.

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/١١٩.

وفيه ابن لهيعة. وحديثه حسن.

ولفظه في الغريب: أنه كان يصلي من الليل، فإذا مر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وإذا مر بآية فيها ذكر النار تعوَّذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح(١).

وقال: يعني ما ينزه عنه تبارك اسمه، من أن يكون له شريك، أو ولد وما أشبه ذلك.

وأصل التنزيه(٢): البعد مما فيه الأدناس، والقرب مما فيه الطهارة والبراءة ثم كثر استعمال الناس النزهة في كلامهم حتى جعلوها في البساتين والخضر ومعناه راجع إلى ذلك الأصل(٣).

وله في الفضائل عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله ﷺ، فبدأ فاستاك،ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه فاستفتح البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم قرأ آل عمران، ثم قرأ سورة النساء، أو قال: ثم قرأ سورة، سورة يفعل مثل ذلك(٤).

وله عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة التمام، فيقرأ بسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، لا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب، ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ(٥).

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٨٠.

(٢) في م: التنزه.

(٣) غريب الحديث ٣/٨١.

(٤) حديث عوف بن مالك: أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/٢٣٠ حديث رقم ٨٧٣.
والنسائي: كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر في السجود ٦/٢٢٣ وكتاب قيام الليل، باب تسوية القيام والركوع ٣/٢٢٥.

(٥) حديث عائشة: أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/٩٢ - ١١٩.

وله عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[١]، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى، فإذا مر بآية فيها ذكر النار قال: أعوذ بالله من النار.

وللدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من قرأ آل عمران فهو غني والنساء مُحَبِّرة[٢].

قال أبو محمد[٣]: أي مُزَيِّنَة.

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فافتتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت:[٤]: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها[٥]، يقرأ مترسلاً[٦] إذا مر بآية تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد[٧]، ثم قام قياماً طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجد

---

(١) أبو ليلى والد عبد الرحمن: اسمه بلال، أو بليل ـ بالتصغير ـ ويقال: داود وقيل: يسار، صحابي مشهور، شهد أحداً، وما بعدها وعاش إلى خلافة علي.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٤٦٧.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل آل عمران ٢/٤٢٥ حديث رقم ٣٣٩٨.

(٣) يعني: الدارمي صاحب السنن.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٦/٦١: معناه: ظننت.

(٥) هذا يدل على أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل السورة التي قرأها في الركعة الأولى.
راجع: شرح مسلم للنووي ٦/٦٢.

(٦) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٦/٧٩: الترسل في القراءة: اتباع بعضها ببعض من غير مد ولا تطويل.

(٧) جملة «ربنا ولك الحمد» أوردها مسلم من طريق جرير وأشار بزيادتها وعلق عليها أبو داود في سننه بقوله: نخاف ألا تكون محفوظة.

فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده، قريباً من قيامه[1].

ورواه أبو داود وهذا لفظه، والترمذي، والنسائي: أنه رأى النبي ﷺ يصلي من الليل، فكان يقول: الله أكبر ثلاثاً، ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه، فكان[2] يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، ثم رفع رأسه من الركوع، فكان قيامهنحواً من ركوعه، يقول: لربي الحمد، ثم سجد، فكان سجوده نحواً من قيامه، فكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، ثم رفع رأسه من السجود،وكان يقعد فيما بين السجدتين نحواً من سجوده، وكان يقول: ربي اغفر لي، فصلي أربع ركعات، فقرأ فيهن البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة.

قال أبو داود: أو الأنعام، شك شعبة[3].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، ولفظه: عن حذيفة رضي الله عنه، أنه مرّ بالنبي ﷺ وهو يصلي بالمسجد في المدينة، قال: فقمت أصلي وراءه، يخيل إلى أنه لا يعلم، فاستفتح سورة البقرة، فقلت: إذا جاء مائة آية ركع، فلم يركع، فقلت: إذا جاء مائتي آية ركع، فجاءها فلم يركع، فقلت: إذا ختمها ركع، فختم فلم يركع، فلما ختم قال: قال: اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد، وقرأ ثم افتتح آل عمران، فقلت: إن ختمها ركع فختمها فلم يركع، وقال: اللهم لك الحمد ثلاث مرات، ثم

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٢/٦٠.

(٢) في سنن أبي داود: وكان.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في سجوده وركوعه ١/٢٣١ حديث رقم ٨٧٤.

وجامع الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ١/١٦٤ حديث رقم ٢٦١.

وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب الدعاء في السجود ٢/٢٢٤.

افتتح سورة المائدة[١] فقلت: إذا ختم ركع، فختمها فركع، فسمعته يقول: سبحان ربي العظيم ويرجِّع شفتيه فأعلم أنه يقول غير ذلك فلا أفهم[٢] غيره، ثم افتتح سورة الأنعام فتركته وذهبت[٣].

ورواه الحارث بن أبي أسامة عن حذيفة رضي الله عنه، أنه صلى مع النبي ﷺ ليلة، فاستقبل القبلة، وأقامني عن يمينه، ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم استفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية خوف إلا استعاذ ولا بِمَثَلٍ إلا فكَّر، حتى ختمها، وقال في الركعة الثانية: قرأ بفاتحة الكتاب ثم استقبل آل عمران، لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية خوف إلا استعاذ ولا بمثل إلا فكر، حتى ختمها.

وروى أحمد، عن عائشة رضي الله عنها، أنه ذكر لها: أن ناساً يقرأون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرأوا، ولم يقرأوا، كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيهاتخويف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار، إلا دعا الله ورغب إليه[٤].

وروى أبو عبيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: من قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ليلة، كان ـ أو كتب ـ من القانتين.

---

(١) عند أبي بكر بن أبي شيبة: ثم افتتح سورة النساء.
وكذا عند ابن خزيمة ٢٧٢/١ حديث رقم ٥٤٢.

(٢) في د: أعلم.

(٣) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قراء السور في الركعة ١٤٦/٢. حديث رقم ٢٨٤٢.
وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ٣٦٨/١ عن حذيفة أيضاً باختصار، وفيه: أنه افتتح سورة النساء بعد سورة آل عمران.

(٤) مسند الإمام أحمد ١١٩/٦.

وروى الطبراني عن ابراهيم[1]، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: إن في القرآن لأيَتَيْن، ما أذنب عبد ذنباً، ثم تلاهما واستغفر الله، إلا غفر له فسألوه عنهما، فلم يخبرهم، فقال علقمة والأسود أحدهما لصاحبه: قم بنا، وقاما إلى المنزل، فأخذا المصحف، فتصفحا سورة البقرة، فقالا: ما رأيناهما، ثم أخذا في سورة النساء، حتى انتهيا إلى هذه الآية: ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾[2]، فقالا: هذه واحدة، ثم تصفحا آل عمران، حتى انتهيا إلى قوله: ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومَنْ يَغْفِرُ الذنُوبَ إلا الله، ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾[3]، قالا: هذه أخرى، ثم أطبقا المصحف، ثم أتيا عبدالله فقالا: هما هاتان الآيتان؟، قال: قال: نعم.

قال الهيثمي: وإسناده جيد، إلا أن إبراهيم لم يدرك ابن مسعود[4].

ورواه أبو عبيد في الفضائل من وجه آخر، ولفظه: أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: في القرآن آيتان، ما قرأهما عبد مسلم عند ذنب إلا غفر له قال: فسمع بذلك رجلان من أهل البصرة، فأتياه، فقال: أئتيا أبي بن كعب فإني لم أسمع فيهما من رسول الله ﷺ إلا وقد سمعه أبي، فأتيا أبي بن كعب فقال لهما: اقرأا القرآن، فإنكما ستجدانهما، فقرأا حتى إذا بلغا آل عمران ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾، إلى آخر الآية، وقوله: ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾، فقالا: قد وجدناهما، فقال أُبَيٌّ: أين؟. فقالا: في آل عمران والنساء. فقال: هما هما.

---

(١) كذا هو في مجمع الزوائد غير منسوب.

(٢) سورة النساء آية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٥.

(٤) مجمع الزوائد ٧/١١.

وروى أبو نعيم في الحلية، في ترجمة حماد بن سلمة[١]، عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قائماً يصلي، فلما بلغ المائة من النساء، قال له النبي ﷺ: سل تعطه، فقال: اللهم إني أسألك إيماناً لايرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى الخلد[٢].

والمائة تنتهي إلى قوله: «فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً».

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[٣] ـ عن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: إن في النساء لخمس آيات، ما يسرني الدنيا وما فيها، وقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها:

﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كريماً ﴾[٤].

وقوله: **﴿ إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ويُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجراً عظيما ﴾**[٥].

---

(١) هو أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، مولاهم، أحد الأعلام الثقات، روى عنه حجاج بن منهال، وأبو داود الطيالسي، وعبد الله بن المبارك، توفي سنة ١٦٧ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١، شذرات الذهب ٢٦٢/١. ميزان الاعتدال ٥٩٠/١.

(٢) الحلية ٢٥٧/٦.

ومن هذه الطريق أخرجه ابن حبان، كما في مورد الظمآن: كتاب الأدعية ص ٦٠٤ حديث رقم ٢٤٣٦، إلا أنه قال: في أعلى جنة الخلد.

(٣) مجمع الزوائد ١٢/٧.

(٤) الآية: ٣١.

(٥) الآية: ٤٠.

﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشَاء (١) ﴾الآية .

﴿ وَلَوْ أنهم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جاءوك فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسولُ لَوَجَدوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيما ﴾ (٢) .

هذه أربع آيات ، لم أر الخامسة في النسخة التي نقلت منها .

ورواه أبو عبيد (٣) في الفضائل ، فذكره كما هنا .

ثم قال : وقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رحيماً ﴾ (٤) . وقال عبدالله : ما يسرني أن لي الدنيا بها وما فيها .

وللبزار ـ قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، غير أبي عبيدة بن حذيفة وقد وُثِّق (٥) ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال : نزلت آية الكلالة على النبي ﷺ في مسير له ، فوقف النبي ﷺ ، فإذا هو بحذيفة واذا رأس ناقة حذيفة رضي الله عنه (عند) (٦) مؤتزر النبي ﷺ فلقَّاها إياه ، فنظر حذيفة ، فإذا عمر رضي الله عنه فلقاها إياه ، فلما كان في خلافة عمر رضي الله عنه ، نظر عمر في الكلالة ، فدعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة : لقد لقَّانيها رسول الله ﷺ ، فلقَّيْتُكَها كما لقَّاني واللَّهِ إني لصادق ، ووالله لا أزيد على ذلك شيئاً أبداً (٧) .

---

(١) الآية : ٤٨، الآية : ١١٦ .
(٢) الآية : ٦٤.
(٣) في د : أبو داود.
(٤) الآية : ١١٠ .
(٥) مجمع الزوائد ٧/٧/١٣.
(٦) زيادة عن مجمع الزوائد.
(٧) قال الحافظ ابن كثير ١/٥٩٤: ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة، ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق.

وروى أبو عبيد ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُم في الكَلَالَةِ ﴾ [1] .

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ٥/١١٥، وكتاب التفسير «سورة النساء» باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ٥/١٨٥، وسورة براءة، باب قوله: «براءة من الله ورسوله ٥/٢٠٢، وكتاب الفرائض، باب يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ٨/٨.
ومسلم: كتاب الفرائض ١١/٥٨.
والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء ٤/٣١٥ حديث رقم ٥٠٣٢.

سورة المائدة

مدنية إجماعاً وان أنزل : ﴿ اليَوْمَ أكمَلْتُ لكم دِينَكم ﴾ [1] الآية بعرفة فإن العبرة في المدني [2] بالنزول بعد الهجرة ، كما مضى .

قال الأصفهاني : وروى أن السورة نزلت منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية ، ومنها ما نزل عام الفتح ، وهو :
﴿ ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَئَانُ قوم ﴾ الآية [3] .

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وعشرون للكوفي ، وثلاث وعشـرون للبصري ، واثنتـان وعشرون للباقين .

(١) الآية : ٣ من السورة.

(٢) في د: بالمدني.

(٣) الآية : ٨ من السورة.

اختلافها ثلاث آيات :

﴿ أوْفُوا بالعُقُود ﴾ [١] ، ﴿ وَيَعْفُو عن كثير ﴾ [٢] ، لم يعدهما الكوفي ، وعدهما غيره .

﴿ فإنَّكُمْ غَالِبُون ﴾ [٣] عدها البصري وحده .

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد بإجماع، تسعة مواضع :

﴿ نَقِيباً ﴾[٤]، ﴿ جَبَّارِينَ ﴾[٥]، ﴿ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[٦]، ﴿ ومِنْهَاجاً ﴾[٧] ، ﴿ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[٨] ، ﴿ أَذِلَّة على المؤمنين ﴾[٩]، و﴿ أَعِزَّةٍ على الكافرين ﴾[١٠]، ﴿ من الذين اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيَانِ ﴾[١١] على قراءة من قرأ بالجمع.

ولا عكس لذلك.

ورويها ستة أحرف: مل ندبر[١٢]. اللام: ثلاثة السبيل[١٣].

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ١٥.

(٣) الآية: ٢٣.

(٤) الآية: ١٢.

(٥) الآية: ٢٢.

(٦) الآية: ٤١.

(٧)) الآية: ٤٨.

(٨) الآية: ٥٠.

(٩) الآية: ٥٤.

(١٠)الآية: ١٠٧.

(١١)الآية: ١٠٧.

(١٢)في د: مثل. وهو خطأ، لأنه لا يوجد في السورة آية رويها الثاء.

(١٣)الآيات: ١٢، ٦٠، ٧٧.

والدال: «إن الله يحكم ما يريد» آية: ١.

«وأنت على كل شيء شهيد» آية: ١١٧.

والباء: «إن الله شديد العقاب» آية: ٢.

«إن الله سريع الحساب» آية: ٤.

«إنك أنت عَلَّام الغُيوب» آية: ١٠٩، وآية: ١١٦.

مقصودها

ومقصودها: الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً للنعمة[1]، واستدفاعاً للنقمة[2].

وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها: أن من زاغ عن الطمأنينة، وزاغ عن الثبات والسكينة، بعد الكشف الشافي، والانعام الوافي، نوقش الحساب، فأخذه العذاب.

وتسميتها بالعقود، أوضح دليل على ما ذكرت، وكذا الأحبار[3].

---

(١) في نظم الدرر: لنعمة.

(٢) في نظم الدرر: لنقمة.

(٣) هذه السورة تقرر أصلاً تهدف إلى تأصيله وتحتيمه وهو: أن الحكم بما أنزل الله جوهر الاسلام، وأن ما شرعه الله للناس من حلال أو حرام، هو المنهج الحق الذي ينبغي للمؤمن أن يلتزمه ويتمسك به، فإن تركه وحاد عنه فليس من الإيمان في شيء.
فالسورة تقرر: أن الله واحد لا شريك في ألوهيته، وأنه الخالق لا شريك له في خلقه، وأنه لا شريك له في ملكه، ومن هنا يتحتم أن لا يقضي في شيء إلا بشرعه وأذنه، فالخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، هو صاحب الحق في تقرير المنهج الذي يرتضيه لملكه ولخلقه فهو الذي يطاع شرعه، وينفذ حكمه، والعدول عن حكمه وشرعه إلى مناهج وضعية وضعها الطغاة والملحدون القاصرون هو الخروج والمعصية، بل الكفر بعينه، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون».
وبجانب هذا الأصل ذكرت السورة كثيراً من الأحكام التي تنظم حياة المسلمين، فذكرت أحكام العقود، والصيد والذبائح والاحرام وحكم نكاح الكتابيات وطعام أهل الكتاب، وأحكام الطهارة، كما ذكرت حد السرقة وحد البغي والافساد في الأرض، كما نصت على تحريم الخمر والميسر، وكفارة اليمين، والوصية عند الموت، وغير ذلك من التشريعات الهامة.
وبجانب ما تقدم حوت السورة طرفا من القصص المليء بالعظة والعبرة، ففيها طرف من قصة بني اسرائيل مع موسى عليه السلام وما فيها من بيان تمردهم وعصيانهم، وكذلك قصة ابني آدم وفيها نموذج للصراع بين الحق والشر.
وفي السورة مناقشة أهل الكتاب حول قضية الألوهية، وبيان عقائدهم الزائفة.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، والنسائي، وابن ماجة بسند صحيح، والإمام أحمد: أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كله، حتى أصبح بها يقوم، وبها يركع، وبها يسجد، قال القوم لأبي ذر: أي آية هي؟. قال: ﴿ إن تعذبهم[1] فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[2].

وفي رواية للإمام أحمد: فلما أصبح قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد؟. قال: إني سألت ربي الشفاعة فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً[3].

ولمسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى في ابراهيم عليه السلام: ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم مني ﴾[4]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[5]. فرفع يده وقال: اللهم أمتي وبكى. فقال الله عز

ثم ختمت السورة بمشهد من مشاهد يوم القيامة، حيث يدعى عيسى على رؤوس الأشهاد ويسأله ربه تبكيتا للنصارى الذين عبدوه من دون الله.

راجع: الظلال ٢/٨٢٦.

وصفوة التفاسير ٣/٣.

(١) الآية: ١١٨ من السورة.

(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية ٢/١٧٧.

وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل ١/٤٢٩ حديث رقم ١٣٥٠.

وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب الصلاة، باب قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ١/١٤١ وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/١٤٩.

(٤) سورة ابراهيم: آية ٣٦.

(٥) الآية: ١١٨ من السورة.

وجل: يا جبريل، إذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فأسأله. فأتاه جبريل عليه السلام، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. فقال الله عز وجل: يا جبريل، إذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك(١).

وللإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ردد آية حتى أصبح(٢).

وروى الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: آخر سورة أنزلت المائدة(٣).

وروى أبو عبيد في كتاب الفضائل عن عطية بن قيس، وضمرة بن حبيب ـ رحمهما الله تعالى ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: المائدة من آخر القرآن تنزيلاً، فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها(٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بشارة الأمة ٧٧/٣.
قال النووي في شرح مسلم ٧٩/٣: وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل: «ولسوف يعطيك ربك فترضى». وأما قوله تعالى: «ولا نسؤوك»، فقال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى، أي لا نحزنك، لأن الارضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: نرضيك ولا تدخل عليك حزناً بل ننجي الجميع، أ هـ.

(٢) لم أعثر عليه في المسند.
وفي الترمذي ٢٧٨/١ حديث رقم ٤٤٨ عن عائشة قال: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة المائدة ٣٢٦/٤ حديث رقم ٥٠٥٧. موقوفاً على عبدالله بن عمرو، وقال: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب المائدة آخر سورة نزلت ٣١١/٢. موقوفاً على عبد الله بن عمرو أيضاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢ موقوفاً. فمن الخطأ رفعه إلى النبي ﷺ، وقد نقل الزركشي في البرهان ٢١٠/١ عن أبي بكر الباقلاني: أن هذه الأقوال لم يرفع منها شيء إلى النبي ﷺ.

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١١/٢ موقوفاً على عائشة. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وروى أبو عبيد ـ أيضاً ـ عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت[1] كتفها، فنزل عنها رسول الله ﷺ[2].

وأخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

= وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب: أن آخر سورة نزلت براءة.

وأخرج مسلم عن ابن عباس: أن آخر سورة نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾.

فيتحصل من هذه الروايات: أن آخر ما نزل من السور: المائدة وبراءة، والنصر.

وبدهي أن آخرية المائدة وبراءة ليست بالنظر إلى السورة بتمامها فإنهما لم ينزلا دفعة واحدة، وإنما نزلت كلتاهما مفرقة في مناسبات ووقائع مختلفة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣١٦/٨ في قول البراء: آخر سورة نزلت براءة: المراد بعضها أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك: أن أول براءة نزل في فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل «اليوم أكملت لكم دينكم»، وهي في المائدة في حجة الوداع سنة عشر. فالظاهر: أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك وهي آخر غزوات النبي ﷺ، اهـ.

وقال المرحوم الشيخ غزلان في البيان ص ٨٦: وأما سورة المائدة فمما لا شك فيه، أنها لم تنزل دفعة واحدة، بل فيها آيات كثيرة نزلت في أوقات مختلفة متباعدة، وذلك كالآيات التي نزلت في تحاكم اليهود الى النبي ﷺ وتخييره في الحكم بينهم والأعراض عنهم، وقد كان هذا قبل السنة السادسة للهجرة، وكالآيات التي نزلت في تحريم الخمر، وكالآيتين اللتين نزلتا في النهي عن حرمان النفس مما أحل الله من الطيبات وهما قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ الآيتين. وكالآيتين اللتين نزلتا في أحكام قطع الطريق، وهما قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا﴾ الآيتـين وكان نـزولهما في السنـة السادسة للهجرة. فإن هذه الآيات نزلت على أسباب خاصة وفي أقوات مختلفة.

وبهذا يتعين أن المراد من الآخرة فيهما ـ يعني المائدة وبراءة ـ آخرية البعض الذي تم به نزول كل منهما. لا آخرية جميع السورة. انتهى. وأما آخرية سورة النصر فإنها آخر سورة نزلت كاملة غير مفرقة، بخلاف ما كان في سورتي المائدة وبراءة.

والراجح: أن آخر سورة نزلت بجملتها هي سورة النصر.

(١) في د: فانصدع.

(٢) هذا الحديث منقطع. فإن محمد بن كعب القرظي تابعي، روى عن أبي هريرة وعائشة وفضالة بن عبيد.

أنزلت على رسول الله ﷺ المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها[1].

قال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة، وقد يحسّن حديثه[2].

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن أم عمرو ابنة عيسى[3]، قالت: (حدثني)[4] عمى رضي الله عنه، أنه كان مع النبي ﷺ في مسير، فأنزلت عليه سورة المائدة، فعرفنا أنه ينزل عليه، فاندقت كتف راحلته العضباء من ثقل السورة[5].

وعند الامام أحمد، وأبي بكر بن أبي شيبة، والطبراني - أيضاً - عن أسماء بنت يزيد[6] رضي الله عنها، أنها قالت: أني لآخذة بزمان ناقة رسول الله ﷺ العضباء، إذْ نزلت عليه سورة المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة[7].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/١٧٦.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢: تفرد به احمد.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٣.

(٣) لم أعثر لها على ترجمة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير ٢/٢ عن ابن مردويه من رواية عاصم الأحول عن أم عمرو عن عمها.

(٦) هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الأنصارية الأوسية الأشهلية، بنت عم معاذ بن جبل وكانت تكنى أم سلمة، وقيل: أم عامر، وكانت من المبايعات، شهدت وقعة اليرموك، وفيها قتلت تسعة من فرسان الروم بعمود خيمتها وعاشت بعدها دهراً.
راجع: الإصابة ٤/٢٢٩. والاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٢٣٢.

(٧) مسند الإمام أحمد ٦/٤٥٥.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٣: وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.
وقال الذهبي في الميزان ٢/٢٨٣ في ترجمة شهر: قال احمد: روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حسانا.
وفي الإصابة ٤/٢٢٩: قال ابن السكن: هو - يعني شهر - أروى الناس عنها.

ورواه أبو يعلى الموصلي عنها ـ أيضاً ـ رضي الله عنها، وفيه: أنها أنزلت جميعاً، وهي آخذة بزمام الناقة.

وللإمام أحمد عنها أيضاً، رضي الله عنها، قالت: نزلت سورة المائدة على النبي ﷺ جميعاً إن كادت من ثقلها لتكسر الناقة[1].

ولأبي عبيد، عن جبير بن نفير[2] قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا جبير هل تقرأ المائدة؟. قلت: نعم، قالت أما إنها آخـر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه[3].

وله أن ابن عون[4] سأل الحسن: هل نسخ من المائدة شيء؟. فقال: لا.

وروى البيهقي في أواخر الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين، ونبىء يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، وفتح مكة يوم الاثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾[5]، وتوفي يوم الاثنين[6].

---

(۱) مسند الإمام أحمد ٦/٤٥٨. وفيه شهر بن حوشب.

(۲) جبير بن نفير ـ بالنون بعدها فاء، مصغرا ـ الحضرمي الشامي أسلم في زمن أبي بكر، وثقة أبو حاتم. مات سنة ٧٥ هجرية. راجع: الخلاصة ص ٦١.

(۳) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣١١ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، الخراز ـ بفتـح المعجمة والـراء المهملة ـ البصري، أحد الاعلام، روى عن أبيه ومجاهد والحسن وابن سيرين. وخلق. وروى عنه سفيان الثوري وابن علية، ويحيى القطان، وكان روعاً عابداً متقناً. مات سنة ١٥١ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٥٦/١. خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٩ شذرات الذهب ١/٢٣٠.

(٥) الآية: ٣ من السورة.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣/٢: إنه أثر غريب وإسناده ضعيف.

والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/١ وليس فيه نزول المائدة يوم الاثنين.

وفي رواية أخرى: ودخل المدينة يوم الاثنين.

ولعله أراد: أن السورة نزلت فيه. إلا الآية المذكورة، وأراد بذكرها بالخصوص: أنها هي التي دلت على أن الدين كمل بنزول المائدة[1]، وإن كان نزولها هي يوم الجمعة، كما يأتي.

فدل ذلك على عظم يوم الاثنين، لأنه ختم فيه أعظم الأديان، لأن الله جعله محل افتتاح الخير واختتامه، بثباته وكماله.

وروى البخاري في المغازي وغيره، ومسلم في آخر الكتاب، والترمذي في التفسير، والنسائي في الحج، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟. قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»، فقال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة[2].

وللبخاري في التفسير، ومسلم، والترمذي، والنسائي، عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: قالت اليهود لعمر رضي الله عنه: انكم تقرأون

---

(١) هذا اعتذار من الشيخ يدافع به عن الحديث. ولكن الحديث ضعيف لأن في سنده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وحدث بأحاديث موضوعة وقد يكون هذا منها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الايمان، باب زيادة الايمان ونقصانه ١/١٦. وكتاب المغازي، باب حجة الوداع ٥/١٢٧، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» ٥/١٨٥. وكتاب الاعتصام، في فاتحته ٨/١٣٧.
وصحيح مسلم: كتاب التفسير ١٨/١٥٤.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة ٤/٣١٦. حديث رقم ٥٠٣٤.
وسنن النسائي: كتاب الحج، باب ما ذكر في يوم عرفة ٥/٢٥١. وكتاب الايمان، باب زيادة الايمان ٨/١١٤.
قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/١١٤: أخرجه الجماعة إلا الموطأ وأبا داود.

آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر رضي الله عنه: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت (يوم عرفة[١])، وَإِنّا والله نعرفه، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا «اليوم أكملت لكم دينكم! وأتممت عليكم نعمتي»[٢].

وللترمذي وقال: حسن غريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قرأ «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»، وعنده يهودي فقال: لو أنزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيداً، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها نزلت في يوم عيدين، في يوم جمعة، ويوم عرفة[٣].

وللبخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد عليّ من قوله تعالى: **﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل عليكم من ربكم ﴾**[٤]، أي فكذلك نحن لسنا على شيء حتى نقيم الكتاب والسنة[٥].

وروى ابن المبارك عن الضحاك بن مزاحم[٦] في قوله تعالى: **﴿ لولا**

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن البخاري ومسلم.

(٢) راجع تخريج الرواية الأولى.

(٣) صحيح الترمذي: الموضع السابق، حديث رقم **٥٠٣٥** وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس.
وأخرجه أبو داود الطيالسي ٢/١٧ حديث رقم ١٩٤٧، باب ما جاء في سورة المائدة.

(٤) الآية: ٦٨ من السورة.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة ٥/١٨٥.

(٦) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي، المفسر، وكان مؤدباً ويحكى أنه كان بمكتبه ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم راكباً على حماره. وروى أن أمه حملت به عامين، وهو ثقة في الرواية، مات سنة ١٠٥ وقيل: ١٠٦ هـ.
راجع: الميزان ٢/٣٢٥ ترجمة رقم ٣٩٤٢.
والخلاصة ص ١٧٧.

ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾[١]. فقال: والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها[٢].

وروى عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قرأ في خطبته المائدة وسورة التوبة، ثم قال: قال النبي ﷺ: أحلوا ما أحل الله فيهما، وحرموا ما حرم الله فيهما.

يعني لأنهما من آخر ما نزل، فلم ينسخ منهما شيء كما مضى.

وأورده ابن رجب، إلا أنه قال: المائدة وسورة البقرة.

والظاهر: أن التوبة أصح.

وقال ابن رجب: إنَّ في سند عبد شيخه ابراهيم بن الحكم بن أبان وهو ضعيف[٣].

---

(١) الآية: ٦٣ من السورة.

(٢) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٩.

ورواه الطبري في تفسيره ٦/١٧٠.

(٣) وقال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٣٤؛ ضعيف وصل مراسيل.

وقال الذهبي في الميزان ١/٢٧: تركوه، وقلّ من مشّاه روى عن أبيه مـرسلات فوصلها.

وقال أحمد: في سبيل الله دراهم أنفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم.

سورة الأنعام

مكية.

قال أبو عمرو الداني: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة.

وقال النجم النسفي: بين مكة والمدينة، **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله -: لعلكم تتقون﴾**[١].

وعزا الجعبري ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وقال: قال الكلبي: وإلا قوله تعالى جواب قول فنحاص[٢] - أو مالك[٣] -: **﴿ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً﴾** إلى آخر الثنيتين[٤].

---

(١) الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

(٢) رجل من اليهود.

(٣) في أسباب النزول للواحدي ١٤٧ وتفسير ابن كثير ٢/١٥٦: مالك ابن الصيف: وهو يهودي أيضاً.

(٤) الآيتان: ٩١ - ٩٢. =

وقال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، قوله تعالى: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وهو الذي أنشأ جنات معروشات** ﴾[2].

وقيل: مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة، قوله: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[3]، وقوله: ﴿ **قل تعالوا** ﴾ إلى آخر ثلاث آيات[4] وباقي السورة كلها نزلت بمكة جملة واحدة، انتهى.

وهذا القول الذي فيه استثناء الست ذكره البغوي عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما[5].

وقال الأستاذ أبو الحسن الحرالّي في مفتاحه: إن قوله تعالى: ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إليّ** ﴾[6] الآية مدنية[7].

= وصحيح الحافظ ابن كثير ـ تبعاً لابن جرير ـ أن الآية مكية نزلت في قريش. لأن اليهود لم يكونوا ينكرون انزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد ﷺ لأنه من البشر. وحكى الله ذلك عنهم في قوله: «أكان للناس عجباً أن أو حيناً إلى رجل منهم». وقوله: «وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً».

(١) الآية: ٩١.

(٢) الآية: ١٤١.

(٣) الآيات: ٩١ ـ ٩٣.

(٤) الآيات: ١٥١ ـ ١٥٣.

(٥) تفسير البغوى على هامش الخازن ٢/٩٦.

(٦) الآية: ١٤٥.

(٧) وعندي: أن الصواب: الركون إلى الروايات المطلقة التي نَصَّتْ على أن السورة نزلت بجملتها في مكة ليلا، وقد وردت عن ابن عباس وعن أسماء بنت يزيد، بل في رواية أسماء تحديد للرواية بحادث مصاحب يزيدها قيمة:

عن أسماء بنت يزيد قالت: نزلت سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ، ان كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. =

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وخمس وستون في الكوفي، وست في البصري والشامي، وسبع في المدنيّين والمكي.

اختلافها أربع آيات:

﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾[1] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾[2] عدها الكوفي وحده.

﴿ كن فيكون ﴾[3] و﴿ إلى صراط مستقيم ﴾[4] أسقطهما وحده، وعدها غيره.

وفيها ما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع خمسة مواضع:

﴿ من طين ﴾[5]، ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾[6]، ﴿ مبشرين ومنذرين ﴾[7]، ﴿ صراط ربك مستقيماً ﴾[8]، ﴿ فسوف تعلمون ﴾[9].

ولا عكس لذلك.

= وروى الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت الأنعام بمكة ليلة جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح «المعجم الصغير ١/٨١».

وهاتان الروايتان أوثق من الأقوال التي جاء فيها أن بعض آيات السورة نزل بمكة.

راجع: الظلال ٢/١٠٢١.

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٦٦.

(٣) الآية: ٧٣.

(٤) الآية: ٨٧.

(٥) الآية: ٢.

(٦) الآية: ٣٦.

(٧) الآية: ٤٨.

(٨) الآية: ١٢٦.

(٩) الآية: ١٣٥.

رويها خمسة أحرف: لم نظر[1] .

مقصود السورة

ومقصودها: الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره.

وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد: الأنعام. لأن الإذن فيها - كما ذكرته في أصل هذا الكتاب[2] - مسبّب في قوله: ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾[3]، عما[4] ثبت له من الفلق، والتفرد بالخلق، وتضمن باقي ذكرها إبطال ما اتخذوه من أمرها دينا، لأنه لم يأذن فيه، ولا إذن لأحد معه، لأنه المتوحد بالألوهية، لا شريك له، وحصر المحرمات من المطاعم التي جلّها في هذا الدين وغيره.

فدل ذلك على إحاطة علمه اللازم عنه شمول القدرة، وسائر الكمالات، وذلك عين مقصودها[5] .

---

(١) الظاء: «وما أنا عليكم بحفيظ» الآية: ١٠٤ .
وباقي حروف الروي مكرر في السورة.

(٢) يعني كتابه «نظم الدرر».

(٣) الآية: ١١٨ من السورة.

(٤) في د: كما.

(٥) وزاد في نظم الدرر ٢/٧: وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية، وأهل الملل الزائفة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل، والنبوة والمعاد، وابطال مذاهب الملحدين، اهـ.
فالسورة تناولت الأصول الأساسية للعقيدة وهي:
١ ـ قضية الألوهية. ٢ ـ قضية الوحي والرسالة. ٣ ـ قضية البعث والجزاء.
ولذلك تجد الحديث فيها مستفيضاً يدور بشدة حول هذه الأصول العقائدية، وتجد سلاحها في ذلك الحجة الدامغة والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع المقنع الملزم، لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين.
راجع: الظلال ٢/١٠٠٤. وصفوة التفاسير ٣/٥٥.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في كتاب «الفضائل»، والدارمي، عن عمر بـن الخَطاب رضي الله عنه قال: الأنعام من نواجب القرآن[١].

وروى محمد بن المظفر الحافظ[٢] في «غرائب شعبة»، عن عبد الله ولفظه: الأنعام من نواجب ـ أو نجائب ـ القرآن.

وروى أبو عبيد ـ أيضاً ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الأنعام بمكة جملة، ونزل معها سبعون ألف ملك، يجأرون حولها بالتسبيح[٣].

وأخرجه الطبراني في الصغير[٣].

قال الهيثمي: وفي سنده يوسف بن عطية الصفار[٤]، وهو ضعيف[٥].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(٢) هو أبو الحسين محمد بن المظفر، بن موسى، بن عيسى، البغدادي الحافظ الثقة، محدث العراق، ولد سنة ٢٨٦ هجرية وسمع الباغندي وابن جرير، وأبا عروبة، وروى عنه الدارقطني وابن شاهين، وأبو نعيم.
قال الخطيب البغدادي: كان حافظاً صادقاً. وقال الذهبي في الميزان: ثقة حجة معروف، إلا أن أبا الوليد الباجي قال: فيه تشيع. اهـ. وتوفي سنة ٣٧٩.
راجع: تاريخ بغداد ٣/٢٦٢، تذكرة الحفاظ ٣/٩٨٠،
ميزان الاعتدال ٤/٤٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٨٩.

(٣) المعجم الصغير ١/٨١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) هو يوسف بن عطية بن ثابت الصفار البصري، مولى الأنصار، المتوفي سنة ١٨٧ هجرية. قال ابن حجر في التقريب ٢/٣٨١: متروك.
وقال الذهبي في الميزان ٤/٤٦٨: مجمع على ضعفه، ونقل قول البخاري فيه: منكر الحديث. وقول ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٢٠.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية، في ترجمة عبـد الله بن عون[1]، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت عليّ سورة الأنعـام: جملة واحدة، يشيعهـا سبعون ألف ملك، لهم زجـل بالتسبيـح والتحميد[2].

وروى الطبراني في الأوسط، في ترجمة محمد بن عبد الله بن عرس المصري:

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت سورة الأنعام، ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس، والأرض ترتج[3]، ورسول الله ﷺ يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم[4].

ولابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام، سبح النبي ﷺ، ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق.

وروى أحمد بن منيع، والطبراني في الكبير ـ وفي سنده شهـر وهو

---

(١) تقدمت ترجمته في سورة المائدة.

(٢) الحلية ٣/٤٤. وعقب عليه أبو نعيم بقوله: غريب من حديث ابن عون لم نكتبه إلا من حديث اسماعيل عن يوسف.

واسماعيل هذا، هو اسماعيل بن عمر ـ كما صرح به أبو نعيم في سياق السند ـ بن كيسان اليماني. قال الذهبي في الميزان ١/٢٣٩: منكر الحديث.

ويوسف هو ابن عطية الصفار، المتقدم ذكره في الحديث السابق، وهو منكر الحديث أيضاً.

والحديث ذكره البقاعي في نظم الدرر ٧/٢ وقال بعده: وانزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة وأن تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح.

(٣) د: ترجع.

(٤) قال الهيثمي ٧/٢٠: رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبدالله ابن عرس، عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات.

ضعيف وقد وثق(١)ـ عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، أنها قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ، إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة.

وتقدم مثله عنها في سورة المائدة.

وللدارمي عن كعب رحمه الله قال: فاتحة التوراة الأنعام، وخاتمتها هود (٢).

وأخرجه عبد الله بن الامام أحمد من زياداته في كتاب الزهد لأبيه، ولفظه: فاتحة التوراة، فاتحة الأنعام، وخاتمتها: خاتمة هود.

وهذا كلام من هو بصير بالكتابين رحمه الله، فإن أول التوراة خلق السماء والأرض، والنور والظلمة، والنجوم والمياه، والنبات والأشجار، والدواب كلها والطيور، وخلق آدم عليه السلام، وتقدير ذريته، وأنه سلطهم على جميع ما في الأرض براً وبحراً، سهلاً وجبلاً، كما ذكرته في كتاب «نظم الدرر» في أوائل سورة البقرة (٣).

وكذلك سورة الأنعام من أولها ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي خلقكم من طين...** ﴾(٤)، إلى آخرها ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** ﴾(٥).

وما بين ذلك: ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا**

---

(١) قال ابن حجر في التقريب ١/٣٥٥: صدوق، كثير الارسال والأوهام. وراجع مجمع الزوائد ٧/٢٠.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(٣) نظم الدرر.

(٤) الآية: ١ ـ ٢.

(٥) الآية: ١٦٥.

أمم أمثالكم ﴾[1]، **﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾**[2].

﴿ ومن ذريته داود ﴾[3] إلى آخرها.

﴿ فالق الأصباح وجاعل الليل سكناً ﴾[4].

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾[5].

إلى غير ذلك من الأنعام والحرث وغيرها، وذكر في آخرها ـ وهو (في)[6] آخر السفر الخامس[7] ـ وهو تلخيص ما مضى في التوراة من الأحكام وغيرها، بزيادة لعن من يكفر من بني إسرائيل ويعمل بغير ما شرع الله له، وأخبر سبحانه بما هم فيه من صلابة الرقاب وقساوة القلوب، وغلظ الأكباد.

وقد ذكرت في الكتاب المذكور كثيراً من ذلك، عند **﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ﴾** في سورة النساء، وعند: **﴿ من لعنة الله وغضب عليه ﴾** في المائدة، وذكر سبحانه في السفر المذكور: إن كلمته نفذت فيهم بالخلافة فلا انفكاك لهم عنها، وأن من أطاع كان طاهراً، وأحسن سبحانه جزاءه، وذكر من عظمته سبحانه وقدرته على الانتقام شيئاً كثيراً، وذكر ما يمكن أن يراد به الآخرة، بخلاف ما مضى فإنه لم يذكر فيه الآخرة، لا

---

(١) الآية: ٣٨.
(٢)، (٣) الآية: ٨٤.
(٤) الآية: ٩٦.
(٥) الآية: ٦٧.
(٦) زيادة عن: د.
(٧) راجع: العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح الثاني والثلاثون ص ٢٣٣.
(٨) يعني: كتابه «نظم الدرر».
(٩) نظم الدرر ٥/٥٠٧/ ط ـ الهند.
(١٠) نظم الدرر (٦/٢٠٢.

تصريحاً ولا تلويحاً. وذلك أنه قال في هذا السفر عن بني إسرائيل: «هذا الجيل جيل متقلب بنوا من لم يكن فيهم أمانـة، هم ءَاسَفُوني بـآلهتهم، وأسخطوني بأوثانهم، وأنا ابتليهم بأمة جاهلة، وأسخطهم بها، لأن النار تتقد من غضبي، وتحرق أسفل الجحيم، وتأكل الأرض وأنهارها، وتلهب أساس الجبال، ثم قال : يقول الرب: هذا كله محفوظ في خزائني، في يوم النقلة أجازيهم في الوقت الذي تزل فيه أقدامهم»[1].

وكذلك في سورة هود، فيها البشارة والنذارة، ولعن كثير من كفرة الأمم أمة أمة، وذكر ما قاساه منهم أنبياؤهم، إلى أن ختم بقصة موسى عليه السلام ثم لعن فرعون وآله، ثم ذكر اليوم المجموع له الناس، وتفصيل الناس فيه إلى قسمين، ثم ذكر أن بني إسرائيل اختلفوا بعد أن جاءهم البيان بالكتاب ثم ذكر التطهر بالصلاة، دعم بجميع الحسنات، وذكر أن الاختلاف لا يزال قائماً، إنما ما لكلمته سبحانه التي سبقت بذلك.

وروى أبو عبيد عن كعب قال: إن أول ما أنزل الله من التوراة «بسم الله الرحمن الرحيم، قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» ثم ذكر الآيات، انتهى.

وهو يعني: أن هذه الآيات العشر التي كتبها الله تعالى لموسى عليه السلام في ألواح الجوهر أول ما كتب، كما بينته في كتاب «نظم الدرر» وهي: توحيد الله، والنهي عن الشرك، واليمين الكاذبة، والعقوق، والقتل، والزنا والسرقة، والزور، ومد العين إلى ما في يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

ويؤيده ما روى أبو عبيد في الفضائل أيضاً، والترمذي في الاستئذان وقال: حسن صحيح، والنسائي في السير، وابن ماجة في الأدب، عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه: إذهب بنا إلى

---

(١) العهد القديم ص ٢٣٣ سفر التثنية، الاصحاح الثاني والثلاثون.
(٢) في نظم الدرر ٣٢٢/٧: على لوحي الشهادة.

هذا النبي فقال صاحبه: لا تقل نبي، فإنه لو سمعك[١] كان لـه أربع أعين[٢]، قال: فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيت بينات[٣]، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببرىء إلى ذي سلطان فيقتله[٤]، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة، أو قال: لا تولّوا يوم الزحف، وعليكم خاصّة يهود[٥] ألا تعدوا في السبت، قال: فقبلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي قال: فما منعكما أن تتبعوني؟. فقالا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي[٦]، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود[٧].

(١) أي لو سمع قولك، وظهر له أنك تعتقده نبيا.

(٢) قال السندي في شرح سنن النسائي ١١١/٧: كناية عن زيادة الفرح، وفرط السرور، إذ الفرح يوجب قوة الأعضاء، وتضاعف القوى يشبه تضاعف الأعضاء الحاملة لها.

(٣) المراد بالآيات البينات:
إما الآيات التسع، كما هو المراد في قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات...﴾ وعلى هذا فيكون الجواب في الحديث متروك، تركه النبي ﷺ وأجاب بما يفيد، نظير قوله تعالى: ﴿ويستفتونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى... الآية.
وإمّا الأحكام العامة الشاملة للملة كلها، وعلى هذا فالمذكور في الحديث هو الجواب.

(٤) أي لا تتكلموا بسوء فيمن ليس له ذنب عند السلطان ليقتله أو يؤذيه.

(٥) منادي حذفت منه ياء النداء للقرب.

(٦) أي أننا ننتظر ذلك النبي لنتبعه.
قال العلامة السندي في شرح سنن النسائي ١١٢/٧: وهذا منهم تكذيب لقولهم: «نشهد أنك نبي»، وأنهم ما قالوا عن صدق اعتقاد ضرورة أنه ﷺ كان يدعى ختم النبوة به ﷺ، فالقول بأنه نبي يستلزم صدقه فيه، وانتظار نبي آخر ينافيه، فانظر إلى تناقضهم وكذبهم.

(٧) سنن الترمذي: كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل ١٧٤/٤ حديث رقم ٢٨٧٧. وكتاب التفسير، باب ومن بني اسرائيل ٣٦٧/٤ حديث رقم ٥١٥٢.
وسنن النسائي: كتاب تحريم الدم، باب السحر ١١١/٧.
وسنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب الرجل يقبل يد الرجل ١٢٢١/٢ حديث رقم ٣٧٠٥ مختصرا.

ويمكن تطبيق الحديث على ما في التوراة عندهم الآن، فإن كلا من اليمين الحانثة، والزور، يمكن دخوله في قذف المحصنة، والمشي بالبريء والربا في مد العين إلى الغير، ويبقى العقوق، فلعل الراوي وهم في إبداله بالسحر، أوهم بدلوا ما في التوراة، والله أعلم.

وروى أبو عبيد أيضاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ **منه آيات محكمات هن أم الكتاب** ﴾[1]، قال: هي الآيات الثلاث في سورة الأنعام ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾، والتي في بني إسرائيل: ﴿ **وقضى[2] ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾، إلى آخر الآيات [3].

وله عن منذر الثوري [4] قال: قال الربيع بن خيثم[5]: أيسرك أن تلقى صحيفة محمد ﷺ عليها خاتمه؟. قلت: نعم وأنا أرى أنه سيطرفني[6]، قال: فما زادني على هؤلاء الآيات (من سورة الأنعام: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾إلى آخر الآيات) [7].

وروى ابن رجب عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ:﴿**قل تعالوا أتل ماحرم**

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧.

(٢) سورة الاسراء: آية ٢٣.

(٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٧/٢ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه.
وافقه الذهبي، لكن لم يذكر فيه آية بني إسرائيل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

(٤) هو أبو يعلى المنذر بن يعلى الثوري الكوفي، وثقه ابن معين، وابن سعد.
راجع: الخلاصة ص ٣٨٧.

(٥) الربيع بن خيثم ـ بفتح المعجمة والمثلثة تحتانية ساكنة ـ أبو يزيد الكوفي الثوري، لم ير النبي ﷺ، وكان قوام الليل توفي سنة ذ, هـ. الخلاصة ص ١١٥.

(٦) قال في اللسان ٢١٤/٩: أطرف الرجل: أعطاه مالم يعطه أحدا قبله.

(٧) ما بين القوسين ساقط من: د.

ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، إلى قوله: تتقون﴾[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وفي جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد (الانسان)[2] أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه أنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الاسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم[3].

وروى رزين ـ قال المنذري: ولم أره في شيء من أصوله، إنما رواه أحمد والبزار مختصراً بغير هذا اللفظ بإسناد حسن[4] ـ عن ابن مسعود رضي

---

(١) الآيات: ١٥١ ـ ١٥٣ من السورة.

(٢) زيادة عن الجامع الصغير للسيوطي، وتفسير ابن كثير. وفي جامع الأصول: عبد.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٨٢، وهذا لفظه.

وصحيح الترمذي: كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لعباده ٤/٢٢٢ حديث رقم ٣٠١٩ وقال: حسن غريب. كلاهما من حديث النواس بن سمعان الكلابي مرفوعاً، وبمراجعة مسند العرباض بن سارية في مسند احمد لم يوجد فيه هذا الحديث.

وقد استقصى الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/١٩٠ ـ ١٩١ طرق هذا الحديث، فأوضح أنه من حديث عبد الله بن مسعود ـ مرفوعاً وموقوفاً ـ وجابر بن عبد الله مرفوعاً، والنواس بن سمعان مرفوعاً أيضاً، وليس فيها للعرباض بن سارية. فالله أعلم.

والحديث ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ٢/١١٤ حديث رقم ٥٢١١ عن احمد والحاكم من حديث النواس ورمز له بالصحة. وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ١/٢٧٤ حديث رقم ٦٠ ـ ٦١ من حديث النواس وابن مسعود أيضاً، وعزاه إلى الترمذي.

(٤) الترغيب والترهيب ٣/٢٤٤: كتاب الحدود، باب الترهيب من مواقعة الحدود وانتهاك المحارم.

الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يدعو: استقيموا على الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد أن يفتح شيئاً من الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحتهاتلجه، ثم فسره فأخبر أن الصراط: هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة: محارم الله، وأن الستور (المرخاة)[1]: حدود الله، والداعي على رأس الصراط: هو القرآن، والداعي من فوقه: هو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

ويمكن تطبيق هذا على: ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل** ﴾[2].

وللطبراني في الصغير ـ قال الهيثمي: واسناده جيد[3] ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: يا عائشة، ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾[4] أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الآية: ١٥٣ من السورة.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٢٢.

قلت: ولكن فيه بقية بن الوليد، وثقة البعض، وضعفه الأكثر وممن ضعفه الإمام أحمد بقوله: توهمت أن بقية لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير.

وقال الذهبي: بقية ذو غرائب وعجائب ومناكير.

راجع: ميزان الاعتدال ١/٣٣١ ترجمة رقم ١٢٥٠، والمغنى في الضعفاء ١/١٠٩.

(٤) الآية: ١٥٩ من السورة.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ١/٢٠٣.

سورة الأعراف

مكية، قال أبو حيان: كلها، قاله ابن عباس وجماعة[١].

وقال مجاهد وقتادة ـ قال الأصفهاني وأبو حيان: ومقاتل[٢] ـ: إلا قوله تعالى: ﴿ **واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر** ﴾[٣] الآية.

قال النجم النسفي: إلى قوله: ﴿ **وإذ نتقنا الجبل** ﴾[٤]، فإنها نزلت بالمدينة .

قال الأصفهاني: وهي ثماني آيات.

قال أبو حيان: وروى هذا أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥].

---

(١) البحر المحيط ٤/٢٦٥ وعبارته هكذا:

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء، وجابر بن زيد، والضحاك وغيرهم.

(٢) البحر المحيط ٤/٢٦٥.

(٣) الآية: ١٦٣.

(٤) الآية: ١٧١.

(٥) البحر المحيط: ٤/٢٦٥.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائتان وخمس في البصري والشامي، وست في المدني والمكي والكوفي.

واختلافها خمس آيات:

﴿ المص ﴾ عدها الكوفي وحده.

﴿ مخلصين له الدين ﴾(1) عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ كما بدأ كم تعودون ﴾(2) عدها الكوفي وحده.

﴿ ضعفا من النار ﴾(3) عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ الحسنى على بني إسرائيل ﴾(4) الثالث، عدها المدنيان والمكي أيضاً لم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع: تسعة مواضع:

﴿ فد لا هما بغرور ﴾(5).

﴿ في سم الخياط ﴾(6).

﴿ والأنس في النار ﴾(7)، ﴿ بكل صراط توعدون ﴾(8)، ﴿ آل

---

(1) الآية: ١.
(2) الآية: ٢٩.
(3) الآية: ٣٨.
(4) الآية: ١٣٧.
(5) الآية: ٢٢.
(6) الآية: ٤٠.
(7) الآية: ٣٨.
(8) الآية: ٨٦.

فرعون بالسنين ﴾[1]، ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾[2]، ﴿ ولا ليهديهم سبيلاً ﴾[3] ﴿ عذاباً شديداً ﴾[4]، ورابع بني إسرائيل[5].

وعكسه ستة:

﴿ وخلقته من طين ﴾[6]، ﴿ فسوف تعلمون ﴾[7]، ﴿ ثم لأصلبنكم أجمعين ﴾[8] وثلاثة بني إسرائيل.

ورويها أربعة أحرف: من دلّ، الدال: من ﴿ ص ﴾[9]، واللام: ثلاثة بني اسرائيل)[10].

مقصودها

ومقصودها: انذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية، من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين.

---

(١) الآية: ١٣٠.
(٢) الآية: ١٤٣.
(٣) الآية: ١٤٨.
(٤) الآية: ١٦٤.
(٥) الآية: ١٣٨.
(٦) الآية: ١٢.
(٧) الآية: ١٢٣.
(٨) الآية: ١٢٤.
(٩) الآية: ١.
(١٠) لا يوجد في السورة سوى آيتين ختمت كلتاهما ببني اسرائيل وهما:
«فأرسل معي بني اسرائيل» الآية: ١٠٥.
«ولنرسلن معك بني اسرائيل» الآية: ١٣٤.
وما عدا هذين الموضعين فهو في وسط الآيات.

وأدل ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الاشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق(١).

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، والطبراني في الكبير، وأبو داود الطيالسي، وعند الإمام أحمد، وهذا لفظها - وفي السند عمران

---

(١) قال الشهيد سيد قطب في الظلال ١٢٤٤/٣: إن موضوع سورة الأنعام هو العقيدة. وموضوع سورة الأعراف هو العقيدة، ولكن بينما سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية العربية في حينها - وكل جاهلية أخرى - مواجهة صاحب الحق الذي يصدع بالحق... بينما سورة الأنعام تتخذ هذا المنهج، وتسلك ذلك الطريق، نجد سورة الأعراف وهي تعالج موضوع العقيدة كذلك، تأخذ طريقاً آخر، وتعرض موضوعها في مجال آخر، إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري، في مجال رحلة البشرية كلها، مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة الى النقطة التي انطلقت منها، وفي هذا المدى المتطاول تعرض موكب الايمان من لدن آدم عليه السلام، الى محمد ﷺ، تعرض هذا الموكب الكريم يحمل هذه العقيدة، ويمضي بها على مدار التاريخ، يواجه بها البشرية جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل ويرسم سياق السورة في تتابعه: كيف استقبلت البشرية هذا الموكب وما معه من الهدى، كيف خاطبها هذا الموكب وكيف جاوبته؟. كيف وقف الملأ منها لهذا الموكب بالمرصاد، وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة اهـ مختصرا.

فالسورة ذكرت قصص عدد من الأنبياء، ظهروا من خلالها حاملين لواء الدعوة إلى التوحيد أساساً للعقيدة الصحيحة، ونبذاً للشرك ومظاهره، ثم تناولت السورة قضية البعث فذكرت مشهداً من مشاهد القيامة ويدور فيه الحوار حول الفرق الثلاث وهم يتحاورون، وهذه الفرق: فرقة المؤمنين في الجنة، وفرقة الكافرين في النار، وفرقة ثالثة لم تذكر باسمها إلا في تلك السورة وهي فرقة الأعراف. ثم ختمت السورة بالتهكم بعبّاد الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وهكذا ختمت باثبات التوحيد كما بدأت به، فكانت دعوة الى توحيد الله عز وجل.

القطان[1] وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات
ـ عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الانجيل المثاني، وفضلت بالمفصل[2].

ولفظ أبي عبيد: أعطيت السبع مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الانجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل.

ورواه الطبراني في الكبير، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطاني ربي السبع الطول مكان التوراة، والمئين مكان الانجيل، وفضلت بالمفصل.

قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح[3].

ثم أسند أبو عبيد عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أعطيت السبع الطول مكان التوراة.

ثم ذكر حديثه عن واثلة رضي الله عنه.

ورواه الدارمي عن عبد الله رضي الله عنه موقوفاً عليه قال: السبع

---

(١) هو عمران بن داور ـ بفتح الدال المهملة والواو، آخره راء مهملة ـ أبو العوام، القطان العَمِّي ـ بفتح العين المهملة وتشديد الميم المكسورة ـ البصري، كان يرى رأى الخوارج.
راجع: الخلاصة ص ٢٩٥. والميزان ٣/٢٣٦ الترجمة رقم ٦٢٨٢.
(٢) مسند الإمام احمد ٤/١٠٧.
ومسند أبي داود الطيالسي: كتاب القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب والسبع الطوال ٢/٩ حديث رقم ١٩١٨.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/١٤: هذا حديث غريب.
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥٨.

الطول مثل التوراة، والمئون مثل الانجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل[1].

ولأبي عبيد وأحمد ـ قال الهيثمي: ورجال بعض أسانيده رجال الصحيح[2] ـ والبزار، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع (الطوال)[3] فهو حبر[4].

قال الهيثمي: ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي ار عنه، عن النبي ﷺ مثله[5].

ورواه الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[6] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **ولقد آتيناك سبعا من**

---

(1) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٢/٤٥٣.

(2) عبارة الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٦٢ هكذا:
رواه أحمد والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح، غير حبيب بن هند الأسلمي وهو ثقة. اهـ.
وحبيب هو ابن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلمي، ذكره ابن أبي حاتم ٣/١١٠ ولم يذكر فيه شيئاً.

(3) زيادة عن مجمع الزوائد.
وفي رواية لأحمد والحاكم: من أخذ السبع الأول.

(4) مسند الإمام أحمد ٦/٧٣، ٨٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٦٤ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه البغوي في شرح السنة ٤/٤٦٨ حديث رقم ١٢٠٣ ولم يعقب عليه. وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٣٥ وقال: هذا غريب. ولفظه عند الحاكم والبغوي: فهو خير، بدل: حبر.

(5) مجمع الزوائد ٧/١٦٢.
وذكر ابن كثير في تفسيره: أنه مرسل، من هذا الوجه.

(6) مجمع الزوائد ٧/٤٦.

المثاني ﴾(١))، قال: هي السبع الطوال(٢).

وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، أنا أبو بشر(٣)، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾(٤) قال: هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

ثم أسند عن مكحول وعطية بن قيس(٥) مثل قول سعيد سواء، إلا أنه قال: والتي يقال لها: يونس، قال: وهي السابعة(٦).

وكذا عن أبي محمد شداد بن عبيد الله القادمي، ويحيى بن الحارث الذماري(٧)، وقال: وأن يونس تسمى السابعة.

---

(١) سورة الحجر: آية ٨٧.

(٢) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظر وان صح السند إليه، لأنه مخالف لما ورد في الصحيح مرفوعاً من تفسير السبع المثاني بأنها سورة الفاتحة، كما في حديث أبي هريرة وأبي سعيد بن المعلى عند البخاري وغيره.

(٣) هو جعفر بن اياس اليشكري، البصري الواسطي، يروى عن عباد بن شرحبيل الصحابي، وسعيد بن جبير والشعبي، وغيرهم. وعنه هشيم وشعبة والأعمش، وثقة أبو حاتم، وضعفه شعبة، مات سنة ١٢٥ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٦٢.

(٤) سورة الحجر آية ٨٧.

(٥) هو أبو يحيى عطية بن قيس الكلابي - أو الكلاعي - الحمصي المقرىء وثقة أبو حاتم، توفي سنة ١١٠، وقيل: سنة ١٢١.
راجع: الخلاصة ص ٢٦٨. وطبقات القراء ١/٥١٣ الترجمة ٢١٢٥.

(٦) قال ابن حجر في الفتح ٨ك٣٨٢: وعند الحاكم: أنها سورة الكهف. راجع المستدرك: كتاب التفسير، سورة الحجر ٢/٣٥٥.

(٧) هو أبو عمرو- وقيل: أبو عمر، وأبو عليم - يحيى بن الحارث بن عمرو ابن يحيى الغساني، الذماري، نسبة إلى ذمار من بلاد اليمن ثم الدمشقي، أمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق، يعد من التابعين لأنه لقي واثلة بن الأسقع وحدث عنه وقرأ عليه، وثقة ابن معين وغيره. مات سنة ١٤٥ عن تسعين سنة.
راجع: طبقات القراء ٢/٣٦٧. والخلاصة ص ٤٢٢.

وقال يحيى: وليست تعد الأنفال ولا براءة من السبع الطول.

وللطبراني في الكبير - قال المنذري: ورواته رواة الصحيح، إلا المسيب ابن واضح[1]، قال الهيثمي: وهو ضعيف وقد وثق[2] - عن عبد الله بن بشير[3] رضي الله عنه قال: خرجت من حمص، فأواني الليل إلى البقيعة[4]، فحضرني من أهل الأرض، فقرأت هذه الآية من الأعراف: ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ﴾[5] إلى آخر الآية، فقال بعضهم لبعض: احرسوه الآن حتى يصبح، فلما أصبحت ركبت دابتي.

وروى ابن أبي داود عن عروة، أن زيداً بن ثابت رضي الله عنه قال لمروان: رأيتك تقرأ في المغرب بقصار المفصل[6]، لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ فيها بطولي[7] الطوليين[8]، (الأعراف)[9].

وقال مرة في تفسير الطوليين: الأنعام والأعراف[10].

---

(١) الترغيب والترهيب ٨٢/٤.

(٢) مجمع الزوائد ٢٤/٧.
وراجع ترجمته في الميزان ١١٦/٤.

(٣) كذا في الأصول. وعند المنذري في الترغيب والهيثمي في الزوائد: عبد الله بن بسر.

(٤) كذا في الأصول ومجمع الزوائد، وفي الترغيب للمنذري: البيعة.

(٥) الآية: ٥٤ من السورة.

(٦) جاء في سنن النسائي ١٦٩/٢ - قال النووي في المجموع ٣٨٣/٢: إسناد صحيح - أنه قرأ: «بقل هو الله أحد. وإنا أعطيناك الكوثر».

(٧) الطوليين بتحتانيتين تثنية طولي، والمراد: بأطول السورتين الطويلتين.

(٨) ساقطة من: د.

(٩) كتاب المصاحف لابن أبي داود ١٥٤/٤.

(١٠) كتاب المصاحف: الموضع السابق.
ونقل الحافظ في الفتح ٢٤٧/٨ عن ابن المنير: أن تسمية الأنعام والأعراف بالطوليين إنما هو لعرف فيهما، لا أنهما أطول من غيرهما يعني باستثناء سورة البقرة.
وهذا القول حسن، لأن سورة النساء أطول من سورة الأنعام. بل أطول من سورة الأعراف بمائة كلمة، كما نقله صاحب الفتح.

ورواه أبو داود نفسه في السنن. وقال: قلت: ما طولي الطوليين؟. قال: الأعراف، [1] (والأخرى: الأنعام)[2]، قال - يعني ابن جريج -: وسألت أنا ابن مليكة فقال لي من قبل نفسه: المائدة[3] والأعراف[4].

قال الحافظ المنذري في مختصره: ورواه البخاري مختصراً[5]، ورواه النسائي[6]، انتهى[7].

ورواه عبد الرزاق في جامعه ولفظه: قلت: وما طولي الطوليين؟. قال: الأعراف. قال: قلت لابن أبي مليكة: وما الطوليان؟. فكأنه قال من قبل رأيه: الأنعام، والأعراف[8].

وروى النسائي بإسناد - قال النووي في شرح المهذب: حسن[9] - عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، فرقها في الركعتين[10].

ولأبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي أيوب - أو زيد بن ثابت، رضي الله

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل، وزدناه عن سنن أبي داود.

(٢) في مختصر السنن للمنذري: آخر.

(٣) وعند أبي نعيم في المستخرج والطبراني في معجمه عن أبي عاصم: «يونس» بدل الأنعام والمائدة.

قال الحافظ في الفتح ٢٤٧/٢: فحصل الاتفاق على تفسير الطولي بالأعراف، وفي تفسير الأخرى ثلاثة أقوال، المحفوظ منها: الأنعام.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب ٢١٥/١ حديث رقم ٨١٢.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الآذان والإقامة، باب القراءة في المغرب ١٢٦/١.

(٦) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالمص ٢ك١٧٠.

(٧) مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ٣٨٦/١ حديث رقم ٧٧٥.

(٨) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب قدر القراءة في المغرب ١٠٧/٢ حديث رقم ٢٦٩١.

(٩) المجموع للنوي ٣٨٣/٢.

(١٠) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في المغرب بالمص ١٧٠/٢.

عنها ـ أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالأعراف، في ركعتين[1].

ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ـ قال الهيثمي: عن شيخه محمد ابن يعقوب الربالي وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح[2] ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾[3] قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم فاستنطعتهم، فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟. قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا، أعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بأنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فأقروا، ورفع عليهم آدم عليه السلام ينظر إليهم، فرأى الغنى والفقير وحسن الصورة، ودون ذلك. فقال: (يا)[4] رب لولا سويت بين عبادك؟. قال: إني أحببت أن أشكر. ورأى الأنبياء فيهم مثل السّرج عليهم، خصوا بميثاق آخر الرسالة والنبوة، وهو قوله تعالى: ﴿ **وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ـ إلى قوله ـ وعيسى بن مريم** ﴾[5] عليهما السلام، كان في تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم عليها السلام، فحدث عن أبيّ أنه دخل من فيها[6].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الصلاة، باب في السورة تقسم في ركعتين ١/٣٦٩.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٢٥.

(٣) الآية: ١٧٢ من السورة.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) سورة الأحزاب آية ٧.

(٦) مسند الإمام أحمد ٥/١٣٥.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٦٣: ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية أبي جعفر الرازي. اهـ. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٢٣ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

ولأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[١] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، أن الله عز وجل أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان[٢] يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراهم، فنثرهم بين يديه، ثم كلمهم قبلاً[٣]، قال: ألست بربكم؟. قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا ـ إلى قوله ـ: المبطلون[٤].

ولابن السني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن رجل عن أبيه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي (به)[٥] وجع، فقال: ما وجع أخيك؟. قال: به لمم[٦]، قال: فابعث به إليّ، فجاء فجلس بين يديه، فقرأ

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٢٥.

(٢) نعمان ـ بفتح النون واسكان المهملة، بوزن فعلان ـ: بلد بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على مسافة ليلتين من عرفات.
راجع: معجم البلدان ٥/٢٩٣.

(٣) بكسر القاف وفتح الباء: أي عيانا ومواجهة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمره، أو تبليغ كلامه أحداً من ملائكته.
راجع: النهاية ٤/٨.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٢٧٢.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٦١: وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم الى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم، اهـ.
وقد استقصى الحافظ ابن كثير هذا الحديث وبين أنها تربو على العشرين طريقاً ما بين مرفوع وموقوف.
وكذلك الحافظ شمس الدين ابن القيم في كتابه «شفاء العليل» فقد نقل عن أبي عمر ابن عبد البر: أن هذا الحديث قد روي من وجوه كثيرة وعد من رواته ثلاثين صحابياً، منهم من رواه مرفوعاً، ومنهم من ذكره موقوفاً.
وجمع طرقه الحافظ أبو بكر البيهقي في «الأسماء والصفات».

(٥) زيادة عن ابن السني.

(٦) قال ابن الأثير في النهاية ٤/٢٧٢: اللمم: طرف من الجنون يلم بالإنسان، أي يقرب منه ويعتريه.

عليه النبي ﷺ فاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها: ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إن في خلق السموات** ﴾[١] حتى فرغ من الآية! وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من أول آل عمران، و﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾[٢]، إلى آخر الآية، وآية من سورة الأعراف: ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض** ﴾[٣] وآية من سورة المؤمنين - وفي رواية: وآخر سورة المؤمنين - : ﴿ **فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾[٤]، وآية من سورة الجن: ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً** ﴾[٥]، وعشر آيات من سورة الصافات من أولها وثلاثاً من آخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين[٦].

ورواه البيهقي في الدعوات عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجة في السنن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: حدثني أبي أبو ليلى رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله، إن لي أخاً وبه وجع. قال: وما وجعه؟. قال: له لممَ، قال: فأتني به.

---

(١) الآية: ١٦٣ - ١٦٤.
(٢) الآية: ١٨ من سورة آل عمران.
(٣) الآية: ٥٤.
(٤) الآية: ١١٦.
(٥) الآية: ٣.
(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٣٦ حديث رقم ٦٣٧.
وهو حديث ضعيف، لأن في سنده يحيى بن أبي حية أبو جناب الكلبي ضعيف جداً، قال يحيى القطان: لا استحل أن أروي عنه. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.
راجع: الميزان ٤/٣٧١ ترجمة رقم ٩٤٩١. والخلاصة ص ٤٢٢.

فذكره، وفي آخره: فقام الرجل كأنه لم يشتك شيئاً قط[1].

ولابن السني عن فاطمة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ ـ لما دنا ولادها ـ أمر أم سلمة[2] وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أن تأتيا فتقرءا عندها آية الكرسي. وإن ربكم الله» إلى آخرها وتعوذاها بالمعوذتين[3].

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن» لابن رجب: أن ابن عدي[4] خرج من طريق ابن لهيعة عن أبي صخر ـ وهو حميد بن زياد[5] ـ عن نافع، عن ابن

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتضرر منه ١١٧٥/٢ حديث رقم ٣٥٤٩.
ومداره على يحيى أبو جناب الكلبي، المتوفي سنة ١٤٧ وهو ضعيف كما مر.

(٢) عند ابن السني: أم سليم.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٢٣١ حديث رقم ٦٢٥.
وهو ضعيف، لأن في سنده موسى بن محمد بن عطاء الدمياطي المقدسي، أبو طاهر الواعظ، وهو تالف، حدث بكثير من الموضوعات. قال الدارقطني: متروك.
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٦١/٨: رأيته عند هشام ابن عمار ولم أكتب عنه، وكان يكذب ويأتي بالأباطيل.
راجع: الميزان ٢١٩/٤ ترجمة رقم ٨٩٥ وفيه: عن ابن حبان: لا تحل الرواية عنه، كان يضع الحديث.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي، بن عبد الله بن محمد ابن مبارك، الجرجاني، ويعرف ـ أيضاً ـ بابن القطان، صاحب كتاب «الكامل» في الجرح والتعديل، حافظ متقن، لم يكن في زمانه مثله، روى عن أبي يعلى الموصلي والنسائي، وعنه خلائق لا يحصون ومات في جمادي الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرية، عن خمس وسبعين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ٩٤٠/٣، شذرات الذهب ٦٦/٣.
البداية والنهاية ٢٨٣/١١، طبقات الحفاظ ص ٣٨٠.

(٥) مختلف فيه، والأكثر: أنه ليس به بأس.
راجع: الميزان ٦١٢/١ ترجمة رقم ٢٣٢٨. والخلاصة ص ٩٤ والجرح والتعديل ٢٢٢/٣ ترجمة رقم ٩٧٥، وتقريب التهذيب ٢٠٢/١.

عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لم يكن يدع قراءة آخر سورة الأعراف في كل جمعة.

قال ابن رجب: ولعل سر ذلك: أن فيه ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾، وقد قال كثير من السلف: إنها نزلت في قراءة القرآن في الصلاة، وفي خطبة الجمعة، حتى قال ا لامام أحمد: أجمعوا على ذلك.

ففي تلاوتها في خطبة الجمعة أمر للناس بالانصات للموعظة وما فيها من تلاوة القرآن والذكر، وقد أبدل الناس ذلك في هذه الأزمان، بذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قلت لصاحبك: أنصت»[1]، الحديث، لكن إنما يورده المؤذن بين يدي الإمام.

وروى الحافظ زين الدين ابن رجب بسنده إلى سليم بن عيسى[2] قال: دخلت على حمزة فوجدته يمرغ خده في الأرض ويبكي. فقلت: أعيذك بالله، فقال: يا هذا استعذت لماذا[3]؟. فقال[4]: رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت وقد دعى بقراء القرآن، فكنت ممن حضر، فسمعت قائلاً يقول بكلام عذب: لا يدخل عليّ إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقري، فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟. فقلت: لبيك د عي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الانصات يوم الجمعة والامام يخطب ١/٢٢٤.
ومسلم: كتاب الجمعة ٦/١٣٧ كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً.
ونص الحديث ـ واللفظ لمسلم ـ: اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب، فقد لغوت.

(٢) هو أبو عيسى ـ وقيل: أبو محمد ـ سليم بن عيسى بن سليم، بن عامر ابن غالب، مولاهم الكوفي المقرىء، ولد سنة ١٣٠ ههجرية، وكان من أخص أصحاب حمزة، وأضبطهم لقراءته، وتوفي سنة ثمان وثمانين ـ أو تسع وثمانين ـ ومائة.
راجع: طبقات القراء ١/٣١٨. والنشر ١/١٦٦.

(٣) في د: لما هذا.

(٤) في د: قال.

الله، فبادرني ملك فقال: قُلْ لبَّيك اللهم، فقلتُ كما قال لي، فأدخلني داراً سمعت[1] فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعد، فسمعت قائلاً يقول: لا بأس عليك، أرق[2] واقرأ، فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض، وحافتاهُ من ياقوت أصفر، مراقيه من زبرجد أخضر، فقيل لي: ارق واقر فرقيت، فقيل لي: اقرأ سورة الأنعام فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ، حتى بلغت الستين آية: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[3]، فقال لي: يا حمزة ألست القاهر فوق عبادي؟. فقلت: بلى، فقال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى أتممتها، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت الأعراف، حتى بلغت آخرها، فأومأت بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى لا تسجد يا حمزة، من أقرأك هذا القرآن؟. قلت: سليمان[4]، قال: صدقت من أقرأ سليمان؟. قلت: يحيى[5]، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟. قلت: على أبي عبد الرحمن السلمى[6]، فقال: صدق أبو عبد الرحمن السلمى، من أقرأ أبا عبد الرحمن السلمى؟. قلت: ابن عم نبيك علي بن أبي طالب قال: صدق علي، من أقرأ علياً؟. قلت: نبيك محمد ﷺ. قال: فمن أقرأ نبيي محمداً؟. قلت: جبريل عليه السلام،

---

(١) في د: فسمعت.

(٢) في د: ارقأ، وهو خطأ.

(٣) سورة الأنعام آية ١٨.

(٤) هو أبو محمد سليمان بن مهران، الأسدي بالولاء، الملقب بالأعمش تابعي مشهور، نشأ بالكوفة، وأصله من بلاد الري، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع، والعمل الصالح. وتوفي بالكوفة سنة ١٤٨ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢١٣/١. وطبقات ابن سعد ٢٣٨/٦.

(٥) هو يحيى بن وثاب الأسدي، مولاهم الكوفي، تابعي ثقة، من العباد الأعلام، روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم القرآن من عبيد بن نضلة آية آية، وعرض على علقمة وعبيد بن قيس. مات سنة ثلاث ومائة هجرية.

راجع: طبقات القراء ٣٨٠/٢.

(٦) تقدمت ترجمته.

قال: فمن أقرأ جبريل عليه السلام؟. فسكتّ، قال: فقال لي: يا حمزة قل: أنت. قال: فقلت: ما أحسن أن أقول: أنت!!. قال: قل: أنت. فقلت: أنت، فقال: صدقت يا حمزة. وحق القرآن لأكرمنّ أهل القرآن يا حمزة، سيما إذا عملوا بالقرآن كلامي، وما أحببت أحداً كحبي أهل القرآن، أدن يا حمزة، فدنوت فضمخني بالغالية[1]، ثم قال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت ذلك بنظرائك: من فوقك، ومن دونك، ومن أقرأ القرآن كما أقرأت لم يرد به غيري، وما خبأت لك يا حمزة عندي أكثر، فأعلم أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم، فهم المصطفون الأخيار ولا أذنا سمعته، ولا عينا نظرته، فقلت: سبحانك، سبحانك أي رب. فقال: يا حمزة، أي نظار المصاحف؟. فقلت: يا رب أحفاظ هم؟. فقال: لا، ولكن أحفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة.

أفتلومني أن أبكي وأتمرغ في التراب[2]؟

وسيأتي في سورة يس منام له أيضاً حسن.

---

(١) قال في اللسان ٣/٣٧: الضّمخ: لطخ الجسد بالطيب، حتى كأنما يقطر..

(٢) رحم الله صاحبنا البقاعي، أما كان يكفيه ما سرده من آثار في فضائل السورة. ويجنب كتابه ذكر أمثال هذه الرؤيا، التي ان دلت على شيء فانما تدل على فضيلة لحمزة لا على فضيلة السورة؟!.

سورة الأنفال

وتسمى: الجهاد.

مدنية اجماعاً، نزلت في بدر، كما رواه أبو عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الجعبري: واختلف في قوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**[1] ﴾.

وقال النجم النسفي والشمس الأصفهاني: وقيل: الا آية، وهي قوله تعالى: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا...** ﴾**الآية**[2].

قال الأصفهاني: نزلت في قصة وقعت بمكة، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة. ولا خلاف أن هذه السورة نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه.

---

(١) الآية: ٣٣.

(٢) الآية: ٣٠.

وقال النسفي: وقيل: غير قوله: ﴿ **يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك** ﴾[1]، فإنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

وقال البغوي: مدنية، قيل: إلا سبع آيات، من قوله: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾، إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح: أنها نزلت بالمدينة وإن كانت الواقعة بمكة[2].

وقال الجعبري في شرح الشاطبية: وقيل: هي أول المدني.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمس وسبعون في الكوفي، وست في المدنيين والمكي والبصري وسبع في الشامي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ **ثم يغلبون** ﴾[3] عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **وليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾[4] الأول، أسقطها الكوفي وحده، وعدها الباقون.

﴿ **بنصره وبالمؤمنين** ﴾[5] أسقطها البصري وحده، وعدها غيره.

---

(١) الآية: ٦٤.

(٢) تفسير البغوي على هامش الخازن ٣/٢.

ولعل الذي دعا أصحاب هذه الروايات الى القول بمكية هذه الآيات: أنها تتحدث عن أمور كانت في مكة قبل الهجرة، ولكن هذا ليس بسبب، فإن هناك كثيراً من الآيات المدنية تتحدث عن أمور كانت في مكة قبل الهجرة.

راجع: الظلال ٣/١٤٣٠.

(٣) الآية: ٣٦.

(٤) الآية: ٤٢.

(٥) الآية: ٦٢.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ثمانية مواضع:

﴿أولئك هم المؤمنون﴾[1]، ﴿رجز الشيطان﴾[2]، ﴿فوق الأعناق﴾[3]، ﴿عن المسجد الحرام﴾[4]، ﴿إلا المتقون﴾[5]، ﴿يوم الفرقان﴾[6]، ﴿يوم التقى الجمعان﴾[7]، وثاني: ﴿كان مفعولاً﴾[8]. وعكسه أوله.

رويها سبعة أحرف: مدن قطرب، أو: قطرب ندم. الدال: للعبيد[9] والقاف: **الحريق**[10] والباء: **أربعة العقاب**[11].

مقصودها

ومقصودها: تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله واعتقاد: أن الأمور ليست إلا بيده، وأن الإنسان ليس له فعل يثمر ذلك الاعتصام بأمر الله، المثمر لاجتماع الكلمة، المثمر لنصر الدين، واذلال المفسدين، المنتج لكل خير، والجامع لذلك كله: أنه كما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الاله، والاجتماع عليه، لما ثبت من تفرده واقتداره، كان مقصود هذه (السور)[12] ايجاب اتباع الداعي (اليه)[13] بغاية الاذعان والتسليم

---

(١) الآية: ٤.
(٢) الآية: ١١.
(٣) الآية: ١٢.
(٤)، (٥) الآية: ٣٤.
(٦)، (٧) الآية: ٤١.
(٨) الآية: ٤٤.
(٩) الآية: ٥١.
(١٠) الآية: ٥٠.
(١١) الآيات: ١٣، ٢٥، ٤٨، ٥٢.
(١٢) ليست بالأصل، وزدناها للايضاح.
(١٣) ساقطة من: د.

والرضا، والتبرؤ من كل حول وقوة، إلى من أنعم بذلك كله، ولو شاء سلبه.

وأدل ما فيها على هذا المقصود: قصة الأنفال، التي اختلفوا في أمرها وتنازعوا قسمها، فمنعهم الله منها، وكف عنهم حظوظ الأنفس، وألزمهم الاخبات والتواضع، وأعطاها نبيه ﷺ، لأنه الذي هزمهم بما رمى من الحصيات(١) التي خرق الله فيها العادة، بأن بثها في أعين جميعهم، وبما أرسل من جنوده، فكان الأمر له وحده يمنحه من يشاء، ثم لما صار له ﷺ، رده فيهم، منة منه عليهم، وإحساناً إليهم(٢).

واسمها الجهاد كذلك، لأن الكفار دائماً أضعاف المسلمين، وما جاهد قوم منا قط إلا أكثر منهم.

وتجب مصابرة الضعيف، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق (ذلك) (٣).

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في بدر(٤).

ولأحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات (٥)ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه سُئِلَ عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٩٥: قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم: «وما رميت اذ رميت ولكنالله رمى» قال: هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصبات ميمنة القوم، وحصبات ميسرة القوم، وحصبات بين أظهرهم، وقال: شاهت الوجوه، فانهزموا.

(٢) راجع فيه حديث عبادة بن الصامت الآتي بعد قليل.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) وأخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة الأنفال ١٩٨/٥.

(٥) مجمع الزوائد ٢٦/٧.

اختلفنا[1] في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء[2].

يقول: على السواء[3].

وفي كتب الفتوح في وقعة القادسية من بلاد العراق[4]، قالوا: ولما صلى سعد بن أبي وقاص[5] رضي الله عنه الظهر، أمر غلاماً ـ كان عمر رضي الله عنه ألزمه إياه، وكان من القراء ـ بقراءة سورة الجهاد ـ يعني الأنفال ـ وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها، فقرأها على الكتيبة التي تليه[6]، وقرئت في كل كتيبة، فهشت[7] قلوب الناس، وعرفوا السكنية مع قراءتها.

قال مصعب بن سعد: وكانت قراءتها سنة، يقرؤها رسول الله ﷺ عند الزحف ويستقرئها، فعمل الناس بذلك.

قالوا: ولما فرغ[8] (من)[9] القراءة كبّر سعد، فكبر الذين يلونه، وكبّر

---

(١) في د: ختلافها.
(٢) مسند الامام أحمد ٥/٣٢٢.
(٣) في د: عن سواء.
(٤) قال صاحب معجم البلدان ٧/٦: موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً. اهـ.
وكانت وقعة القادسية في خلافة عمر سنة ١٤ هجرية بين المسلمين والفرس، وفيها انتصر المسلمون على الفرس.
(٥) سعد بن أبي وقاص ـ واسم أبي وقاص: مالك ـ بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، القرشي، ويكني أبا اسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، والستة الذين جعل عمر الشوري فيهم، أول من رمى بسهم في سبيل الله، واختلف في سنة وفاته، والمشهور: أنها سنة ست وخمسين هجرية.
راجع: الإصابة ٢/٣٠. والتجريد ١/٢١٨ ترجمة رقم ٢٢٧٢.

(٦) في د: تلاها.
(٧) جاء في اللسان ١/٣٦٤: هششت: أي فرحت.
(٨) يعني: الغلام.
(٩) ليست بالأصل، وزدناها لمقتضى السياق.

بعض الناس بتكبير بعض، فتخشخش[1] الناس، ثم ذكر أمر اليوم الأول في القتال.

وفي الفتوح لأبي القاسم عبد الرحمن بن حبيش[2]، وكذا تلميذه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي[3]، في أواخر وقعة اليرموك[4]، عن كتاب سيف بن عمر[5]، عن أشياخه: وكان القارىء يوم ذاك المقداد[6] بن الأسود.

---

(١) قال في اللسان ٢٩٧/٣: الخشخشة: حركة لها صوت كصوت السلاح.

(٢) هو الإمام الحافظ القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الله، بن يوسف، بن حبيش، الأنصاري الأندلسي، ولد سنة ٥٠٤ هجرية، وسمع من القاضي أبي بكر بن العربي، وآخرين، وكان بارعاً في النحو، حافظاً للحديث، عارفاً بمتونه ورجاله وعلله وغريبه، وتولى قضاء مرسية، وبها توفي سنة ٥٨٤ هجرية، عن ثمانين عاماً.

راجع: بغية الوعاة ٨٥/٢، تذكرة الحفاظ ١٣٥٣/٤، طبقات القراء ٣٧٨/١، طبقات الحفاظ ص ٤٨٠.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى، بن سالم، بن حسان الكلاعي الحميري، عالم الأندلس ومحدثها، ولد سنة ٥٦٥ هجرية وسمع أبا القاسم بن حبيش وآخرين، وكان اماماً في الحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، بحراً في الأدب والبلاغة، ومن كتبه: «الاكتفاء في المغازي»، و «معرفة الصحابة والتابعين»، مات شهيداً على يد الأعداء في العشرين من ذي الحجة، سنة ٦٣٤ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٤١٧/٤، طبقات الحفاظ ص ٤٩٧ ترجمة رقم ١١٠٣.

(٤) كانت وقعة اليرموك في سنة ١٣ هجرية بين المسلمين والروم، وفيها انتصر المسلمون انتصاراً حاسماً بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. واليرموك: واد بناحية الشام ينتهي الى نهر الأردن.

راجع: أيام العرب في الاسلام ص ٢٠٧. ومعجم البلدان ٥٠٤/٨.

(٥) هو سيف بن عمر الأسدي التميمي البغدادي، كوفي الأصل، من أصحاب السير، مات في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠ هجرية، له كتاب «الجمل» «والردة»، «والفتح الكبير» ضعفه ابن معين وأبو داود، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدى: عامة حديثه منكر.

راجع: هدية العارفين ٤١٣/١، ميزان الاعتدال ٢٥٥/٢ ترجمة رقم ٣٦٣٧.

(٦) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، الحضرمي ولد بحضرموت، ثم =

قالوا: ومن السنة التي سن رسول الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الأنفال، ولم يزل الناس بعد على ذلك.

وروى البزار - وفي مسنده عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف [1] - عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: نزل الإسلام بالكره والشدة، فوجدنا خير الخير في الكراهة، فخرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة فجعل لنا في ذلك العلاء والظفر، وخرجنا مع رسول الله ﷺإلى بدر على الحال التي ذكر الله عز وجل: ﴿ **وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون** ﴾ - إلى قوله: ﴿ **وتودون أ ن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾[2]، والشوكة: قريش[3]، فجعل الله لنا في ذلك العلاء والظفر، فوجدنا خير الخير في الكره.

= رحل الى مكة مع أبيه عمرو، فتبناه الأسود بن عبد يغوث بعد موت أبيه، فاشتهر بأنه المقداد بن الأسود. وتزوج من ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وتوفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان عن سبعين سنة، وذكر ابن عبد البر: أنه شهد فتح مصر ومات بها فحمل إلى المدينة فدفن بها وصلى عليه عثمان رضي الله عنه.

راجع: الإصابة ٣/٤٥٤. والاستيعاب على هامش الاصابة ٣/٤٥١.

(١) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٧.

(٢) الآيات ٥ - ٧ من السورة.

(٣) أي فرسان قريش الذين جاءوا ليحاربوا المسلمين.

سورة براءة

وهي من المئين، والأنفال من المثاني، وهي ما دون المئة، وقد بين ذلك في أصل هذا الكتاب.

واسمها أيضاً: التوبة، والفاتحة، والبحوث، والمبعثرة، والمثيرة والحافرة، والمخزية، والمهلكة، والمشرّدة، والمرشدة، والمنكلة والمدمدمة، وسورة البعوث، وسورة العذاب، والمقشقشة[1].

وهي مدنية إجماعاً.

قال الجعبري: وقيل: هي آخر المدني.

وقال أبو حيان: إلا آيتين من آخرها نزلتا بمكة، وهذا قول الجمهور[2].

---

(١) بعد قليل سيأتي شرح المؤلف لهذه الألفاظ.

(٢) البحر المحيط ٥/٤.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وتسع وعشرون في المكي، وثلاثون في عدد الباقي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ إنَّ الله بريء من المشركين ﴾[(١)]، عدها البصري وحده.

﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ﴾[(٢)] وهو الأول، عدها الشامي وحده.

﴿ وعاد وثمود ﴾[(٣)]، عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع: خمسة عشر موضعاً:

﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ﴾[(٤)] بعده: ثم لم ينقصوكم.

قال أبو عمرو الداني: على أن أهل البصرة قد جاء عنهم خلاف فيه، وفي قوله: ﴿ بريء من المشركين ﴾[(٥)]، والصحيح عندهم ما قدمناه.

﴿ وقاتلوا المشركين ﴾[(٦)]، ﴿ برحمة منه ورضوان ﴾[(٧)]، ﴿وقَلَّبُوا لك الأمور ﴾[(٨)] ﴿ وفي الرقاب ﴾[(٩)]، ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾[(١٠)]، ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴾[(١١)]، ﴿ويعذبهم الله عذاباً

---

(١) الآية: ٣.

(٢) الآية: ٣٩.

(٣) الآية: ٧٠.

(٤) الآية: ٤.

(٥) الآية: ٣.

(٦) الآية: ٣٦.

(٧) الآية: ٢١.

(٨) الآية: ٤٨.

(٩) الآية: ٦٠.

(١٠) الآية: ٦١.

(١١) الآية: ٧٩.

أليماً ﴾[1] وهو الثاني، ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾[2]، ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾[3] ، ﴿ من المهاجرين والأنصار ﴾ ، ﴿ وتفريقاً بين المؤمنين ﴾[5] ، ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾[6] ، ﴿ أن يستغفروا للمشركين ﴾[7] ، ﴿ أنهم يفتنون ﴾[8] .

وعكسه موضع :

﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾[9] .

رويها خمسة أحرف : برنمل .

اللام : قليل[10] . والباء : الغيوب[11] .

مقصودها

ومقصودها : معاداة من أعرض عما دعت ليه السور الماضية، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده[12]، واتباع ما يرضيه، وموالاه من أقبل عليه.

وأدل ما فيها على الابلاغ في هذا المقصد : قصة المخلفين، فإنهم -

---

(١) الآية : ٧٤.

(٢)، (٣) الآية : ٩١.

(٤) الآية : ١٠٠.

(٥) الآية : ١٠٧.

(٦) الآية : ١١١.

(٧) الآية : ١١٣.

(٨) الآية : ١٢٦.

(٩) الآية : ١٤.

(١٠) الآية : ٣٨.

(١١) الآية : ٧٨.

(١٢) في د : توحده.

لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك[1] المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للأعراض بالقلب ـ هجروا[2] واعرض عنهم بكل اعتبار، حتى بالكلام، حتى بالسلام، إلى أن تيب عليهم، فذلك معنى تسميتها بالتوبة، وهو يدل على البراءة. لأن البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام، كان سبب التوبة، فهو من اطلاق المسبب على السبب. وتسميتها ببراءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها.

وكذا الفاضحة: لأن من افتضح كان أهلاً للبراءة منه.

والبحوث: لأنه لا يبحث إلا عن حال البغيض.

والمبعثرة، والمنفرة[3]، والمثيرة، والحافرة، والمخزية، والمهلكة والمشردة، والمدمدمة. لأنه لا يبعثر إلا حال العدو. وكذا ما بعده.

والمشردة: عظيمة المناسبة مع ذلك، لما أشارت إليه الأنفال في: ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾[4].

وكذا سورة البعوث سواء.

وسورة العذاب أيضاً: واضحة في مقصودها، وكذا المقشقشة: لأنهم قالوا: إن معناه: المبرئة من النفاق، من تقشقشت قروحه: إذا تقشرت للبراء. وتوجيهه: أن من عرف أن الله بريء منه ورسوله والمؤمنون لأمر، فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر.

وعندي: أنه مضاعف القش الذي معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين، وعليه خرّج ما ورد في وصف أبي جهم[5] بن حذيفة رضي الله عنه

---

(١) كانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة في شهر رجب.
راجع: سيرة ابن هشام ٤/٥١٥. وفتح الباري في المغازي ٨/١١٠.

(٢) في الأصل: فهجروا. والتصويب عن مصاعد النظر.

(٣) في د: المفردة.

(٤) الآية: ٥٧.

(٥) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله، قال البخاري وجماعة: اسمه =

لمن أراد نكاحها: «أخاف عليك قشقاشته»، أي تتبعه لمداقّ الأمور أخذا من القش الذي هو تطلب المأكول من ههنا وههنا، أو عصاه التي هي غاية ذلك.

ومادة «قش»، ومقلوبها «شق»، ومضاعفها «قشقش، وشقشق»: تدور على الجمع وتلازمه الفرقة، فإنه لا يجمع إلا ما كان مفرقاً، ولا يفرق إلا ما كان مجتمعاً.

وقد برهنت على تطبيق ذلك على الجزئيات المذكورة في كتب اللغة، في كتاب «نظم الدرر»(١) الذي هذا الكتاب فرع منه(٢).

= عامر. وقيل: اسمه عبيد. أسلم عام الفتح وصحب النبي ﷺ، وكان عالماً بالأنساب، وأحد الأربعة الذين تولوا دفن عثمان، وورد ذكره في حديث فاطمة بنت قيس لما قالت: ان معاوية وأباجهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه . . . الحديث. ومات أبو جهم في خلافة معاوية.

راجع: الاصابة ٤/٣٥. والاستيعاب على هامش الاصابة ٤/٣١.

(١) نظم الدرر ٨/٣٥٠ وما بعدها. وفيه ذكر المؤلف فوائد عظيمة.

(٢) يتضح من سمات هذه السورة أن لها هدفين أساسيين بجانب الأحكام الأخرى المبثوثة في ثناياها:

الهدف الأول: تحديدا العلاقة بين المسلمين وبين المشركين وأهل الكتاب.

الثاني: اظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول ﷺ لغزو الروم.

أما الهدف الأول فقد عرضت السورة الى عهود المشركين فوضعت لها حداً، ومنعت حج المشركين الى بيت الله الحرام، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في جزيرة العرب، واباحة التعامل معهم، وقد كان بين النبي ﷺ والمشركين عهود ومواثيق، كما كان بينه وبين أهل الكتاب عهود أيضاً، ولكن المشركين نقضوا العهود، وتآمروا مع اليهود عدة مرات على رحب المسلمين، وخانت اليهود «بنو النضير، وبنو قريظة وبنو قينقاع» ما عاهدوا عليه الرسول ﷺ، ونقضوا عهودهم مرات ومرات، فلم يعد من الحكمة أن يظل المسلمون متمسكين بالعهود ونبذها اليهم على وضوح وبصيرة، لأن الناكثين لا يتورعون عن الخيانة كلما سنحت الفرصة، وبذلك قطع الله تعالى ما كان بين المسلمين والمشركين من صلات، فلا عهد ولا تعاهد، ولا سلم ولا أمان بعد أن منحهم الله فرصة كافية هي السياحة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، وأبو عمرو الداني في كتاب العدد وهذا لفظه، عن حذيفة رضي الله عنه قال: أنكم تسمعون هـذه السورة سورة التوبة، وإنها سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. أهل المدينة يسمونها، التوبة، وأهل مكة: الفاضحة.

ورواه الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] ـ ولفظه: قال: التي تسمون التوبة، هي سورة العذاب، وما تقرأون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها.

وتقدم في أواخر الفضائل العامة سر وضعها مع الأنفال[2].

وروى الطبراني ـ أيضاً ـ في الكبير عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال زمن الفتح: أن هذا عام الحج الأكبر، قال: اجتمع حج المسلمين وحج المشركين في ثلاثة أيام متتابعات واجتمع النصارى واليهود في ثلاثة أيـام متتابعـات، فاجتمـع حج المسلمـين والمشركـين، والنصارى

= في الأرض أربعة أشهر ينطلقون فيها آمنين، ليتمكنوا من النظر في أمرهم، ويختاروا ما يرون فيه المصلحة لهم.

وهذا الهدف بين في السورة في مقطعين: الأول من أول السورة حتى نهاية الآية الثامنة والعشرين. والثاني من قوله: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ـ الى قوله ـ: فذوقوا ما كنتم تكنزون. الآيات ٢٩ ـ ٣٥.

أما الهدف الثاني: فقد تحدثت السورة عن المتثاقلين من المسلمين والمتخلفين منهم، ثم كشفت الغطاء عن فتن المنافقين وحيلهم باعتبارهم خطراً داهماً يهدد كيان المسلمين، ففضحت ألوان نفاقهم، وأساليب خداعهم، حتى لم تترك لهم ستراً الا هتكته، حتى أصبحوا بين المسلمين مكشوفين، وقد استغرق ذلك معـظم آيات السـورة، ولهذا سماهابعض الصحابة «الفاضحة»، لأنها فضحت المنافقين، وكشفت أسرارهم.

راجع: الظلال ١٥٦٤/٣ وما بعدها. صفوة التفاسير ٥/٣ وما بعدها.

(١) مجمع الزوائد ٢٨/٧.

(٢) راجع

واليهود، العام في ستة أيام متتابعات، ولم يجتمع منذ خلقت السموات والأرض كذلك قبل العام. ولا يجتمع بعد العام حتى تقوم الساعة.

قال الهيثمي: رجاله موثقون، ولكن متنه منكر(١).

وله فيه عن أبي راشد(٢) قال: رأيت المقداد فارس رسول الله ﷺ - ورضي عنه - جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: (لقد)(٣) أعذر الله إليك(٤). قال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿ انفروا خفافاً وثقالا ﴾(٥).

قال الهيثمي: وفيه بقية بن الوليد وفيه ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات(٦).

وروى الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن إبراهيم بن عامر الأصبهاني بسند - قال الهيثمي: فيه نهشل بن سعيد وهو متروك(٧) - عن علي، يعني ابن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: لا يحفظ منافق سور: براءة، وهود، ويس، والدخان، وعم يتساءلون.

وروى أبو عبيد، وأبو عمرو الداني، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة. قال: تلك الفاضحة، ما يزال

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٢٩.

(٢) هو أبو راشد الحبراني - بضم الحاء المهملة واسكان الباء - قال في الخلاصة: قيل اسمه خضر، قال العجلي: ثقة، لم يكن بدمشق في زمانه أفضل منه.
راجع: الخلاصة ص ٤٤٩.

(٣) زيادة عن مجمع الزوائد.

(٤) قال في النهاية ٣/١٩٧: أي عذرك، وجعلك موضع العذر وأسقط عنك الجهاد، ورخص لك في تركه، لأنه كان قد تناهى في السّمن، وعجز عن القتال.

(٥) الآية: ٤١ من السورة.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٣٠.

(٧) نهشل بن سعيد البصري. قال الذهبي في الميزان ٤/٢٧٥: قال اسحاق بن راهويه: كان كذاباً.

ينزل: ومنهم، ومنهم[1]، حتى خشينا أن لا تدع أحداً[2].

زاد أبو عبيد: قال: فقلت: فسورة الأنفال. قال: نزلت في بدر، قال: فقلت: فسورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير[3].

وروى أبو عبيد عن أبي عطية[4] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن تعلموا سورة التوبة، وعلموا نساءكم سور النور.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت المسجد يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فجلست قريباً من أبي بن كعب رضي الله عنه، فقرأ النبي ﷺ سورة براءة. فقلت لأبي: متى نزلت هذه السورة. قال: فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة، ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني فلما صلى النبي ﷺ، قلت لأبي: سألتك فتجهمتني ولم تكلمني؟ قال أبي رضي الله عنه: مالك من صلاتك إلا ما لغوت. فذهبت إلى النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله كنت بجنب أبي وأنت تقرأ براءة، فسألته: متى نزلت هذه السورة؟. فتجهمني ولم يكلمني، ثم قال: مالك من صلاتك إلا ما لغوت. قال النبي ﷺ: صدق أبي[5].

---

(١) قال الحافظ في الفتح ٨/٦٢٩: قوله: ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم. أي كقوله: «ومنهم من عاهد الله»، «ومنهم من يلمزك في الصدقات»، «ومنهم الذين يؤذون النبي».

(٢) حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب سورة الحشر ٥/٥٨.
ومسلم في صحيحه: كتاب التفسير ١٨/١٦٥.

(٣) هذه الزيادة من تمام الحديث عند البخاري ومسلم.
وراجع: جامع الأصول لابن الأثير ٢/١٥٢ حديث رقم ٦٤٢.

(٤) لعله مالك بن عامر أبو عطية الوادعي، تابعي.
التجريد للذهبي ٢/٤٥ ترجمة رقم ٤٩٢.

(٥) صحيح ابن خزيمة: كتاب الجمعة، باب النهي عن السؤال عن العلم غير الإمام والإمام يخطب ٣/١٥٤ حديث رقم ١٨٠٧.

وقال ابن رجب: إن عبدالله بن الإمام أحمد، وسعيد بن منصور[1]، خرّجا عن أبي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ براءة يوم الجمعة.

وروى ابن ماجة: أن هذه الواقعة في سورة تبارك[2].

ويجمع بأنه قرأ آيات من كل منهما.

وروى عبد الرزاق في جامعه ـ في وجوب الخطبة ـ عن أبي سلمة[3] بن عبد الرحمن قال: بينما النبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة إذ قرأ آية، فسمعها أبو ذر رضي الله عنه، فقال لأبي بن كعب رضي الله عنه: متى أنزلت هذه الآية؟. فأنصت عنه أبيّ رضي الله عنه ثلاثا، كل ذلك ينصت عنه، حتى إذا نزل النبي ﷺ، قال أبي لأبي ذر رضي الله عنهما: ليس من جمعتك إلا ما قد مضى منها، فسأل أبو ذر رضي الله عنه النبي ﷺ عن ذلك. فقال: صدق أبي[4].

---

(١) هواالإما الحافظ أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة، ولد بجوزجان ونشأ ببلخ، وكان جوّالاً، روى عن سفيان بن عيينة، ومالك والليث بن سعد وأبي عوانـة، وخلائق لا يحصون، وروى عنه الإمام مسلم، وأبو داود، والإمام أحمد بن حنبل، وجماعة من أهل الفضل في العلم، وصنف السنن وجمع فيه الكثير، توفي بمكة سنة ٢٢٧ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ٤١٦/٢، خلاصة تذهيب الكمال ص ١٤٣، الرسالة المستطرفة ص ٣٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٧٩، شذرات الذهب ٦٢/٢.

(٢) سنن ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الاستماع للخطبة والإنصات لها ٣٥٢/١ حديث رقم ١١١١.

قال السندي في شرح ابن ماجة ٣٤٣/١: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن، بن عوف الزهري المدني، اسمه وكنيته سواء، وقيل: اسمه عبد الله، وقيل: اسماعيل. حدَّث عن أبيه عبد الرحمن، وأسامة بن زيد، وخلق كثير من الصحابة، وكان كثير الحديث ثقة فقيهاً. وروى عنه الزهري والشعبي. ومات سنة أربع وتسعين. راجع الخلاصة ص ٤٥١.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب الجمعة، باب ما يقطع الجمعة ٢٢٤/٣ حديث رقم ٥٤٢٤.

وروى عن الحسن: أن النبي ﷺ قرأ آية يوم الجمعة فقال ابن مسعود رضي الله عنه لأبي بن كعب رضي الله عنه: أهكذا نقرؤها؟. فصمت عنه أبي رضي الله عنه، وكانوا في الجمعة، فلما فرغ النبي ﷺ قال أُبيٌّ لابن مسعود - رضي الله عنهما -: لم يُجمِّع اليوم، فأتى النبيَّ ﷺ فسأله، فقال النبي ﷺ: صدق أبي(١).

وروى عبد بن حميد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه لرجل في يوم الجمعة: لا جمعة لك، فذكر الرجل للنبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، إن سعداً قال لي: لا جمعة لك. فقال النبي ﷺ: لم يا سعد؟. قال: إنه تكلم وأنت تخطب، قال: صدق سعد(٢).

ولأبي عبيد، عن أبي عبد الرحمن الحبليّ(٣)، أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول: وكان عقبة أحسن الناس صوتاً بالقرآن. قال عمر رضي الله عنه: يا عقبة أعرض عليّ سورة، قال: فعرض عليه سورة «براءة من الله ورسوله».

ولابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من قال في كل يوم حين يصبح، وحين يمسي: «حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» سبع مرات، كفاه الله ما همه - وفي نسخه: ما أهمه - (من أمر الدنيا والآخرة (٤).

---

(١) مصنف عبد الرزاق: الموضع السابق، حديث رقم ٥٤٢١.

(٢) قال الهيثمي في الزوائد ٢/١٨٥: رواه أبو يعلي والبزار، وفيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية.
وفي الميزان للذهبي ٣/٤٣٨: مات مجالد سنة ثلاث وأربعين ومائة.

(٣) هوعبد الله بن يزيد الحبلي - بضم الحاء والباء - تابعي من أهل مصر، روى عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص وكثير، وكان ثقة، وحديثه في صحيح مسلم.
راجع: طبقات ابن سعد ٧/٥١١. واللباب ١/٣٣٧.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ٣٧ حديث رقم ٨٠.

وروواه أبو داود موقوفاً وقال: كفاه الله ما أهمه)[1] صادقاً كان، أو كاذباً.[2]

قال المنذري، (وقد)[3] يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي (والاجتهاد)[4]، فسبيله سبيل المرفوع[5].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول اذا أصبح ٣٢١/٤. حديث رقم ٥٠٨١ موقوفاً على أبي الدرداء.

قال الخطابي في معالم السنن ٣٤٠/٧ نقلاً عن المزي: وهو من كلام أبي الدرداء غريب، فكيف يجزي الله الكاذب جزاء الصادق.

(٣) زيادة عن الترغيب والترهيب.

(٤) الترغيب والترهيب ٤٥١/١.

سورة يونس عليه السلام

مكية إجماعاً.

قال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنها مكية إلا آية واحدة، قال الغزنوي[1]: على رأس الأربعين وهي قوله: ﴿ **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين** ﴾[2]، فإنها مدنية، نزلت في اليهود.

وقال البغوي: مكية، إلا ثلاث آيات (من قوله)[3]: «فإن كنت في

(١) هو أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي، الغزنوي الحنفي، فقيه مفسر، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وقرأ على ابن خيرون ومات سنة تسع وتسعين وخمسمائة هجرية.

راجع: طبقات القراء ٢/٢٨٦.

(٢) الآية: ٤٠.

(٣) زيادة عن البغوي.

شك مما أنزلنا إليك»، (إلى آخرها)[1][2].

ونسب أبو حيان قول البغوي هذا إلى ابن عباس رضي الله عنهما[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وعشر آيات في الشامي، وتسع عند الباقين.

اختلافها ثلاث آيات: ﴿ مخلصين له الدين ﴾[4]، عدها الشامي وحده.

﴿ ولنكونن من الشاكرين ﴾[5]، أسقطها الشامي وحده، وعدها الباقون. ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾[6] عدها الشامي وحده.

وفيها مما يشبهالفواصل، وليس معدوداً باجماع ثلاثة.

﴿ الر ﴾[7]، ﴿ متاع في الدنيا﴾[8]، ﴿ بوأنا بني اسرائيل﴾[9].

وعكسه موضع واحد:

﴿ على الله الكذب لا يفلحون ﴾[10].

ورويها ثلاثة أحرف: ملن.

اللام بوكيل[11].

---

(١) زيادة عن تفسير البغوي.

(٢) تفسير البغوي على هامش الخازن ٣/١٤١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٥/١٢١.

(٤)،(٥) الآية: ٢٢.

(٦) الآية: ٥٧.

(٧) الآية: ١.

(٨) الآية: ٧٠.

(٩) الآية: ٩٣.

(١٠) الآية: ٦٩.

(١١) الآية: ١٠٨.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عند سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه، وذلك دالّ بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره.

وتمام الدليل على هذا: قصة قوم يونس عليه السلام، بأنهم لما آمنوا عند المخايل[١] كشف عنهم الذاب، فدل ـ قطعاً ـ على أن الآتي به إنما هو الله الذي آمنوا به، إذ لو كان غيره، لكان ايمانهم به سبحانه موجباً للايقاع بهم، ولو عذبوا كغيرهم لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: ﴿ **قد مس آباءنا الضراء والسراء** ﴾[٢]، ودلّ ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم، إنما هو من عند الله لكفرهم، لما (اتسق)[٣] من ذلك طرداً بأحوال سائر الأمم، من أنه كلما وجد الاصرار على التكذيب، وجد العذاب وعكساً: من أنه كلما انتفى في وقت يقبل قبول التوبة، انتفى، والله الموفق[٤].

---

(١) كذا بالأصل ونظم الدرر ٩/٦٢.

(٢) بعض آية من سورة الأعراف: الآية ٩٥.

(٣) ساقطة من: د.

(٤) الموضوع الرئيسي في سورة يونس هو ذلك الموضوع العام للقرآن المكي الذي سبق بيانه في سورتي الأنعام والأعراف.

فالسورة تبدأ بمواجهة المشركين في مكة فتقرير لهم أن الوحي لا عجب فيه، وأن هذا القرآن ما كان ليفتري من دون الله: «الر تلك آية الكتاب الحكيم. أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين»، «واذا تتلي عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجوه لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله. قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحي اليّ اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون. فمن أظلم ممن افتري على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون»، «وما كان هذا القرآن أن يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا =

ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه قل فأتـوا بسورة مثله، وادعـوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين».

فالسورة تقرر في وضوح: أن آية هذا الدين هي القرآن، وهو يحمل براهانه في تفرده المعجز الذي تتحداهم به.

ثم تواجه اضطراب المشركين في تصورهم لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، فتنعي عليهم عبادتهم مالا يضرهم ولا ينفعهم اعتقاداً منهم أنهم يشفعون لهم عند الله، وتلك هي القضية الكبرى قضية العقيدة التي تستغرق قطاعاً كبيراً من السورة، والتي تتمثل في اعلان وحدانية الله في ذاته وصفاته وأفعاله، وتقيم عليها الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة: «ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه، أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً، انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون. هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون. ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون».

«ويعبدون من دون الله مالاً يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون ا بمالاً يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون».

«قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، فقل: أفلا تتقون. فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال، فأنى تصفون».

الى غير ذلك من الآيات التي تعني بقضية العقيدة، وتنعي عليهم شركهم وفساد عقيدتهم.

ثم تعرض لقضية البعث فتلمسها لمساً مؤثراً موحياً، وتذكر مجادلتهم وشركاءهم يوم يبعثون للحساب.

«ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين مكناكم أنتم وشركاؤكم، فزيلنا بينهم، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون. فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين. هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت، وردوا الى الله مولاهم الحق، وضل عنهم ما كانوا يفترون». وقد سميت السورة يونس، بينما قصة يونس فيها لا تتجاوز اشارة سريعة على هذا النحو: «فلولا كانت قرية آمنت فتفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود في فضائل القرآن عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني الطول، وأوتي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي[1] أربع[2].

وتقدم في الأعراف عن سعد بن جبير: أن يونس إحدى الطول[3].

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من أخذ السبع الطول[4]، فهو حبر[5].

وله ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

ولأحمد (أيضاً)[6]، وأبي داود في الصلاة، والنسائي في فضائل القرآن، وابن عبد الحكم في كتاب الفتوح، عن عبدالله بن عمرو[7] رضي الله عنهما،

= كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين».

لأن قصة يونس هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم، فيثوبون الى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب فكشف عنهم العذاب الذي أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم، كما هي سنة الله في المكذبين المُصِرِّين.

راجع: ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ١٧٤٦/٣ وما بعدها.

(١) في الأصل: وبقين أربعاً، والتصويب عن سنن أبي داود.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما قال هي ـ أي الفاتحة ـ من الطول ٧٢/٢ حديث رقم ١٤٥٩.

وأخرجه النسائي في سننه: كتاب الافتتاح، باب تأويل قول الله عز وجل: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ١٣٩/٢.

(٣) راجع

(٤) في المسند: الأول.

(٥) مسند الإمام أحمد ٦ /٧٣، ٨٣.

(٦) ساقطة من: د.

(٧) في د: عمر. وهو خطأ.

أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله فقال: اقرأ ثلاثاً من ذوات الر. فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني - وقال ابن عبد الحكم: وضعف عظمي، وثقل لساني - قال: فاقرأ ثلاثاً من ذوات حم، فقال مثل مقالته. فقال: اقرأ ثلاثاً من المسبحات - وقال ابن عبد الحكم: من ذوات سبح - فقال مثل مقالته. فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة[١]، فأقرأه رسول الله ﷺ «إذا زلزلت» حتى فرغ منها. فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً. ثم أدبر الرجل. فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل[٢]، مرتين[٣].

وطوله ابن عبد الحكم أكثر من هذا[٤].

وروى عبد بن حميد والبزار، عن جابر عن عبدالله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال في هذه الآية ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[٥]

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٨/٤٨٤: أراد بقوله «سورة جامعة»: أنها تجمع أسباب الخير، وما يتوقع من البركة.

(٢) قال ابن الأثير في جامع الأصول - الموضع السابق - رجيل، فأمارويجل فإنه تصغير على غير قياس، وقد جاء في العربية أشياء مصغرة على غير قياس.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/١٦٩.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٧. حديث رقم ١٣٩٩.
وفضائل القرآن للنسائي ص ٨١ حديث رقم ٥٢.
وفتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٥٩.
والحديث سكت عنه أبو داود في سننه، والحافظ المنذري في مختصر السنن، ولكن صححه الحاكم في المستدرك ٢/٥٣٢. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٤) وكذا أحمد في المسند، وتمامه عندهما:
«ثم قال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل - فلما أتى به، قال: اني أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيداً لهذه الأمة فقال الرجل: أرأيت ان لم أجد الا منيحة ابني أفأضحي بها؟. قال: لا. ولكن تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله.

(٥) الآية: ٦٤ من السورة.

قال: هي الرؤيا الصالحة، يراها العبد[1] أو ترى له[2].

قال الهيثمي: وفيه محمدبن السائب الكلبي، وهو ضعيف جداً[3].

وروى أبو داود عن أبي زميّل سماك بن الوليد[4] قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري. قال: ما هو؟. قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟. قال: وضحك.

---

(١) في مجمع الزوائد: المسلم.

(٢) هذا الحديث أخرجه الترمذي في صحيحه: كتاب الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٣/٣٦٥ حديث رقم ٢٣٧٧.
والدارمي في سننه: كتاب الرؤيا، باب في قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ٢/١٢٣.
والإمام أحمد في المسند ٥/٣١٥.
كلهم من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً، لكن في سنده انقطاع لأن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع بن عبادة بن الصامت.
وأخرجه الترمذي موصولاً من حديث أبي الدرداء وحسنه: كتاب الرؤيا، حديث رقم ٢٣٧٥. وكتاب التفسير، باب سورة يونس ٤/٣٥٠ حديث رقم ٥١٠٤ بطرق مختلفة.
والإمام أحمد في المسند ٦/٤٤٧.
ولكن فيه ـ عندهما ـ راو لم يسم، وغايةما قيل فيه: شيخ من أهل مصر.
وأخرجه الإمام أحمد ٢/٢١٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٣٦: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف.
وعلى أي حال فمجموع طرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضاً ولهذا حكم عليه الترمذي بأنه حديث حسن. بل ان الحاكم رواه في المستدرك من حديث عبادة بن الصامت ٢/٣٤٠ وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٣٦.
وراجع الميزان للذهبي ٣/٥٥٦ ترجمة رقم ٧٥٧٤، وفيه يقول عن الكلبي: لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به.

(٤) قال في الخلاصة ص ١٥٦: وثقة احمد وابن معين.
وقال المنذري في مختصر السنن ٨/١١: وقد احتج به مسلم.

قال: ما نجا من ذلك أحد. قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسْأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾[١]. قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم[٢].

قال ابن رجب: وروى ابن أبي الدنيا عن أبي مودود[٣] قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا** ﴾[٤] فبكى بكاء شديداً، حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة[٥] فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائها، فجاء عبد الملك[٦] فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون، فقال: يا أبت ما يبكيك؟. قال: خير يا بني، ودّ أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

---

(١) الآية: ٩٤ من السورة.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول في رد الوسوسة ٤/٣٢٩ حديث رقم ٥١١٠.

(٣) هو عبد العزيز بن أبي سليمان، المعروف بأبي مودود، الهذلي المدني، وثقه أبو داود. «الخلاصة ٢٤٠».

(٤) الآية: ٦١ من السورة.

(٥) هي فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، زوجة عمر بن عبد العزيز كانت من فضليات نساء عصرها، روى عنها عطاء بن أبي رباح، وأبو عبيدة بن عقبة، ولما مات عمر تزوجت بعده داود بن سليمان بن مروان.
راجع: أعلام النساء ٤/٧٥.

(٦) هو عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كانت وفاته في حياة والده. انظر سير أعلام النبلاء ٥/١٤٧.

سورة هود عليه السلام

مكية اجماعاً.

وقال الأصفهاني ـ بعد أن حكى الإجماع ـ: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾[1].

وقال الغزنوي: إلى آخر الآيتين.

وعن مقاتل: مكية كلها، إلا ثلاث آيات:

قوله تعالى: ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ أفمن[3] كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن

(١) الآية: ١١٤.

(٢) الآية: ١٢.

(٣) في د: «أفمن كان علي بينه من ربه»، وفي م: أولئك يؤمنون به» فجمعت بينهما لأن الكلام عن آية واحدة.

قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ﴾[1]، نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه.

وقوله: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ نزلت في نَبْهَان[2] التمار[3]. فهذه الثلاثة مدنية، على أن الأول يشبه المكي.

وقال أبو حيان[4]: وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مكية كلها إلا قوله: ﴿ فلعلك تارك ﴾ الآية[5].

---

(١) الآية: ١٧.

(٢) في م: «نَبْهَان بن التمار» وهو خطأ. ولعله سهو من الشيخ. فهو: نَبْهان التمار. بيدون «ابن» كما في الاصابة ٣/٥٢٠ والفتح ٨/٣٥٦.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٥٢٠: ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: «والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» الآية. قال: هو نبهان التمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمراً فضرب على عجيزتها، فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك ولا نلت حاجتك، فسقط في يده، فذهب الى النبي ﷺ فأعلمه. فقال له: اياك أن تكون امرأة تمار. فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل. فأنزل الله عز وجل في اليوم الرابع هذه الآية، فأرسل اليه فأخبره، فحمد الله وأثنى عليه وشكره، وقال يا رسول الله هذه توبتي فكيف لي بأن يقبل شكري، فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات﴾.
قال الحافظ: وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مطولاً. ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسى هالكان. اهـ.
وقال في الفتح ٨/٣٥٦: قصة نبهان التمار ذكرها عبد الغني بن سعيد الثقفي أحد الضعفاء في تفسيره عن ابن عباس، وأخرجه الثعلبي وغيره من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. اهـ.
وسيأتي في فضائل السورة أن هذه الآية ـ أعني آية هود ـ نزلت في أبي اليسر عند النسائي، وفي رجل آخر عند البخاري، وليس في نبهان التمار.

(٤) البحر المحيط ٥/٢٠٠.

(٥) ويرى صاحب الظلال ـ عليه رحمة الله ـ أن السورة مكية كلها دون استثناء بعض =

. . . .

آياتها فقال: هذه السورة مكية بجملتها خلافاً لما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١٢، ١٧، ١١٤) فيها مدنية، ذلك أن مراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادىء ذي بدء. فضلاً عن أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة المسلمة معه، والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار.

فالآية ١٢ مثلاً هذا نصها: «فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل».

وواضح أن هذا التحدي وهذا العناد من قريش الى الحد الذي يضيق به صدر رسول الله ﷺ بحيث يحتاج الى التسرية عنه، والتثبيت على ما يوحي اليه، انما كان في مكة، وبالذات في الفترة التي تلت وفاة أبي طالب وخديجة، وحادث الاسراء، وجرأة المشركين على رسول الله ﷺ، وتوقف حركة الدعوة تقريباً، وهي من أقسى الفترات التي مرت بها الدعوة في مكة.

والآية ١٧ هذا نصها: «أفمن كان بينة من ربه ويتلوه شاهد منه. ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة أولئك يؤمنون به. ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، فلا تك في مرية منه، انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون».

وواضح ـ كذلك أنها من نوع القرآن المكي واتجاهه في مواجهة مشركي قريش بشهادة القرآن للنبي ﷺ، بأنه انما يوحي اليه من ربه، وبشهادة الكتب السابقة، وبخاصة كتاب موسى، وبتصديق بعض أهل الكتاب به ـ وهذا ما كان في مكة من أفراد من أهل الكتاب ـ واتخاذ هذا قاعدة للتنديد بموقف المشركين، وتهديد الأحزاب منهم بالنار مع تثبيت رسول الله ﷺ على الحق الذي هو معه، في وجه توقف الدعوة، وعناد الأكثرية الغالبة في مكة وما حولها من القبائل. وليس ذكر كتاب موسى بشبهة على مدنية الآية، فهي ليست خطاباً لبني اسرائيل ولا تحدياً لهم كما هو العهد في القرآن المدني، ولكنها استشهاد بموقف تصديق من بعضهم وبتصديق كتاب موسى عليه السلام لما جاء به محمد لا وهذا أشبه بالموقف في مكة في هذه الفترة الحرجة، ومقتضياتها الواضحة.

والآية ١١٤ واردة في سياق تسرية عن الرسول ﷺ بما كان من الاختلاف على موسى من قبل، وتوجيهه للاستقامة كما أمر هو ومن تاب معه، وعدم الركون الى الذين ظلموا ـ =

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآياتها مائة وإحدى وعشرون في المدني الأخير والمكي والبصري، واثنتان في المدني الأول والشامي، وثلاث في الكوفي.

واختلافها سبع آيات.

﴿ إني بريء مما تشركون ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

= أي أشركوا ـ، والاستعانة بالصلاة وبالصبر على مواجهة تلك الفترة العصيبة، وتتوارد الآيات هكذا: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم. وانهم لفي شك منه مريب. وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم أنه بما يعملون خبير. فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير، ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين. واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين».

وواضح: أن الآية قطعة من السياق المكي موضوعاً وجواً وعبارة. انتهى كلام صاحب الظلال رحمه الله.

ولكن يرد عليه أن الآية ١١٤ وهي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل...﴾ نزلت في رجل أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه هذه الآية... الحديث. وهو في البخاري ١/١٣٣، ٥/٢١٤ ومسلم ١٧/٧٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وهذا الرجل هو أبو اليسر ـ بفتح الياء والسين المهملة ـ كعب ابن عمرو الأنصاري، كما ذكره الترمذي والنسائي وحكاه الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٣٥٦.

وأما المرأة فقال الحافظ في الفتح ٨/٢: جاء في بعض الأحاديث أنها من الأنصار. اهـ.

وأوضح من هذا كله: ما جاء في رواية لمسلم، أن الرجل قال: «يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، واني أصبت منها ما دون أن أمسها...» الحديث. وهو في مسلم ١٧/٨٠.

فهذا وغيره دليل على مدنية هذه الآية.

وسيذكر المؤلف في فضائل السورة الروايات الواردة في نزولها وكلها تؤيد القول بأنها مدنية. والله أعلم.

(١) آية: ٥٤.

﴿ **يجادلنا في قوم لوط** ﴾[1] أسقطها البصري وحده.

﴿ **من سجيل** ﴾[2]، عدها المدى الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **منضـود** ﴾[2]، أسقطهاالأخير والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾[3]،عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **ولا يـزالون مختلفين** ﴾[4]، أسقـطها المـدنيان والمكي، وعـدهـا الباقون.

﴿ **إنا عاملون** ﴾[5]، أسقطها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

وفيهـا مما يشبـه الفاصلة، وليس معـدوداً باجمـاع تسعة مـواضـع: ﴿ **السـر** ﴾[6]، ﴿ **يعلم مـا تسـرون ومـا تعلنـون** ﴾[7]، ﴿ **إنمـا أنت نـذير** ﴾[8]، ﴿ **فسـوف تعلمون** ﴾[9]، ﴿ **سـوف تعلمون** ﴾[10]، ﴿ **وفـار التنور** ﴾[11]، ﴿ **فينا ضعيفا** ﴾[12]، ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس** ﴾[13].

وعكسه موضع ﴿ **كما تسخون** ﴾[14].

ورويها اثنا عشر حرفاً «قد ظنّ زلط ذمّ صبر».

---

(١) اية: ٧٤.

(٢) آية: ٨٢.

(٣) آية: ٨٦.

(٤) آية: ١١٨.

(٥) آية: ١٢١.

(٦) آية: ١.

(٧) آية: ٥.

(٨) آية: ١٢.

(٩) آية: ٣٩.

(١٠) آية: ٩٣.

(١١) آية: ٤٠.

(١٢) آية: ٩١.

(١٣) آية: ١٠٣.

(١٤) آية: ٣٨.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، في حالتي البشارة والنذارة المقتضى لوضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه، مهما أريد، الموجب للقدرة على كل شيء.

وأنسب ما فيها لهذا المقصد: ما ذكر في سياق قصة هود عليه السلام من أحكام البشارة والنذارة بالعاجل والآجل في قوله تعالى: ﴿ **يوم القيامة** ﴾ والتصريح بالجزم بالمعاجلة بالمنابذة، الناظر إلى أعظم مدارات السورة ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك** ﴾، والعناية بكل دابة، والقدرة على (كل) شيء من البعث وغيره، المقتضى للعلم بكل معلوم، اللازم منه التفرد بالملك(٣).

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) زيادة عن: د.

(٣) سورة هود مكية، وهي تعني بأصول العقيدة: التوحيد. والرسالة والبعث والجزاء.
ولذلك فهي تحتوي على قطاعات ثلاثة:
القطاع الأول: يتضمن حقائق العقيدة، وقد جاء في مقدمة السورة والقطاع الثاني: يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ البشري ويشغل معظم أجزاء السورة.
والقطاع الثالث: يتضمن التعقيب على هذه الحركة.
وقطاعات السورة تتعاون في جملتها في تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية التي تستهدفها السورة وهي:
أن ماجاء به النبي ﷺ وما جاء به الرسل من قبله حقيقة واحدة موحى بها من الله عز وجل، وهي تقوم على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، والخضوع لله وحده لا شريك له. ولذلك تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿الر، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ألا تعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير﴾.
ثم بعد ذلك تستعرض دعوات الرسل التي تستهدف غرس العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك. فمثلاً:
﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين. ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه، وأبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي إسحاق السبيعي(١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد

= ﴿والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون﴾.
﴿والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا؟ اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب﴾.

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره...﴾. وفي الختام تعقب السورة على ذلك القصص الذي يعرض مراحل الدعوة الى توحيد الله، يقول الله لنبيه ﷺ.
﴿ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾.
وحول قضية البعث تأتي هذه الآيات وما يشبهها:
﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىالماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت انكم مبعثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين. ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾.
﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾.
وهكذا تقصد السورة التعريف بحقيقة الألوهية وحقيقة الآخرة واثبات رسالة محمد ﷺ.
راجع: الظلال ٤ /١٨٤٤، صفوة التفاسير ٥/٨٦.

(١) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد الهمداني الكوفي السبيعي، من أعلام التابعين، يشبه الزهري في الكثرة، روى عن جابر بن سمرة، وزيد ابن أرقم، وانس بن مالك، وعليّ، وجماعة من الصحابة، وروى عنه السفيانان والأعمش، وهو من الثقات، مات سنة ١٢٦ هجرية.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١١٤، شذرات الذهب ١/١٧٤، الخلاصة ص ٢٩١.

شبت، قال: شيبتني هود، والواقعة، والملاسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت[١].

ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده بسند ـ قال ابن دقيق العيد[٢] في «الاقتراح»[٣]: إنه خرج برواية البخاري ولفظه ـ قال أبو بكر: يا رسول الله أراك قد شبت، قال: شيبني هود، والواقعة، والملاسلات، وعم يتساءلون.

قال: وذكر البزار فيه اختلافاً[٤].

ورواه مسدد، وأبو يعلى الموصلي، عن عكرمة قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ: ما شيبك؟. فذكره بمثله[٥].

ورواه عبد الرزاق مرسلاً[٦]، عن معمر، عن أبي إسحاق قال: قال

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة ٥/٤٠٢. حديث رقم ٣٢٩٧.
والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود ٢/٣٤٣. وقال: صحيح علي شرط البخاري.
وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٣٥٠.

(٢) هو القاضي أبو الفتح محمد بن علي بن وهب، بن مطيع، بن أبي الطاعة المعروفي بابن دقيق العيد، محدث مجتهد، ولد سنة ٦٢٥ بمدينة ينبع، وأصل أبيه من منفلوط، تتلمذ على العز بن عبد السلام وغيره من كبار العلماء، ومن مصنفاته: «الالمام في أحاديث الأحكام» وشرح الأربعين النووية، وغيرهما. توفي سنة ٧٠٢ هجرية.
راجع: البدر الطالع ٢/٢٢٩، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨١، وحسن المحاضرة ١/٣١٧.

(٣) اسمه: «الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أُضيف الى ذلك من الأحاديث المعدودة من الصحاح»، وقد نشرته وزارة الأوقاف العراقية سنة ١٤٠٢ هجرية، وقام بتحقيقه الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري.

(٤) الاقتراح ص ٤٧٤.

(٥) قال الهيثمي في الزوائد ٧/١٣٣: عكرمة لم يدرك أبا بكر.

(٦) وسبب ارساله: أن أبا إسحاق السبيعي لم يدرك رسول الله ﷺ، فهو تابعي، كما مر قريباً.

رسول الله ﷺ: شيبتني هود وأخواتها: سورة الواقعة، وسورة القيامة، والمرسلات، وإذا الشمس كورت، (وإذا[1] السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت)[2].

ورواه أبو بكر الشافعي في الأول من الغيلانيات، عن مسروق، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أسرع إليك الشيب، فقال: شيبتني هود وأخواتها.

ومسروق لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه[3].

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن مصنف عبد الرزاق.

(٢) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣٦٨/٣ حديث رقم ٥٩٩٧.

قال المناوي في فيض القدير ١٦٩/٤: لعل ذلك لما فيهن من التخويف الفظيع، والوعيد الشديد، لا شتما لهن مع قصرهن على حكاية أهوال الآخرة، وعجائبها، وفظائعها، وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة وهو من أصعب المقامات، وهو كمقام الشمر وهو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم به عليه من حواسه الظاهرة والباطنة الى ما خلق لأجله من عبادة ربه، بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل، ولهذا لما قيل للمصطفى ﷺ ـ وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة ـ: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. اهـ.

(٣) هذه مسألة فيها نظر: ففي خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: أن مسروق روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ، وقال ابن المديني: صلى خلف أبي بكر. وكذا قال الذهبي في تذكرة الحفاظ وجاء في طبقات الحفاظ للسيوطي: أنه مات عن ثلاث وستين سنة فاذا علم أنه توفي سنة ثلاث وستين هجرية، دل ذلك على أنه ولد في السنة الأولى من الهجرة، وأبو بكر رضي الله عنه انما توفي في جمادي الآخرة سنة ١٣ هجرية، فيكون مسروق قد عاصره وشاهده وهو في سن يمكن معها الرواية والتحمل، ولا سيما وقد نقل عن ابن معين: أنه صلى خلف أبي بكر.

ومسروق هو: ابن الأجدع الهمداني، أبو عائشة الكوفي، أحد الأعلام، ومن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن أخت معد يكرب الزبيدي الصحابي والفارس =

ورواه أبو يعلى عن عكرمة، عن أبي بكر رضي الله عنه ـ وهو لم يدركه أيضاً[(١)] ـ قال: قلت: يا رسول الله أسرع إليك الشيب، قال: شيبتني الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وهود[(٢)].

ورواه الطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[(٣)]ـ فلم يذكر هود.

ورواه الطبراني ـ أيضاً ـ في الكبير ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح[(٤)]ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله قد شِبْتَ؟. قال: شيبتني هود وأخواتها.

ورواه الطبراني أيضاً ـ قال الهيثمي: وفيه عمرو بن ثابت وهو متروك[(٥)] ـ عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ أن أبا بكر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: ما شيبك يا رسول الله، قال: شيبتني هود والواقعة.

وللطبراني في الكبير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: شيبتني هود وأخواتها، الواقعة، والحاقة وإذا الشمس كورت.

= المشهور. قال الشعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٤٩، الخلاصة ٣٧٤.
طبقات الحفاظ ص ١٤، طبقات القراء ٢/٢٩٤،
شذرات الذهب ١/٧١، طبقات ابن سعد ٦/٥٠.

(١) قاله الحافظ نور الدين الهيثمي في الزوائد ٧/٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة الواقعة ٥/٧٦. حديث رقم ٣٣٥١ عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بكر. وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس الا من هذا الوجه.

(٣) مجع الزوائد ٧/٣٧.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٣٧.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٣٧.
وراجع الميزان ٣/٢٤٩ ترجمة رقم ٦٣٤٠. والمغنى في الضعفاء ٢/٤٨٢ ترجمة رقم ٤٦٣٦.

قال الهيثمي: وفيه سعيد بن سلام العطار، وهو كذاب. انتهى[1].

وروايته لا تقدح فيه، لما مضى له من الشواهد، والله أعلم.

ولأبي عبيد من طريق ابن شهاب قال: قالوا: يا رسول الله، أنا نرى في رأسك شيباً، فقال: كيف لا أشيب وأنا أقرأ سورة هود، وإذا الشمس كورت.

وروى الترمذي في الشمائل، وأبو يعلى، عن أبي جحيفة[2] رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله لقد شبت، قال: شيبتني هود وأخواتها[3].

وتقدم في براءة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[4].

وللدارمي مرسلاً، عن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأوا سورة هود يوم الجمعة[5].

وعن عبد الله بن رباح مثله[6].

وروى ابن رجب عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب، قال: أجل لقد شيبتني هود وأخواتها.

---

(١) مجمع الزوائد ٣٧/٧.
وراجع ترجمته في الميزان ١٤١/٢ وفيه عن البخاري قال: يذكر بوضع الحديث.

(٢) هو عبد الله بن وهب السّوائي، أبو جحيفة الكوفي، له خمسة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديثين منها وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة، وكان من كبار أصحاب علي وخواصه. توفي سنة ٧٤ هجرية.
راجع: الخلاصة ص ٤١٨. والاصابة ٦٠٦/٣.

(٣) الشمائل ص ١٣.

(٤) راجع:

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٤٥٤/٢.

(٦) سنن الدارمي: الموضع السابق.

قال عطاء: أخواتها: اقتربت الساعة، والمرسلات عرفاً، إذا الشمس كورت.

وروى ابن السنى عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أمانٌ لأمتي من الغرق إذا ركبوا (السفينة)[1] أن يقولوا: ﴿**بسم الله مجراها ومرساها إنَّ ربي لغفور رحيم**﴾[2]، ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾[3] الآية[4].

قال النووي: هكذا هو في النسخ ﴿ **إذا ركبوا** ﴾، لم يقل السفينة[5].

وروى البغوي من طريق البخاري في التفسير من صحيحه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة- فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[6] فقال: يا رسول الله، إليَّ هذا؟. قال: لجميع أمتي كلهم[7].

---

(١) زيادة عن عمل اليوم والليلة لابن السنن.

(٢) سورة هود آية ٤١.

(٣) سورة الأنعام آية ٩١. رسورة الزمر آية ٦٧.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ١٨٧ حديث رقم ٥٠١.

وهو حديث ضعيف، لأن في سنده يحيى بن العلاء البجلي الرازي ضعفه ابن معين. وجماعة. وقال الدار قطني: متروك. وقال الامام احمد: كذاب يضع الحديث، وذكر له الذهبي في الميزان عدة أحاديث كلها ضعيفة. منها هذا الحديث. وترجمته في الميزان ٤/٣٩٧.

كما أن في سنده جبارة بن المغلّس الحِمّاني الكوفي، المتوفي سنة ٢٤١، كذبه ابن معين، وروى عن البخاري أنه قال: مضطرب الحديث. وذكر له الذهبي في الميزان ١/٣٨٧ حديثين منكرين. فهو سند ظلمات بعضها فوق بعض.

(٥) الأذكار ص ١٩٩.

لكن «السفينة» موجودة في كتاب ابن السني، ولعلها وضعت بفعل النساخ.

(٦) سورة هود آية ١١٤.

(٧) تفسير البغوي على هامش الخازن ٣/٢١٠.

وروى أحمد، والطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: بإسناد فيه على بن زيد[١] وهو سيء الحفظ ثقة، وبقية رجاله ثقات[٢] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت رجلاً تشتري منه شيئاً، فقال: ادخلي الدولج[٣] حتى أعطيك فدخلت، فقبلها وغمزها، فقالت: ويحك إني مغيب[٤]، فتركها[٥].

وفي رواية: أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه قال: امرأة جاءت تبايع، فأدخلتها الدولج، فأصبت منها ما دون الجماع، فقال: ويحك لعلها مغيبة[٦] في سبيل الله؟. قال: نعم. قال: فأت أبا بكر فاسأله. قال: فأتاه

= والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة ١٣٣/١، وكتاب التفسير: سورة هود ـ، باب قوله: وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ٢١٤/٥.

ومسلم: كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ان الحسنات يذهبن السيئات ٧٩/١٧ بطرق مختلفة.

والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ٢٥٣/٤ حديث رقم ٥١١٦.

وأبو داود: كتاب الحدود، باب الرجل مما يصيب من المرأة ما دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الامام ١٦٠/٤ حديث رقم ٤٤٦٨.

(١) هو أبو الحسن علي بن زيد، بن عبد الله، بن زهير أبي مليكة، بن جدعان، القرشي التيمي البصري، المتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة كان من علماء التابعين، وكان ضريراً، روى عن أنس بن مالك، وأبي عثمان النهدي، وسعيد بن المسيب.
راجع: الميزان ١٢٧/٣ ترجمة رقم ٥٨٤٤، والخلاصة ص ٢٧٤.

(٢) مجمع الزوائد ٣٨/٧.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ١٤١/٢: الدّولج: المخدع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير. وأصل الدولج: وولج، لأنه فوعل، من ولج يلج اذا دخل، فأبدلوا من الواو تاء، فقالوا: تولج. ثم أبدلوا من التاء دالاً، فقالوا: دولج.

(٤) المرأة المغيب: التي غاب عنها زوجها، سواء غاب عن البلد بسفر، أو كان بالبلد.
راجع: شرح مسلم للنووي ١٥٥/١٤ وفيه: المغيب؛ بضم الميم، وكسر الغين، واسكان الياء.

(٥) مسند الامام احمد ٢٦٩/١.

(٦) في المسند: مغيب.

فسأله. فقال: لعلها مغيبة في سبيل الله؟. فقال مثل قول عمر ثم أتى النبي ﷺ، ونزل القرآن: ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل** ﴾ إلى آخر الآية، فقال: يا رسول الله، إلي خاصة أم للناس عامة؟. فضرب عمر رضي الله عنه صدره بيده، وقال: لا، ولا نعمة عين[١]، بل للناس عامة، فقال رسول الله ﷺ: صدق عمر[٢].

قال الهيثمي: ورواه الطبراني في الأوسط باختصار كثير، واسناد ضعيف[٣].

ورواه النسائي في الرجم من الكبرى، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه النسائي ـ أيضاً ـ عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر[٤] قال: أتته امرأة وزوجها قد بعثه ﷺ في بعث، فقالت له: بعني بدرهم تمراً. قال: فقلت لها ـ وقد أعجبتني ـ: إن في البيت تمراً أطيب من هذا. فانطلق بها، فذكر الحديث نحوه[٥].

---

(١) نعمة عين ـ بالضم ـ ونعم عين ـ بدون تأنيث، ونعمى: أي قرة عين.
راجع: النهاية ٥/٨٤.

(٢) مسند الامام احمد ١/٢٤٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٣٨.

(٤) هو كعب بن عمرو، بن عباد، بن عمرو، بن غزّية، بن سواد، بن غنم ابن كعب، بن سلمة، الأنصاري، أبو اليسر ـ بفتح الياء والسين ـ مشهور بكنيته. شهد بيعه العقبة، وبدرا، مات سنة خمس وخمسين بالمدينة، وهو آخر أهل بدر موتا رضي الله عنه.
راجع: الاصابة ٤/٢١٧. والخلاصة ص ٣٢١. والاستيعاب ٤/٢١٥.

(٥) لم أعثر عليه في سنن النسائي، فقد يكون في سننه الكبرى، أو عمل اليوم والليلة له.
ولكن أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ٤/٣٥٤ حديث رقم ٥١١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وفي سنده قيس بن الربيع، قال الترمذي: ضعفه وكيع وغيره.
وقيس بن الربيع هو الأسدي الكوفي، المتوفي سنة ١٦٧، أو: ١٦٨.
قال الذهبي في الميزان ٣/٣٩٣: صدوق في نفسه، سيء الحفظ.

سورة يوسف

مكية كلها اجماعاً.

وقال أبو حيان: وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة: إلا ثلاث آيات من أولها[١].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل منها

وآيها مائة واحدى عشرة اجماعاً.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، اثنا عشر موضعاً؛ ﴿ الر ﴾[٢]، ﴿ منهن سكيناً ﴾[٣]، ﴿ السجن فتيان ﴾[٤]، ﴿ وأخر

(١) البحر المحيط ٥/٢٧٦ .
(٢) الآية : ١
(٣) الآية: ٣١.
(٤) الآية : ٣٦

يابسات﴾[1] موضعان، **﴿حمل بعير﴾**[2]، **﴿كيل يسير﴾**، **﴿فصبر جميل﴾**[4]، كلاهما **﴿يأت بصيراً﴾**[5]، **﴿فارتد بصيراً﴾**[6]، **﴿لأولى الألباب﴾**[7].

وعكسه موضعان:

﴿عشاء يبكون﴾[8] ، **﴿بضع سنين﴾**[9] .

ورويها أربعة أحرف: نرمل. اللام: **﴿وكيل﴾**[10].

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى - ويأتي في هذه السورة - من تمام علم منزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً.

وهذه القصة - كما ترى - أنسب الأشياء لهذا المقصود، وأدل عليه مما في آخرها، فلذلك سميت سورة يوسف[11].

---

(١) الآية : ٤٣ ، والآية : ٨٣

(٢) الآية : ٧٢

(٣) الآية : ٦٥

(٤) الآية : ١٨ ، والآية : ٨٣

(٥) الآية : ٩٣

(٦) الآية : ٩٦

(٧) الآية : ١١١

(٨) الآية : ١٦

(٩) الآية : ٤٢

(١٠) الآية : ٦٦

والراء : « ذلك كيل يسير » ، آية ٦٥ .

وأما الميم والنوم فباقي آيات السورة .

(١١) نزلت سورة يوسف بعد سورة هود ، عليهما السلام ، في مكة ، في فترة من أصعب

فضلها

وأما فضلها: فروى أبو عبيد في الفضائل عن عون بن عبد الله بن عتبة أن أصحاب رسول الله ﷺ مَلُّوا، فقالوا: يا رسول الله حَدِّثْنَا، فأنزل الله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾، قال ثم نعته فقال: ﴿كتباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ الآية[1].

قال: ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، حَدِّثنا شيئاً فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿الر تلك

= الفترات في حياة رسول الله ﷺ وعلى أصحابه لا سيما بعد وفاة زوجة السيدة خديجة، وعمه أبي طالب الذي كان خير نصير له في مكة. وبوفاتها اشتد أذى المشركين له ولأصحابه حتى لقد عرف هذا العام بعام الحزن.

في هذه الفترة العصيبة نزلت عليه ﷺ سورة يوسف فكانت بمثابة التسلية له والتخفيف لآلامه، بما فيها من قصة نبي كريم واجه من البلاء والمحن ما قصه الله في ثنايا السورة. وكأنّ الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن ولا تتألم لتكذيب قومك وايذائهم لك، فان بعد الشدة فرجاً، وان بعد الضيق مخرجاً. أنظر إلى أخيك يوسف وما حدث له من صنوف المحن والبلاء: محنة حسد أخوته وكيدهم له، ومحنة رميه في الجب، ومحنة تعلق امرأة العزيز به، ثم مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتنة والاغراء، ثم محنة السجن بعد ذلك، فانظر إليه وقد صبر على الأذى في سبيل عقيدته، وصبر على الصبر والبلاء في سبيل دعوته، فنقله الله من السجن إلى القصر، وجعله عزيز مصر وملكه الله خزائنها، فكان السيد المطاع، والعزيز المكرم، وهكذا هم أولياء الله.

فالسورة تبشر بقرب النصر، لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، فهي للقلب سلوى، وللجروح بلسم، وأنه لا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر، «وكذلك نجزي المحسنين».

راجع: ظلال القرآن ١٩٤٩/٤. صفوة التفاسير ٥/٦.

(١) سورة الزمر آية ٢٣

آيات الكتاب المبين، إلى قوله: **نحن نقص عليك أحسن القصص﴾**[١].

قال: فإن أرادوا الحديث، دلهم على أحسن الحـديث، وإن أرادوا القصص، دلهم على أحسن القصص.

وروى إسحاق بن راهويه، وابن مردويه في تفسيره من طريقه وأبو يعلى الموصلي في مسنده، عن سعد ـ هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله: نحن نقص عليك أحسن القصص. الآية، قـال: أنزل الله القـرآن على رسوله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾، نحن نقص عليك أحسن القصص الآية، فتلاها رسول الله ﷺ زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً** ﴾ الآية، كل ذلك يؤمرون بالقرآن.

قال خلاد: وزاد فيه آخر، قالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[٢].

قال شيخنا البوصيري: هذا حديث حسن[٣].

وروى ابن اسحاق: أن الأنصار لما بايعـوا رسول الله ﷺ بـالعقبة ورجعوا، قام رافع بن مالك[٤] في المدينة بسورة يوسف، بعث بها معه رسول

---

(١) سورة يوسف آية ١ ـ ٣

(٢) سورة الحديد آية ١٤ .

(٣) وأخرجه الحاكم مختصراً في المسند ٢/٣٤٥ وقال :صحيح الاسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري كان أحد النقباء في بيعة العقبة الأولى والثانية وأول من أسلم من الخزرج. وكان من أهل بدر . وقتل شهيداً يوم أحد .
راجع : الاصابة ١/٤٨٧ ترجمة رقم ٢٥٤٤ . والاستيعاب على هامش الاصابة ١/٤٨٢ . والتجريد للذهبي ١/١٧٤ . ترجمة رقم ١٨٠٦ .

الله ﷺ، وكانت أول سورة دخلت المدينة(١).

وروى أبو داود والدارمي، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تعلقت بقدم رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرئني سورة هود وسورة يوسف عليهما السلام، فقال لي رسول الله ﷺ: يا عقبة إنك لن تقرأ من القرآن أحب إلى الله، ولا أبلغ عنده من ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾(٢).

ولفظ أبي داود: قلت يا رسول الله أقرئني من سورة يوسف، ومن سورة هود، عليهما السلام، قال: يا عقبة اقرأ بأعوذ برب الفلق، فإنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله، وأبلغ عنده منها، فإن استطعت ألا تفوتك فافعل(٣).

هذا القول ـ مع أنه حق في نفسه، لأن كل القرآن بالنسبة إلى حب الله تعالى ليس واحداً، لأن المراد به: لازمه، وهو الاثابة ـ ترغيب في الفلق، لا تزهيد في السورتين. وذلك لأن النبي ﷺ قرأ المعوذتين أول ما أنزلتا على عقبة رضي الله عنه، فلم يرهما وقعتا عند بما يليق بهما، كما يأتي إن شاء الله تعالى عند ذكرهما.

---

(١) لم أعثر عليه في سيرة ابن هشام، ولكن ذكره ابن حجر في الإصابة ١/٤٨٧ . وابن عبدالبر في الاستيعاب ١/٤٨٢ على هامش الإصابة . والذهبي في التجريد ١/١٧٤ .

(٢) سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل المعوذتين ٢/٤٦٢ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ للنسائي في سننه : كتاب الافتتاح ، باب القراء في الصبح بالمعوذتين ٢/١٥٨ .

أما لفظة عند أبي داود فهكذا :

« عن عقبة بن عامر قال : كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر ، فقال لي : يا عقبة ، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا ، فعلمني ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس﴾. قال: فلم يَرَني سررتُ بهما جداً، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إليّ فقال: يا عقبة كيف رأيت؟.

سورة الرعد

قال الداني وتبعه الجعبري: قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: مكية.

وقال قتادة: هي مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿ **ولا[١] يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة[٢]** ﴾.

قال الجعبري: وعنه من أولها إلى: ﴿ **ولو أن قرآناً** ﴾[٣].

والأحاديث الواردة في سبب نزول آية الرعد في أَرْبَدَ وعامرِ بن الطُّفَيْلِ وغيرهما[٤] تدل على أنها مدنية.

(١ ـ ٣) الآية : ٣١ فهما آية واحدة ، جمع بين طرفيها في القولين كما ذكر المؤلف .

(٢) كتاب البيان للداني : ورقة ٥٥ من الظهر .

(٣) آية ٣١.

(٤) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٠٦/٢ عن الحافظ أبي القاسم الطبراني باسناده إلى ابن عباس : أن أربد بن قيس بن حزم ابن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ ، فانتهيا اليه وهو جالس ، فجلسا =

. . . .

بين يديه ، فقال عامر بن الطفيل : يا محمد ما تجعل لي أن أسلمت ؟. فقال رسول الله ﷺ : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ، قال عامر بن الطفيل : أتجعل لي الأمر أن أسلمت من بعدك ؟. قال رسول الله ﷺ : ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، اجعل لي الوبر ، ولك المدر قال رسول الله ﷺ : لا . فلما قفلا من عنده قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فقال رسول الله ﷺ : يمنعك الله . فلما خرج أربد وعامر ، قال عامر : يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس اذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهم الدية . قال أربد : أفعل ، فاقبلا راجعين إليه ، فقال عامر : يا محمد قم معي أكلمك . فقام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ، ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه ، وسلّ أربد السيف ، فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف ، فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد علي عامر بالضرب ، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع ، فانصرف عنهما ، فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله ﷺ حتى اذا كانا بالحرة ـ حرة بني واقم ـ نزلا ، فخرج اليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا : اشخصا يا عدوى الله ، لعنكما الله ، فقال عامر : من هذا يا سعد ؟. قال : هذا أسيد بن حضير الكاتب ، فخرجا حتى اذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته . وخرج عامر حتى اذا كان بالخريم أرسل الله قرحة فأخذته ، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول : غدة كغدة الجمل في بيت سلولية ، يرعب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأركضه حتى مات عليه راجعاً . فأنزل الله فيهما : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـ إلى قوله ـ : وما لهم من دونه من وال ﴾ . قال ـ أي ابن عباس ـ : المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ . ثم ذكر أربد وما قتله به فقال : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ الآية .

كذا رواه الحافظ في تفسيره ولم يعقب عليه . ولكن في سنده عبدالعزيز ابن عمران الزهري المدني وهو متروك ، قال البخاري : لا يكتب حديثه . راجع : ترجمته في الميزان ٢/٦٣٢ .

وفيه أيضاً عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وأخوه عبدالله ، وكلاهما مختلف فيه ، حتى لقد قال يحيى بن معين : بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء . راجع : الميزان ٢/٤٢٥ ترجمة رقم ٤٣٣١ ، وص ٥٦٤ ترجمة رقم ٤٨٦٨ .

والخلاصة ص ١٩٨ ، ٢٣٧ . =

والأحـاديث الواردة في سبب نـزول: ﴿ **ولو أن قـرآناً سيـرت بـه الجبال** ﴾[1] **تدل على أنها مكية. والله أعلم.**

وقال النجم النسفي: هي مدنية في قول عكرمة والحسن وقتادة ولم يستثن شيئاً، وكذا قال الغزنوي: قال قتادة: كلها مدنية.

وقال مقاتل: هي مكية، إلا الآية التي في آخر السورة.

وقال الأصفهاني: وقيل: هي مكية، إلا آيتين: ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة** ﴾ الآية، ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلاً** ﴾[2] الآية.

وعزا الغزنوي هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الأصفهاني: وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أن قرآناً سيرت به الجبال** ﴾[3] إلى آخرهما.

وقيل: المدني منها قوله تعالى: ﴿ **هو الذي يريكم البرق** ﴾[4]، إلى قوله: ﴿ **دعوة الحق** ﴾[5].

= وهذا الحديث ذكره الحافظ نورالدين الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والكبير بنحوه، وفي اسنادهما عبدالعزيز بن عمران وهو ضعيف.

(١) الآية: ٣١ من السورة.

(٢) هي الآية الأخيرة من السورة.

(٣) الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٤) الآية: ١٢.

(٥) الآية: ١٤.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وأيها ثلاث وأربعون في الكوفي، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في البصري، وسبع في الشامي.

واختلافها خمس آيات:

﴿ **لفي خلق جديد** ﴾[1]، أسقطها الكوفي وحده.

﴿ **وهل يستوي الأعمى والبصير** ﴾[2]، عدها الشامي وحده.

﴿ **أم هل تستوي الظلمات والنور** ﴾[3]، أسقطها الكوفي وحده.

﴿ **أولئك لهم سوء الحساب** ﴾[4]، عدها الشامي وحده.

﴿ **من كل باب** ﴾ [5] أسقطها المدنيان والمكي.

وفيها ما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، خمسة مواضع:

﴿ **المر** ﴾[6]، ﴿ **وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾[7]، ﴿ **لربهم الحسنى** ﴾[8]، ﴿ **يكفرون بالرحمن** ﴾[9].

وعكسه موضع واحد: ﴿ **يضرب الله الأمثال** ﴾[10].

---

(١) الآية : ٥ .
(٢، ٣) الآية : ١٦ .
(٤) الآية : ١٨
(٥) الآية : ٢٣ .
(٦) الآية : ١ .
(٧) الآية : ٨ .
(٨) الآية : ١٨ .
(٩) الآية : ٣٠ .
(١٠) الآية : ١٧ .

رويها سبعة أحرف: ﴿ نرق لعبد ﴾، العين: متاع[1].

وردف النون[2] والقلوب[3]: واو، والباقي: ألف.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه، مع أن له صوتاً وصيتاً، وارغاباً[4] وارهاباً، يهدي بالفعل. وتراه لا يتأثر، بل يكون سبباً للضلال والعمى.

وأنسب ما فيها لهذا المقصد: الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير، والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا. وإذا نزل المطر: فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالاغراق، أو الصواعق، أو البرد، وغيرها[5].

---

(١) الآية: ٢٦.

(٢) يعني الآيات التي رويها النون، وهي الآيات الخمس في أول السورة. وردفها الواو.

(٣) الآية: ٢٨.

(٤) في د ونظم الدرر: «وإرعاباً» بالعين المهملة.

(٥) الموضوع الرئيسي لهذه السورة هو العقيدة وقضاياها: من توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الدينونة لله وحده في الدنيا والآخرة، ثم قضية الوحي، وقضية البعث وما اليها.

ومن ثم تبدأ السورة باستعراض آيات الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته، ثم التعجب من قوم ينكرون البعث بعد رؤيتهم هذه الآيات الضخام المبثوثة في الكون حولهم، ثم يستعجلون عذاب الله، ويطلبون آية غير هذه الآيات: ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾. ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾. =

فضائلها

وروى الترمذي، والنسائي، والحاكم، والبيهقي في الدعوات، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سَمِعَ الرعد والصواعق، قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك[1].

وللطبراني في الكبير - قال الهيثمي: وفيه قابوس بن أبي ظبيان وهو ضعيف، وقد وثق[2] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا للنبي ﷺ:

= ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها في بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾.

« وان تعجب فعجب قولهم: أئذا كنا ترباً أئنا لفي خلق جديد. أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ».

﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ﴾.

﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه، انما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾.

ثم تثار قضية الوحي والرسالة من حين لآخر في ثنايا السورة:

﴿ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ... ﴾.

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ... ﴾.

ويقول الذين كفروا لست مرسلاً، قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾.

راجع: الظلال ٤/٢٠٣٩.

(١) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول اذا سمع الرعد ١٦٦/٥ حديث رقم ٣٥١٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. والنسائي - قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٠٥/٢ -: في اليوم والليلة.

والمستدرك: كتاب الأدب، باب الدعاء عند استماع صوت الرعد ٢٨٦/٤.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٠/٢.

والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٥١ حديث رقم ٢٥١.

(٢) مجمع الزوائد ٤٣/٧.

إن كان كما تقول، فأرنا أشياخنا الأول من الموتى، وافتح لنا هذه الجبال، جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال، أو قطعت به الأرض، أو كلم به الموتى** ﴾[١].

وسيأتي في سورة الشعراء ـ إن شاء الله تعالى ـ حديث في ذلك وغيره عن الزبير رضي الله عنه[٢].

---

(١) الآية : ٣ من السورة .

(٢) راجع : ص .

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية كلها.

قال الغزنوي: عند أكثر المفسرين.

ويروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء، وقتادة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة في قتلى قريش يوم بدر: ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا** ﴾ إلى آخرهما ﴿ **وبئس القرار** ﴾[١].

وقال البغوي: إلى قوله: ﴿ **فإن مصيركم إلى النار** ﴾[٢] مع تسميتها آيتين[٣].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها إحدى وخمسون في البصرى، واثنتان في الكوفى، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الشامي.

---

(١) الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الآية: ٣٠.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٤/ ٢٦.

واختلافها سبع آيات:

﴿ **لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾[1]، و ﴿ **أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور** ﴾[2]، لم يعدهما الكوفي والبصري، وعدهما الباقون.

﴿ **وعاداً وثمود** ﴾[3] لم يعدها الكوفي والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **بخلق جديد** ﴾[4] عدها المدني الأول والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **وفرعها في السماء** ﴾[5] لم يعدها المدني الأول، وعدها الباقون.

﴿ **وسخر الليل والنهار** ﴾[6] لم يعدها البصري، وعدها الباقون.

﴿ **عما يعمل الظالمون** ﴾[7] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، سبعة مواضع:

﴿ **الر** ﴾[8]، ﴿ **يضل الله الظالمين** ﴾[9]، ﴿ **دائبين** ﴾[10]، ﴿ **يأتيهم العذاب** ﴾[11]، ﴿ **أجل قريب** ﴾[12]، ﴿ **غير الأرض والسموات** ﴾[13]، ﴿ **من قطران** ﴾[14].

---

(١) الآية : ١ .
(٢) الآية : ٥ .
(٣) الآية : ٩ .
(٤) الآية : ١٩ .
(٥) الآية : ٢٤ .
(٦) الآية : ٣٣ .
(٧) الآية : ٤٢ .
(٨) الآية : ١ .
(٩) الآية : ٢٧ .
(١٠) الآيةض: ٣٣ .
(١١ - ١٢) الآية : ٤٤ .
(١٣)الآية : ٤٨ .
(١٤) الآية : ٥٠ .

وعكسه ثلاثة:

﴿ ما يشاء ﴾[١] ، **﴿ فيها سلام ﴾**[٢] ، **وأفئدتهم هواء ﴾**[٣] .

ورويها عشرة أحرف: أصدم لظن بذر[٤]'.

مقصودها

ومقصودها: التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه.

وأدل ما فيها على هذا المرام: قصة إبراهيم عليه السلام.

أما التوحيد: فواضح.

وأما أمر الكتاب: فلأنه من جملة دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم، ذرية إسماعيل عليه السلام: ﴿ ربنا[٥] **وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾**[٦].

---

(١) الآية : ٢٧ .

(٢) الآية : ٢٣ .

(٣) الآية : ٤٣ .

(٤) الزاي : ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ الآية : ٢٠ .
الصاد : ﴿ مالنا من محيص ﴾ الآية : ٢١ .
الظاء : ﴿ ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ الآية : ١٧ .
وباقي حروف الروي مكرر في السورة بكثرة ، والتنبيه على الأقل .

(٥) الآية : ١٢٩ من سورة البقرة .

(٦) سورة ابراهيم ، سورة مكية ، موضوعها الأساسي موضوع السور المكية الغالب عليها . فقد تناولت سورة ابراهيم موضوع العقيدة في أصولها الكبيرة ، وهي : الايمان بالله ، والايمان بالرسالة والايمان بالبعث والجزاء .
ولكن السياق في السورة يسلك نهجاً خاصاً بها في عرض هذا الموضوع =

ما ورد في شأنها

أما ما ورد في شأنها: فروى البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح. وديوان فيه ذنوبه. وديوان فيه النعم من الله عليه. فيقول

وادماج ما تضمنته في حقيقتين كبيرتين: الحقيقة الأولى: بيان وحدة الرسالة، والرسل، ووحدة دعوتهم، ووقفتهم صفاً واحداً في مواجهة الفريق الكافر المكذب بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمنة.

فقد بدأت السورة ببيان وظيفة الرسول: ﴿ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾. ثم وضحت معنى وحدة الرسالات السماوية، وأن الأنبياء، جميعاً ما جاءوا إلا لاخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتعريفهم بالاله الحق الذي تعنو الجباه لعظمته: ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب. قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم أن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

وأما الحقيقة الثانية فتتمثل في بيان النعم التي أسداها إلى عباده، وهي نعم مختلفة أسبغها إلى الله على البشر كافة مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، ولكن الناس أكثرهم لا يشكرون، فيقابلون نعم الله بالجحود والكفران. وهذه النعم مبثوثة حولهم في رحاب الكون:

﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها. ان الانسان لظلوم كفار ﴾.

ثم تختم السورة ختاماً يتفق مع مطلعها:

﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾.

راجع: الظلال ٤/٢٠٧٧ وما بعدها.

الله تعالى لأصغر نعمة ـ أحسبه قال: في ديوان النعم ـ خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح ثم تتنحى فتقول: وعزتك وجلالك ما استوفيتِ، وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح، فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال: يا عبدي قد ضاعت حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك ـ أحسبه قال ـ : ووهبت لك نعمتي(١).

وروى البزار ـ برواةٍ قال المنذري: ثقات(٢) ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، تبتلي هذه الأمة في قبورها، فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟. قال: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرية.

وروى الشيخان وغيرهما ـ وهذا لفظ مسلم ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟. فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»(٣).

وفي رواية لأبي داود عنه، أن النبي ﷺ قال: أن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قول الله تعالى:

---

(١) قا الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٤٠ : غريب وسنده ضعيف.
قلت: في سنده داود بن المحبّر أبو سليمان البصري، صاحب كتاب العقل، وهو متروك. وقال ابن حبان: أجمعوا على تركه.

راجع: ترجمته في الميزان ١/٢٠ ترجمة رقم ٢٦٤٦. والمغني في الضعفاء ١/٢٢٠ ترجمة رقم ٢٠٢٤.

(٢) الترغيب والترهيب ٤/٣٦٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ٢/٨٥، وكتاب التفسير ﴿ سورة ابراهيم ﴾، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ٦/١٠٠.
وصحيح مسلم: كتاب صفة الجنةب، باب اثبات عذاب القبر والتعوذ منه = ١٦/٢٠٤.

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[1].

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: وفيه عطية العوفي وهو ضعيف[2] ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عليه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» قال: في الآخرة في القبر.

وروى ابن رجب عن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾[3] قالت: بينما رسول الله ﷺ رأسه في حجري وأنا ألمسه إذ ذكرت هذه الآية ففاضت عيناي حتى قطرت دموعي على وجهه، فرفع رأسه إليّ فقال لي: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله ذكرت قول الله عز وجل: ﴿ **يوم تبدل الأرض غي الأرض والسموات** ﴾، فقال: سبقت الناس يا عائشة، قلت: فأين الناس يومئذ؟. قال: على الجسر»[4].

وآخره في مسلم[5].

وقال عبد الله بن الامام أحمد: أخبرت عن سياد بن جعفر قال: دخلت على حبيب أبي محمد، فقال: اقرأ عليّ، فأخذت مصحفه، فأول ما وقع في يدي: ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾، فجعل يقول واستفتحوا، ويبكي.

---

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في المسئلة في القبر وعذاب ٤/٢٣٨ حديث رقم ٤٧٥٠.
وأخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب عذاب القبر ٦/١٠١، والترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة ابراهيم ٤/٣٥٨ حديث رقم ٥١٢٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٤٤.

(٣) الآية: ٤٨ من السورة.

(٤) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة ابراهيم ٤/٣٥٩ حديث رقم ٥١٢٧ وقال: وقد روى من غير هذا الوجه عن عائشة.

(٥) صحيح ملم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب البعث والنشور ١٧/١٣٤.

سورة الحجر

مكية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها بالاجماع: تسع وتسعون، على عدد الأسماء الحسنى الكافلة لحفظ الوجود، وانتظامه على ما يراد منه.

فلا غرو إن كانت هذه السورة كفيلة بالوعد بالحفظ للذكر، وإظهار ذلك الوعد في مظهر العظمة، للإعلام بنفوذ الكلمة. ولذلك تمت الكلمة في الكفاية لأمر المستهزئين، الذين كانوا رؤوس من جعلوا القرآن عضين.

قال الجعبري: وفيها ما يشبه الفواصل موضع واحد:

﴿ الر ﴾[1]

(١) الآية: ١.

ورويها ثلاثة أحرف: ملن[١].

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني، الموضحة للحق من غير اختلاف أصلاً.

وأشكل ما فيها وأمثله وأشبهه في هذا المعنى: قصة أصحاب الحجر فإن وضوح آيتهم عندهم ـ وعند كل من شاهدها، أو سمع بها وصحت عنده ـ كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب، لاسيما قريش. وأيضاً آيتهم في غاية الايضاح للحق، والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد، المقتضى للاجتماع على الداعي.

ومن هنا يتضح ويتأيد ما اخترته من الاعراب[٢] لقوله تعالى: ﴿**كما أنزلن على المقتسمين**﴾[٣] من تعليقي له بقوله: ﴿**فكانوا عنها معرضين**﴾[٤] كما حققته في أصل هذا الكتاب[٥].

على أن لفظ الحجر يدل على ما دل عليه مقصود السورة من الجمع والاستدارة التي روحها الاحاطة، المميزة للمحاط به من غيره، بلا لبس أصلاً[٦].

---

(١) اللام: ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ الآية: ٧٤.
: ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ الآية: ٨٥.
وأما روى الميم والنون فمكرر في السورة بكثرة. والتنبيه على الأقل.

(٢) يعني: البيان.

(٣) الآية: ٩٠.

(٤) الآية: ٨١.

(٥) نظم الدرر ١١/٨١.

(٦) سورة الحجر، سورة مكية، تستهدف اظهار المقاصد الأصلية للعقيدة الإسلامية: الوحدانية، النبوة، البعث والجزاء. ولذا فإن محور السورة يدور حول مصارع المكذبين لرسل الله في شتى الأزمان، ومختلف العصور، ولهذا ابتدأت السورة بالانذار والتهديد =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البزار ـ مرسلاً ومتصلاً ـ عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: قالا: جاز رسول الله ﷺ ورجلاً[1] يقرأ سورة الحجر

= الملئ بالتهويل والوعيد: «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون».

فقد عرضت السورة لدعوة الأنبياء، وبينت موقف أهل الشقاوة والضلالة من رسل الله، فما من نبي إلا سخر به قومه الضالون، من لدن بعثة نوح عليه السلام، إلى بعثة محمد ﷺ، وقد ذكرت السورة أن هذه سنة المكذبين في كل مكان وحين: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين. وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون﴾.

وفي ظلال الحديث عن أولئك المكذبين الضالين، عرضت السورة إلى الآيات الباهرات المبثوثة في صفحة هذا الكون العجيب، الذي ينطق بآثار القدرة الهائلة. قدرة الله الخالق القادر، بدءاً بمشهد السماء ذات البروج، والأرض الممدودة، والرواسي الراسخة، والرياح اللواقح، فمشهد الحياة والموت، ومشهد الحشر والنشر، كل ذلك ناطق بعظمة الله وجلاله، وشاهد بواحدانيته وقدرته: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ الآيات.

كما عرضت السورة إلى قصة البشرية الكبرى، ممثلة في قصة خلق آدم عليه السلام، وما كان من إبليس اللعين، وما جرى من سجود الملائكة لآدم، وامتناع ابليس عن السجود.

ثم تنتقل السورة إلى مقتطفات من قصص ابراهيم ولوط وشعيب وصالح، عليهم السلام. تسلية للرسول ﷺ وتثبيتاً لقلبه.

وسميت السورة: «سورة الحجر»، وأصحاب الحجر هم قوم صالح عليه السلام، ـ والحجر مكان يقع بين المدينة والشام ـ فقد كانوا قوماً أشداء، ينحتون الجبال بيوتاً، وظنوا لقوتهم أنهم سيظلون في حياتهم آمنين مخلدين، فأعرضوا عن دعوة صالح وهزءوا به، وسخروا منه، فلم يفتحوا لدعوته عيناً ولا قلباً، فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذب في وقت الصباح: «فأخذتهم الصيحة مصبحين، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون».

(١) هكذا في د، وهو على تقدير فعل محذوف ناصب لرجلاً، والمعنى: ورأى رجلاً.
وفي م: ورجل، فيكون مرفوعاً على الابتداء، والجملة صفة.

وسورة الكهف، فسكت. فقال رسول الله ﷺ: هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم[١].

وللطبراني في الكبير بسند فيه خالد بن نافع الأشعري[٢] ـ قال الهيثمي: قال أبو داود: متروك، وقال الذهبي: هذا تجاوز في الحد لا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره[٣]، وبقية رجاله ثقات[٤]ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين، ألم تكونوا مسلمين؟. قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟. قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فلما رأى ذلك من بقي من الكفار في النار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٥]. الر تلك آيت الكتاب وقرآن مبين. ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾[٦].

وروى أبو عبيد في كتاب «الفضائل، والغريب» عن (يحيى)[٧] بن أبي

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٨١: ورجل يقرأ سورة الحج أو الكهف. . .» الحديث، متصلاً عن أبي هريرة وأبي سعيد.
وساقه مرسلاً عن الأغر أبي مسلم الكوفي ولفظه: أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف. . .» الحديث. وليس فيه سورة الحجر.

(٢) قال الذهبي في الميزان ١/٦٤٤: وهو من أولاد أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) عبارة الذهبي في الميزان هكذا: وهذا تجاز في الحد، فإن الرجل قد حدّث عنه أحمد بن حنبل ومسدد، فلا يستحق الترك.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٤٥.

(٥) الآيتان: ١ ـ ٢ من السورة.

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٤٦: ورواه ابن أبي حاتم.

(٧) ساقطة من: د.

كثير(١) مرسلاً: أن النبي ﷺ مرّ هو وأصحابه على إبل لحي يقال لهم بنو الملوّح ـ أو بنو المصطلق ـ وقد عبست أبوالها من السمن، فتقنّع بثوبه، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾(٢)، إلى آخر الآية(٣).

ومعنى ﴿عبست﴾: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من كثرة الشحم، فذلك العبس.

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات(٤) ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ما هلك قوم لوط إلا في الأذان، ولا تقوم القيامة إلا في الأذان.

قال الطبري: معناه عندي ـ والله أعلم ـ: في وقت أذان الفجر وهو وقت الاستغفار والدعاء.

---

(١) هو أبو النضر ـ وقيل أبو نصر ـ يحيى بن أبي كثير صالح بن المتوكل الطائي مولاهم، اليمامي، من أعلام التابعين، روى عن أنس وجابر وأبي أيوب وجماعة. قال عنه شعبة: كان أحسن حديثاً من الزهري. فهو ثقة. مات سنة ١٢٩ هجرية.
راجع: الخلاصة ص ٤٢٧، تذكرة الحفاظ ١٢٧/١، طبقات ابن سعد ٤٠٤/٥.

(٢) هذه الآية من سورة طه، وهي مبدوءة بالواو، كما ذكر المؤلف أي «ولا تمدن عينيك»، آية ١٣١.
أما التي في سورة الحجر فليست مبدوءة بالواو، آية: ٨٨.
وعندي: أن آية سورة طه أنسب بالمقام، وهي التي عناها الرسول ﷺ، وبناء عليه فلا دلالة في الحديث لما أراد المؤلف. من الاستشهاد به على فضيلة سورة الحجر. وسيذكره المؤلف في فضائل سورة طه، مما يدل على أن موضعه هناك.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٩/٣.
والحديث في الفائق ١٠٧/٢.

(٤) مجمع الزوائد٤٧/٧.

سورة النحل

وتسمي أيضاً سورة النعم.

(مكية)[١] إلا ثلاث آيات وهي قوله تعالى: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾[٢] إلى آخرها، فإنها نزلت بالمدينة حين همّ النبي ﷺ بالتمثيل بقريش إن أظهره الله بهم، كما مثلوا[٣] بعمه حمزة رضي الله عنه حين قتلوه بأحد.

قال أبو عمرو الداني في كتاب العدد: هذا قول عطاء، وقال ابن

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الآيات: ١٢٦ ـ ١٢٨.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٢٩٤/٤: يقال: مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه. والاسم: المثلة.
فأما مثّل ـ بالتشديد ـ فهو للمبالغة. اهـ.

عباس رضي الله عنهما مثله، إلا أنه قال: نزلت بين مكة والمدينة منصرف رسول الله ﷺ من أحد.

وما نزل بين مكة والمدينة، وكذا ما نزل بعد الهجرة، فهو مدني.

وقال الأصفهاني: وفي رواية أخرى عن ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ـ إلى قوله ـ: يعلمون** ﴾[1].

وعن قتادة: هي مكية، إلا خمس آيات: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله** ﴾، الآيتين، ومن قوله: ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها.

وعن ابن السائب[2]: هي مكية، إلا خمس آيات، قوله: ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** ﴾[3]، ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها.

(وعن مقاتل: مكية، إلا سبع آيات، قوله: ﴿ **ثم إن ربك** ﴾، الآيتين[4]، وقوله: ﴿ **من كفر بالله من بعد ايمانه** ﴾ الآيتين[5]، وقوله:

---

(١) الآيات: ٩٥ ـ ٩٧.

(٢) هو عبدالله بن السائب بن سيفي بن عابد، بن عمر المخزومي قارىء أهل مكة، أخذ القراءة عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب وأخذ عنه مجاهد بن جبر وعبدالله بن كثير، وتوفي في إمارة عبدالله بن الزبير في حدود سنة سبعين، وصلى عليه عبدالله بن عباس.

راجع: طبقات القراء ١/٤١٩.

(٣) الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) الآيتان: ١١٠ ـ ١١١.

(٥) الآيتان: ١٠٦ ـ ١٠٧.

لكن القول بأن هاتين الآيتين مدنيتين قول لا رَوِيَّة فيه فمن الثابت أنهما نزلتا بمكة في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرها، وشكى إلى النبي ﷺ، فقال له، كيف تجد قلبك يا عمار؟. قال: أجده مطمئنا بالأيمان يا رسول الله. فقال: إن عادوا فعد.

﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ إلى آخرها)[1].

وقال قتادة ـ قال الجعبري: وجابر بن زيد ـ: من أولها أربعون آية قال الجعبري: إلى ﴿ **والذين هاجروا في الله** ﴾ مكي، ومن ثم إلى آخرها مدني.

قال الجعبري: فجوز الأمرين باعتبار الطرفين. انتهى.

وذكرابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد، أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ الآية[2]، فقال: أعد، فأعاد فقال: أن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأن أسفله لمغدق، وأن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر[3].

ورواه البيهقي في الشعب، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند جيد، إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة، بدل خالد بن عقبة.

وكذا ذكره ابن اسحاق في السيرة بنحوه[4].

ورواه البيهقي في الدلائل[5].

وفي بعض رواياته: أن الوليد قال لقريش ـ وقد أنكروا عليه اجتماعه بالنبي ﷺ، وسماعه لبعض ما جاء به ـ فقال: ما فيكم رجل أعلم بالشعر[6]

= رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٧ وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وذكره الحافظ في الفتح ١٢/٢٧٨ وقال: هو مرسل ورجاله ثقات وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(١) ما بين القوسين زيادة عن: د.

(٢) الآية: ٩٠.

(٣) الاستيعاب على هامش الإصابة ١/٤١١، وقال بعده: لا أدري إن كان خالدبن عقبة بن أبي معيط، أو غيره، وظني أنه غيره.

ورواه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٤١٠ عن ابن عبد البر قال: لم يذكر اسناده ولا من خرجه، والمشهور في مغازي ابن اسحاق هجو هذا للوليد بن المغيرة.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٦٨ وفيه: أنه الوليد بن المغيرة.

(٥) دلائل النبوة.

(٦) في م: بالأشعار.

مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله أن لقوله الذي (يقول)[1] حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد قال قريش وقد حضر الموسم: أن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فأجمعوا فيه رأياً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس (فقل و)[2] أقم لنا فيه رأياً نقوم به[3]، فقال: بل أنتم فقولوا أسمع. فقالوا: نقول كاهن، قال: ما هو (بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة[4] الكاهن «ولا»[5] سجعه، قالوا: نقول مجنون)[6]. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر: رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السّحار وسحرهم، فما هو بنفثهم وعقدهم[7].

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟. قال: والله أن لقوله لحلاوة وأن أصله لعذق[8]، وإن فرعه لجني[9]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) زيادة عن سيرة ابن هشام.

(٣) في سيرة ابن هشام: نقول.

(٤) الزمزمة: الكلام الخفي الذي لا يسمع.

(٥) زيادة عن سيرة ابن هشام.

(٦) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٧) في الأصل: بنفثه وعقده. والتصويب عن سيرة ابن هشام.

(٨) العذب: النخلة، وفيه تشبيه القرآن بالنخلة التي ثبت أصلها، وطاب فرعها.

(٩) في سيرة ابن هشام: لجناة. والجنى: الطيب.

أنه باطل، وأن أقرب القول (فيه)[1] أن تقولوا: ساحر (جاء بقول هو سحر)[2] يفرق بن المرء (وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء)[3] وعشيرته[4].

ولقد كان هذا الذي ظنه الوليد عليه من الله ما يستحق، حتى لقد كان كذبهم سبباً لإسلام كثير من الصحابة رضي الله عنهم.

ومن ألطف ما في ذلك؛ ما رواه مسلم في الجمعة من صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضماداً[5] رضي الله عنه قدم مكة، وكان من أزد شنوءة[6]، وكان يرقى من هذه الريح[7]، فسمع سفهاء مكة يقولون: أن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت (هذا)[8] الرجل، لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه، فقال: يا محمد أني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفى على يديّ من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا

---

(١) زيادة عن ابن هشام.

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ابن هشام.

(٣) ساقطة من الأصل وزدناه عنابن هشام.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٧٠.

(٥) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي، كان صديقاً للنبي ﷺ، وكان ذا خبرة بالطب، ويرقى ويداوي من الجنون، أسلم في أول الإسلام.

(٦) شنوءة - بفتح الشين المعجمة، بعدها نون مضمومة، ثم واو ساكنة بعدها همزة، وفي آخرها هاء - بلد باليمن بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً، تنسب إليه قبائل من الأزد يقال لهم: أزد شنوءة.
والشنوءة - على فعوله -: التقزز، وهو التباعد من الأدناس.
راجع: معجم البلدان ٣/٣٦٨.

(٧) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٥٧: والمراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجن، في غير رواية مسلم: «يرقى من الأرواح» أي الجن، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس، فهم كالروح والريح، اهـ.

(٨) زيادة عن صحيح مسلم.

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد، فقال[١]: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن[٢] ناعوس - وفي نسخة: قاموس[٣]، وفي نسخة: قاعوس[٤] - البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه. فقال رَسُول الله ﷺ: وعلى قومك، فقال: وعلى قومي. الحديث[٥].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة وثمانون وعشرون بلا خلاف بين العادين.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع: إثنا عشر موضعاً **﴿ قصد السبيل ﴾**[٦]، **﴿ وما يشعرون ﴾**[٧]، **﴿ والله يعلم ما يسرون وما**

---

(١) القائل: ضماد.

(٢) في الأصل: بلغت. والتصويب عن صحيح مسلم.

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٥٧/٦: وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم.

(٤) نقل النووي عن القاضي عياض قوله: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها «قاعوس» بالقاف والعين، ووقع عند أبي محمد بن سعيد «تاعوس» بالتاء والعين، ورواه بعضهم: «ناعوس» بالنون والعين.
قال: وذكره أبو مسعود الدمشقي في أطراف الصحيحين والحميدي في الجمع بين الصحيحين «قاموس» بالقاف والميم.
والمعنى - في كل هذه الروايات -: معظم البحر ووسطه.
راجع: جامع الأصول لابن الأثير ١١٠/٩. النهاية ١٠٨/٤.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الجمعة ١٥٦/٦.

(٦) الآية: ٩.

(٧) الآية: ٢١.

يعلنــون ﴾[1] أي الــذي بعــده: إنــه لا يحب المستكبــرين، ﴿ مــا يشاؤون ﴾[2]، ﴿ والملائكة طيبين ﴾[3]، ﴿ ما يكرهون ﴾[4]، ﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾[5]، ﴿ هل يستوون ﴾[6]، ﴿ وما عند الله باق ﴾[7]، ﴿ متاع قليل ﴾[8].

وعكسه خمسة:

﴿ ويخلق مـا لا تعلمـون ﴾[9]، ﴿ ومـا تعلنـون ﴾[10]، ﴿ وهم مستكبــرون ﴾[11]، ﴿ كـن فيكــون ﴾[12]، ﴿ على الله الكــذب لا يفلحون ﴾[13].

رويها ثلاثة أحرف: نمر.

الراء: موضعان ﴿ قدير ﴾[14].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم، فاعل بالاختيار منزه عن شوائب النقص.

---

(١) الآية: ٢٣.
(٢) الآية: ٣١.
(٣) الآية: ٣٢.
(٤) الآية: ٦٢.
(٥) الآية: ٧٢.
(٦) الآية: ٧٥.
(٧) الآية: ٩٦.
(٨) الآية: ١١٧.
(٩) الآية: ٨.
(١٠) الآية: ١٩.
(١١) الآية: ٢٢.
(١٢) الآية: ٤٠.
(١٣) الآية: ١١٦.
(١٤) الآية: ٧٠ والآية: ٧٧.

وأدل ما فيها على هذا المعنى: أمر النحل، لما ذكر من شأنها في دقة الفهم، في ترتيب بيوتها على شكل التسديس، ترتيباً لا يصل إليه أكابر المهندسين، إلا بعد تكامل كبير، وقانون يقيسون به ذلك التقدير وذلك على وجه هو أنفع الوجوه لها، وفي رعيها، وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج منها، من أعسالها وشموعها،وجعل الشمع نوراً وضياء، والعسل بركة وشفاء، مع أكلها من كل الثمار، النافع منها والضار، وغير ذلك من الأسرار.

ووسمها بالنعم واضح في ذلك، والله أعلم[1].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى مسلم وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن

---

(١) سورة النحل من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة: كالألوهية، والوحي، والبعث والنشور.

وإلى جانب ذلك تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية في ذلك العالم الفسيح، في السموات والأرض، والجبال والبحار، والسهول والوديان، والماء الهاطل، والنبات النامي، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، والنجوم التي يهتدي بها السالكون في ظلمات الليل، وهي صورة دالة على وحدانية الله جل وعلا، وناطقة بآثار قدرته التي أبدع بها الكائنات.

فقد هدفت السورة إلى تقرير وحدانية الله جل وعلا بلفت الأنظار إلى آثار قدرته، وآيات نعمته، بما في ذلك من آيات الخلق والتدبير. ثم يجيء التعقيب على ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. والدين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾.

﴿ وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون، وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴾.

وسميت السورة: «سورة النحل» لاشتمالها على تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عجيب صنعالخالق، وتدل على كمال قدرته بهذا الصن العجيب.

راجع: الظلال ٤/٢١٥٨. وصفوة التفاسير ١٧/٧.

جرير، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل فصلى، فقرأ قراءة أنكرتها (عليه)[1] ثم دخل آخر فقرأ (قراءة)[2] سوى قراءة صاحبه: فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ ـ وفي رواية: ثم قرأ هذا سوى قراءة صاحبه ـ فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأا، فحسن النبي ﷺ شأنهما ـ وفيرواية: فقال لهما النبي ﷺ: قد أصبتم وأحسنتم ـ فسقط في نفسي[3] من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية[4]، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني، ضرب في صدري[5]، ففضت ـ وفي رواية: فارفضضت[6] ـ عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرق[7]، فقال لي: يا أبي إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن يهون على أمتي، فرد إليّ الثانية أن أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ في الثالثة أن أقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردّة رددتكها مسألة[8] تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الناس ـ وفي رواية: الخلق كلهم ـ حتى ابراهيم عليه السلام[9].

---

(١) زيادة عن صحيح مسلم.

(٢) ساقطة من د.

(٣) أي اعترته حيرة ودهشة.

(٤) معناه: أن الشيطان نزع في نفسه تكذيباً لم يعتقده أشد مما كان عليه في الجاهلية، فقد كان في الجاهلية غافلاً متشككاً.

(٥) قال الإمام النووي ـ نقلاً عن القاضي عياض ـ: ضربه ﷺ في صدره تثبتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم، اهـ من شرح مسلم ٦/١٠٢.

(٦) عند مسلم: ففضت.

(٧) الفرق ـ بفتح الفاء والراء ـ الخوف والفزع.

(٨) أي مسألة مجابه.

(٩) صحيح مسلم: كتاب صلاةالمسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ٦/١٠. وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٧.

وفي رواية لابن جرير عن أبي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أعينك بالله من الشك والتكذيب، وقال: إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف، فقلت: اللهم رب خفف عن أمتي، فقال: اقرأه على حرفين، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف، من سبعة أبواب من الجنة، كلها شاف كاف[1].

وللنسائي رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة، فبينا أنا في المسجد جالس، إذ سمعت رجلاً يقرؤها بخلاف قراءتي[2]، فقلت له: من علمك هذه السورة؟ فقال: رسول الله ﷺ، فقلت: لا تفارقني حتى نأتي رسول الله ﷺ فأتيت فقلت: يا رسول الله، إن هذا خالف قراءتي في السورة التي علمتني فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا أبي، فقرأتها، فقال رسول الله ﷺ: أحسنت، ثم قال للرجل: اقرأ (فقرأ)[3] فخالف قراءتي، فقال له رسول الله ﷺ: أحسنت، ثم قال رسول ﷺ: يا أبي أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف[4].

وفي (رواية)[5] أخرى له: ما حاك في صدري منذ أسلمت، إلا أني قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال الآخر: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟. قال: نعم، وقال الآخر: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال:

= وجامع الترمذي: كتاب القراءات، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٤/٢٦٣ حديث رقم ٤٠١٣.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.

(١) تفسير ابن جرير ١/٣٠.

(٢) في سنن النسائي: يخالف قراءتي.

(٣) زيادة عن: د.

(٤) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٣.
وقوله: «كاف شاف» سيذكره المؤلف في تفسيره بعد قليل.

(٥) زيادة عن: د.

نعم قال: إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فقعد جبريل عليه السلام عن يميني، وميكائيل عليه السلام عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، وقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف فكل حرف شاف كاف[١].

وروى أبو عبيد هذه الرواية عن أبي رضي الله عنه[٢].

وروى عقبها عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب رضي الله عنهما أنه أتى النبي ﷺ برجلين قد اختلفا في القراءة، ثم ذكر مثل ذلك.

وأخرجه المحاملي[٣] في الجزء السادس عشر من أماليه الأصبهانيات[٤]، ولفظه (فقال)[٥]: يا أبي أن الملكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف، وقال الآخر: زده، فقلت: زدني، قال: اقرأه على حرفين، فقال الآخر: زده، قلت، زدني، قال: اقرأ على ثلاثة أحرف، فقال الآخر: زده، فقلت: زدني، قال: اقرأ على أربعة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدني، قال: اقرأ على أربعةأحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدني، قال: حتى انتهى إلى سبعة أحرف، فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف.

ورواه النسائي في سننه، وعبد بن حميد في مسنده، ولفظه: قال:[٦]

(١) سنن النسائي: الموضع السابق ٢/١٥٤.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/١٥٩.

(٣) هو القاضي أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل بن محمد المحاملي الضبي البغدادي، شيخ بغداد ومحدثها، وأماليه تقع في ستة عشر جزءاً من رواية البغداديين والأصبهانيين، توفي سنة ٣٣٠ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٤، تاريخ بغداد ٨/١٩.

الرسالة ص ١٣٢، طبقات الحفاظ ص ٣٤٣.

(٤) في د: الأصفهانيات، وهو خطأ.

(٥) ساقطة من: د.

(٦) القائل: أبي بن كعب.

قرأ رجل آية، وقرأتها على غير قراءته، فقلت: من أقرأك هذا؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى النبي فقلت: يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا؟ فقال: نعم، فقال الرجل: أقرأتني آية كذا وكذا؟، فقال: نعم، فقال: إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فجلس جبريل عن يمين، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني، فقال: اقرأه على ثلاثة، فقال ميكائيل: استزده، فقلت: زدني كذلك حتى بلغ سبعة أحرف، فقال: اقرأه على سبعة أحرف، كل[1] شاف كاف[2].

ورواه أحمد بن منيع في مسنده عن سليمان بن صرد وهو الخزاعي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف، كل[3] شاف كاف.

وفي رواية له عن سليمان ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: أتى أبيّ بن كعب رضي الله عنه رسول الله ﷺ برجلين قد اختلفا في القرآن فاستقرأهما فاختلفا، فقال لكل واحد منهما: أحسنت، فقال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف.

قال شيخنا البوصيري: ورواه النسائي أيضاً[4]، ورواه أبو داود في سننه من طريق سليمان عن أبي رضي الله عنهما[5]، فجعله من مسند أبيّ رضي الله عنه.

---

(١) في د: كلها كاف شاف.
(٢) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.
(٣) في د: كلها كاف شاف.
(٤) سنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ٢/١٥٤.
(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلا ة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢/٧٦ حديث رقم ١٤٧٧.

ورواه الطبراني عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: أتى محمداً ﷺ الملكان، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف فقال الآخر: زده، فلم يزل يستزيده، حتى قال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف.

وفي رواية عنده، عن سليمان رضي الله عنه يرفعه، قال: أتاني ملكان فقال أحدهما: اقرأ، قال الآخر: على كم، قال: على حرف قال: زده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

وروى ابن جرير عن أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، عن أبي ابن كعب رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف[١].

وروى ابن جرير أيضاً عن سليمان بن صرد، عن أبي بن كعب رضي الله عنهما قال: رحت إلى المسجد، فسمعت رجلاً يقرأ، فقلت: من أقرأك؟. فقال رسول الله ﷺ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: استقرىء هذا، قال: فقرأ، فقال: أحسنت قال: فقلت: فإنك أقرأتني كذا وكذا، فقال: وأنت قد أحسنت، قال: فقلت: قد أحسنت، قد أحسنت؟، قال: فضرب بيده على صدري، ثم قال: اللهم أذهب عن أبي الشك. قال: ففضت عرقاً، وامتلأ جوفه فرقاً[٢] ثم قال: إن الملكين أتياني، فقال أحدهما: اقرأ القرآن على حرف وقال الآخر: زده، قال: قلت: زدني، قا: اقرأه على حرفين، حتى بلغ سبعة أحرف[٣].

ورواه البيهقي في السنن الكبرى عن سليمان، عن أبي رضي الله عنهما قال: قرأت آية، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه خلافها، فأتينا النبي ﷺ، فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال: بلى، قال ابن مسعود رضي الله

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٥.

(٢) خوفا.

(٣) تفسير ابن جرير ١/١٥.

عنه: ألم تقرئنيها كذلك؟. قال: بلى. قال: كلاكما محسن، قلت: ما كلانا أحسن ولا أجمل، قال: فضرب صدري وقال: يا أبيّ اني أقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف، أم على حرفين؟. فقال: الملك الذي معي: على حرفين، فقلت: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أم ثلاثة؟. فقال الملك الذي معي: على ثلاثة، (فقلت: على ثلاثة)[1] حتى بلغ سبعة أحرف، قال: ليس فيها إلا شاف كاف، قلت: غفور رحيم عليم حكيم، نحو هذا، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب[2].

ولابن جرير عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: ما حاك[3] في صدري منذ أسلمت، إلا أني قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله ﷺ، وقال الرجل: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: (أليس)[4] أقرأتني آية كذا وكذا؟، قال: بلى، قال الرجل: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟، قال: بلى، إن جبريل وميكائيل - عليهما السلام - أتياني، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف، وقال ميكائيل: استزده، قال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف وكل شاف كاف[5].

وفي رواية: حتى بلغ ستة أحرف، قال: اقرأه على سبعة أحرف كل كاف شاف[5].

وروى أبو عبيد في الفضائل، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه،

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات ٢/٣٨٤.

(٣) أي: تردد.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) تفسير ابن جرير ١/١٥.

أنه قال: ليس الخطأ أن تدخل بعض السورة في الأخرى، ولا أن تختم الآية بحكيم عليم، أو عليم حكيم، أو غفور رحيم، ولكن الخطأ أن تجعل فيه ما ليس منه، أو أن تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة.

وقال أبو عبيد في معنى ذلك ما حاصله: أنه إذا أبدل شيئاً من ذلك غلطاً، أو سبق لسان، أو نحو ذلك، لم يخرج عن كونه شافياً كافياً، فإن الكل صفات الله، ومعاني نحو هذا يقارب بعضه بعضاً، فلا يعنف على هذا الابدال، ولا يقال له: أخطأت، بل يقال له: التلاوة كذا وكذا بخلاف ما إذا ختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة، فإنه غيّر المعنى فحينئذ يطلق عليه الخطأ.

وليس المراد بالحديث والأثر: أنه يجوز له أن يتعمد ابدال ذلك والله أعلم.

وهذه السورة التي وقع لأبيّ الخلاف فيها مع صاحبيه رضي الله عنهم هي سورة النحل.

روى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في أول تفسيره عن أبي رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فصليت، فقرأت النحل، ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي، ثم دخل رجل آخر، فقرأ بخلاف قراءتنا، فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فأتيت بهما النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله استقرىء هذين، فقرأ أحدهما، فقال: أصبت، ثم استقرأ الآخر، فقال: أحسنت، فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب فضرب رسول الله ﷺ صدري فقال: أعاذك الله من الشك وخسأ عنك الشيطان، ففضت عرقاً، فقال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: إن أمتي لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات، فقال: اقرأ على سبعةأحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة[1].

(١) تفسير ابن جرير ١٦/١.

وفي رواية: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها يخالف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذين يقرأان في سورة النحل، فسألتهما من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذا خالفتما ما أقرأني رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما: اقرأ، فقرأ فقال: أحسنت، ثم قال للآخر: اقرأ فقرأ، فقال: أحسنت، فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف رسول الله ﷺ في وجهي، فضرب بيده في صدري، ثم قال: اللهم اخسأ الشيطان عنه، يا أبي أتاني آت من ربي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، ثم أتاني الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد مثله، ثم أتاني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة، فقلت: يا رب اغفر لأمتي، رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة(١).

وفي رواية عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن رجلين اختصما في آية من القرآن، وكلّ يزعم أن النبي ﷺ أقرأه، فتقارأا إلى أبي رضي الله عنه، فخالفهما أبي رضي الله عنهم، فتقارأوا إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن، وكلنا يزعم أنك أقرأته، فقال لأحدهما: اقرأ، فقرأ، فقال: أصبت، وقال للآخر: اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه، فقال: أصبت، وقال لأبي: اقرأ، فقرأ فخالفهما، فقال: أصبت، قال أبي: فدخلني من الشك في أمر النبي ﷺ ما دخل بي من أمر الجاهلية، قال: فعرف رسول الله ﷺ الذي في وجهي، فرفع يده فضرب صدري، وقال: استعذ بالله من الشيطان الرجيم، قال: ففضت عرقاً، وكأني أنظر إلى الله فرقاً، وقال: إنه

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٧.

أتاني آت عن ربي وقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء الثالثة فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي، قال: ثم جاء في الرابعة فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألة قال: قلت: رب اغفر لأمتي، رب اغفر لأمتي، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي، حتى أن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ليرغب فيها[١].

وفي رواية: اقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة[٢].

وفي رواية: من قرأ منها حرفاً، فهو كما قرأ[٣].

قال أبو عبيد في كتاب الفضائل، بعد إيراد طرق حديث السبعة الأحرف: قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة، إلا حديثاً واحداً يروي عن سمرة رضي الله عنه، ثم أسند ما تقدم عنه في الفضائل العامة وقال: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة، وقد بينت فيما مضى: أنه لا معارضة[٤].

وسيأتي الالتفات إلى هذا الحديث بالتفات بديع في سورة «لم يكن» إن شاء الله تعالى، وبيان أنه بسبب ما تضمنه هذا الحديث قرأها النبي ﷺ على أبي رضي الله عنه، فيا لها من كرامة ما أجلها وأعلى قدرها ومحلها.

ويأتي في سورة الفرقان حديث عمر رضي الله عنه في السبعة الأحرف.

---

(١) تفسير ابن جرير ١/١٨.
(٢) تفسير ابن جرير ١/٢٠.
(٣) تفسير ابن جرير ١/١٩.
(٤) راجع:

وقال النووي في التبيان[١]: عن عمر رضي الله عنه، أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد، وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة الثانية[٢] قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس أنا نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه، رواه البخاري[٣].

قال: وهذا الفعل والقول منه في هذا المجمع دليل ظاهر[٤].

يعني: على أنه لا وجوب.

وقال ابن رجب: وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه قرأ في يوم عيد في خطبة العيد سورة البقرة، وكذلك عمر رضي الله عنه، كان يكثرة تلاوة القرآن على المنبر، وربما قرأ سورة النحل ثم نزل فسجد.

وروى الإمام أحمد والطبراني بسند فيه شهر[٥] - قال الهيثمي: وثقة أحمد وجماعة، وفيه ضعف لا يضر، وبقية رجاله ثقات[٦] - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس، إذ مر به عثمان بن مطعون، فكشر إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ألَا تجلس؟، قال: بلى، فجلس رسل الله ﷺ مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء، فأخذ يضع بصره، حتى

---

(١) التبيان ص ٩٥ .

(٢) في التبيان والبخاري : القابلة .

(٣) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن ، باب من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود ٢/٣٧ عن ربيعة بن عبدالله بن الهدير التيمي . وأخرجه مالك في الموطأ ١/٢٠٦ عن عروة بن الزبير ، ولم يعين السورة التي قرأها عمر .

(٤) التبيان ص ٩٦ .

(٥) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الشامي ، الحمصي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، المتوفي سنة ١١١ ، أو ١١٢ هجرية ، ويرى الأكثرون أنه ثقة . (راجع : الميزان ٢/٢٨٣ والخلاصة ص ١٦٩) .

(٦) مجمع الزوائد ٧/٤٨ .

وضع بصره عن يمينه في الأرض، فأخذ ينفض رأسه كأنما يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته، واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه رسول الله ﷺ حتى توارى إلى السماء، فأقبل على عثمان بجلسته الأولى، فقال له: يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك، ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة؟. قال: وما فعلت؟. قال: رأيتك شخصت ببصرك إليالسماء، (ثم)[١] وضعته حيث وضعته عن يمينك، فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك، قال: أو فطنت لذلك؟.

قال عثمان: نعم، قال رسول الله ﷺ: أتاني رسول ربي عليه السلام،وأنت جالس، قال[٢]: رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟. قال: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[٣].

قال عثمان: فذلك حين استقر الأيمان في قلبي، وأحببت محمداً ﷺ[٤].

وروى أحمد باسناد ـ قال الهيثمي: حسن[٥] ـ عن عثمان بن أبي العاضي رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره، ثم صوبه، حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: وشخص ببصره قال:

---

(١) ساقطة من : د .

(٢) القائل عثمان بن مظعون .

(٣) الآية : ٩٠ من السورة .

(٤) مسند الامام أحمد ١/٣١٨ .

(٤) مسند الامام أحمد ١/٣١٨ .

قال الحافظ في التفسير ٢/٥٨٣ : اسناد جيد متصل حسن ، وقد بيّن فيه السماع المتصل .

(٥) مجمع الزوائد ٧/٤٩ .

أتاني جبريل عليه السلام، فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة، ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[1].

وللطبراني في حديث طويل، وفي مسنده ـ كما قال الهيثمي[2]ـ عاصم ابن بهدلة[3]، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح، عن أبي الضحى قال: اجتمع مسروق وشتير بن شكل[4] في المسجد، فقال مسروق، هل سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: أن أجمع آية في القرآن: حلال وحرام، وأمر ونهي، ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ إلى آخر الآية؟. قال: نعم. قال: وأنا قد سمعته.

ورواه أبو عبيد في الفضائل، من طريق أخرى، عن الشعبي قال: التقى مسروق بن الأجدع وشتير بن شكل، فذكره[5].

وذكر الحافظ زين الدين بن رجب، عن الحسن، أنه قرأ هذه الآية ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير

---

(١) مسند الامام أحمد ٤/٢١٨ .
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٨٣ : هذا إسناد لا بأس به .

(٢) مجمع الزوائد ٧/٤٩ .

(٣) هو عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الكوفي . مولى ني أسد ، أحد القراء السبعة ، المتوفي سنة ١٢٧ هجرية . ثقة ثبت في القراءة ، أما في الحديث فهو صدوق يهم ، قال الذهبي : هو حسن الحديث وقال أحمد وأبو زرعة : ثقة ، قلت ـ أي الذهبي ـ : خرّج له الشيخان لكن مقروناً بغيره ، لا أصلاً وانفراداً .
راجع : الميزان ٢/٣٥٧ ترجمة رقم ٤٠٦٨ .

(٤) هو شتير بن شكل ـ بفتح الشين المعجمة والكاف ـ العبسي الكوفي أدرك الجاهلية ، وثقه النسائي .
راجع : الخلاصة ١٦٣ .

(٥) ورواه من هذه الطريق عبدالرزاق في المصنف : كتاب فضائل القرآن باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٠ حديث رقم ٦٠٠٢ .

كله، والشر كله، في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والاحسان شيئاً من طاعة الله إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

وروى ابن رجب من طريق أبي مسعود الجريري(1)، حدثني شيخ في مسجد الأشياخ، كان يحدثنا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن حول مريض لنا، إذ هدأ وسكن، حتى ما يتحرك منه عرق، فسجيناه وأغمضناه، وأرسلنا إلى ثيابه وصدره وسريره، فلما ذهبنا لنحمله لنغسله، تحرك، فقلنا: سبحان الله، سبحان الله، ما كنا نراك إلا قد مت، قال: فإني قد مت وذهب بي إلى قبري، فإذا إنسان حسن الوجه، طيب الريح، قد وضعني في لحدي، وطواه بالقراطيس، إذ جاءت إنسانة سوداء منتنة الريح، فقالت: هذا صاحب كذا، وهذا صاحب كذا، أشياء استحي من ذكرها، كأنما أقلعت عنها ساعتئذ، قال: قلت: أنشدك الله أن تدعني، وهذه قالت: انطلق نخاصمك، فانطلقت، فإذا دار فيحاء واسعة، فيها مصطبة كأنها من فضة، وفي ناحية منها مسجد، ورجل قائم يصلي، فقرأ سورة النحل، فتردد في مكان منها، ففتحت عليه فانفتل، فقال: السورة معك؟. فقلت: نعم، فقال: أما إنها سورة النعم، ورفع وسادة قريبة منه، فأخرج صحيفة فنظر فيها، فبادرته السوداء، فقال: فعل كذا، وفعل كذا قال: وجعل الحسن الوجه يقول: وفعل كذا، وفعل كذا، يذكر محاسني، قال: فقال الرجل: عبد ظالم لنفسه، ولكن الله عزّ وجلّ تجاوز عنه، لم يجيء أجل هذا بعد أجل هذا يوم الاثنين، فقال لهم: انظروا، فإن أنا مت يوم الاثنين فأرجو إلى ما رأيت، وإن لم أمت يوم الاثنين، فإنما هو هذيان الوجع، فلما كان يوم الاثنين صح، حتى بعد العصر، ثم أتاه أجله فمات.

---

(1) هو أبو مسعود سعيد بن اياس الجريري ـ بضم الجيم، وراءين مهملتين، بينهما ياء ساكنة ـ البصري. ثقة في الرواية ولكنه اختلط لما كبر، ومات سنة ١٤٤ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٥٥، الخلاصة ص ١٣٦،
الميزان ٢/١٢٧، شذرات الذهب ١/٢١٥.

سورة الاسراء

وتسمى سورة بني إسرائيل، وسورة سبحان، والأقصى.

مكية اجماعاً.

وقال الغزنوي: غير ثماني آيات، فيها خبر وفد ثقيف، وخبر ما قالت اليهود للنبي ﷺ: ﴿ليست هذه بأرض الأنبياء﴾، وذلك من قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك - إلى قوله -: ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾[1] فإن هذه الآيات مدنيات.

روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[2]

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة واحدى عشرة في الكوفي، وعشر في عدد الباقين.

---

(١) الآيات: ٧٣ - ٨٠.

(٢) راجع: أسباب النزول للواحدي ص ١٩٦.
وتفسير القرطبي ١٠/٢٩٩.

اختلافها آية ﴿ للأذقان سجداً ﴾[1]، عدها الكوفي وحده.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع، أربعة عشر موضعاً:

﴿ لبني إسرائيل ﴾[2]، ﴿ بأس شديد ﴾[3]، ﴿ ويبشر المؤمنين ﴾[4]، ﴿ السنين والحساب ﴾[5]، ﴿ لمن نريد ﴾[6]، ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾[7]، ﴿ قتل مظلوماً ﴾[8]، ﴿ لوليه سلطاناً ﴾[9]، ﴿ بها الأولون ﴾[10]، ﴿ عذاباً شديداً ﴾[11]، ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾[12]، ﴿ وصمّا ﴾[13]، ﴿ وبالحق نزل ﴾[14]، ﴿ للأذكان يبكون ﴾[15].

وعكسه اثنان:

﴿ الجبال طولاً ﴾[16]، ﴿ بكم لفيفا ﴾[17].

---

(١) الآية : ١٠٧ .

(٢) الآية : ٢ .

(٣) الآية : ٥ .

(٤) الآية : ٩ .

(٥) الآية : ١٢ .

(٦) الآية : ١٨ .

(٧) الآية : ٢٣ .

(٨) الآية : ٣٣ .

(٩) الآية : ٣٣ .

(١٠) الآية : ٥٩ .

(١١) الآية : ٥٨ .

(١٢) الآية : ٨٢ .

(١٣) الآية : ٩٧ .

(١٤) الآية : ١٠٥ .

(١٥) الآية : ١٠٩ .

(١٦) الآية : ٣٧ .

(١٧) الآية : ١٠٤ .

ورويها أحد عشر حرفاً: ﴿ قلّ من سعد بفره ﴾ (١)، وبعد كلّ ألف التنوين، إلا الراء من ﴿ البصير ﴾ (٢) أول آيها.

مقصودها

ومقصودها: الاقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض.

وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد، على ما دعا إليه افتتاح النحل. وأعلاها: الاحسان، الذي اختتمت به، وهو الفناء عما سوى الله.

وذلك شرح ما أشار إليه آخر التي قبلها، من قوله تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ (٣). وكل ما أسمائها واضح الدلالة على هذا:

أما سبحان ـ الذي هو علم للتنزيه ـ فمن أظهر ما يكون فيه، **لأن** من كان على غاية النزاهة عن كل نقص، كان جديراً بأن: ﴿ **لا تعبدوا إلا إياه** ﴾ (٤) وأن يعرض كل مخلوق عن كل ما سواه، لكونه متصفاً بما ذكر.

---

(١) الباء: ﴿ قل عسى أن يكون قريباً ﴾ الآية: ٥١.
السين: ﴿ واذا مسه الشر كان يئوساً ﴾ الآية: ٨٣.
الفاء: ﴿ وما نرسل بالآيات الا تخويفاً ﴾ الآية: ٥٩.
﴿ جئنا بكم لفيفا ﴾ الآية: ١٠٤.
القاف: ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ الآية: ٨١.
الهاء: ﴿ عند ربك مكروهاً ﴾ الآية ٣٨.
وباقي أحرف الروي مكررة آياته في السورة بكثرة، أما التنبيه فعلى القليل منها، كما هي عادة المؤلف.

(٢) آية: ١.

(٣) الآية: ١٢٨ من سورة النحل.

(٤) الآية: ٢٣ من سورة الاسراء.

وأمـا الإسـراء: فـمـن عـرف أمـوره كـلـهـا في الـسّـرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى، ثم العروج من المسجد الأقصى، إلى السموات العلي، إلى سدرة المنتهي، ثم إلى ما شاء العلي الأعلى، ثم التردد بين موسى عليه السلام، وبين من أسرى به من السماء السادسة إلى ما وصل إليه في المرة الأولى من الحد الأسمى، والحضرة الشماء، والمحل الأقدس الأنهى، الذي وصل إليه دون غيره من الخلائق وهو فوق السماء السابعة، بما لا يعلمه إلا الله تعالى، مرة بعد أخرى ثم الرجوع إلى المسجد الأقصى، ثم إلى الكعبة العظمى، قبل فجر تلك الليلة، علم أن الفاعل لذلك متصف بكل ما ذكر، فأقبل بكليته، وانقطع دائماً إليه.

وكذا تسميتها بالأقصى، فإنه مثير إلى قصة الإسراء.

وأما بنو إسرائيل، فمن أحاط - أيضاً - بتفاصيل أمرهم في مسيرهم إلى الأرض المقدسة، الذي هو كالإسراء، وايتائهم الكتاب، وما ذكر مع ذلك من شأنهم في هذه السورة، الذي هو معروف بالفرق بين الاسراءين والفرق بين الإيتاءين، عرف ذلك[1].

---

(١) سورة الاسراء من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة، ولكن العنصر البارز فيها هو شخص الرسول ﷺ، وما أيده الله به من المعجزات الباهرة. والحجج القاطعة، التي تدل على صدقه ﷺ.

فقد بدأت السورة الكريمة بذكر معجزة الاسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الالهي لخاتم المرسلين، وآية باهرة تدل على قدرة الله جلا وعلا في صنع العجائب والغرائب.

ثم تحدثت السورة عن بني اسرائيل وما كتبه الله عليهم من التشرد والتفرق في الأرض مرتين، بسبب طغيانهم وعصيانهم لأوامر الله.

وتحدثت عن بعض الآيات الكونية التي تدل على قدرة الخالق ووحدانيته وعظمته ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ... ﴾.

كما تعرضت السورة الى ذكر بعض الآداب الاسلامية الكريمة، والأخلاق الفاضلة الرفيعة، فدعت إلى التحلي بها، والاستمساك بأهدابها ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ... ﴾ الآيات. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البخاري في فضائل القرآن، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، انهن من العتاق الأول، وهن من تلادي[١].

ورواه أبو عبيد، فأسقط سورة الأنبياء، وقال: هن من تلادي، وهن من العتيق الأول[٢].

وقال: إن معناه: من أول ما أخذت من القرآن، شبهة بتلاد المال القديم، ومعناه: أن ذلك كان بمكة[٣].

وروى الترمذي وقال: (هذا حديث)[٤] حسن غريب[٥]، والبيهقي في

= ثم تحدثت السورة عن قضية البعث والنشور، والمعاد والجزاء، فأقامت الأدلة والبراهين على امكان وقوعه. ثم تحدثت عن القرآن بأنه معجزة محمد الخالدة. وذكرت تعنت المشركين في اقتراحاتهم حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن، فطلبوا منه ﷺ: أن يفجر لهم الأنهار، وأن يحول جبال مكة إلى حدائق وبساتين: ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً... ﴾ الآيات. ثم تختم السورة بحمدالله، وتقرير وحدانيته، وتنزيهه الشريك والولد، والحاجة إلى الولي والنصير، فيلخص هذا الختام محور السورة التي دارت عليه، والذي بدأت وختمت به:

﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً. ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيرا ﴾.

راجع: الظلال ٤/٢٢٠٨، وصفوة التفاسير ٧/٤٩.

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الاسراء ٥/٢٢٣، وسورة الأنبياء ٥/٢٤٠. وكتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ٦/١٠١.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٣١٠.

(٣) غريب الحديث: الموضع السابق.

والعتاق الأول: السور التي نزلت أولاً بمكة، قاله ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٢١٠.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) قوله: ﴿ هذا حديث غريب ﴾ غير موجود في صحيح الترمذي. ط عبد الرحمن محمد عثمان.

الدعوات، من حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ - وفي رواية البيهقي: كان يقرأ كل ليلة - بني إسرائيل والزمر[١].

ولأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا[٢]، فقيل له: إن شئت أن تستأني[٣] بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت[٤] من قبلهم. قال: (لا)[٥]، بل أستأني بهم، وأنزل الله هذه الآية[٦]: **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾**[٧].

وفي رواية: فدعا، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل افتح لهم باب التوبة والرحمة.

قال البيهقي: ورجال الروايتين رجال الصحيح، إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم[٨]، وفي بعضها: عمران أبو الحكم[٩]، وهو ابن

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ من القرآن عند المنام ١٤١/٥. حديث رقم ٣٤٦٦.
وأخرجه الامام أحمد في المسند ١٨٩/٦.

(٢) قال في اللسان ١٤١/٨: المزدرع: الذي يزدرع زرعاً يتخصص به لنفسه، وازدرع القوم: اتخذوا زرعاً لأنفسهم خصوصاً، أو احترثوا.

(٣) أي تنتظر بهم.

(٤) في الأصل: «هلك» والتصويب عن المسند.

(٥) زيادة عن المسند.

(٦) سورة الاسراء: آية ٥٩.

(٧) مسند الامام أحمد ٢٥٨/١.

(٨) قال الحافظ نورالدين الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٠/٧: وهو وهم.

(٩) كذا هو في كتب الرجال، وهو عمران بن الحارث السلمي، أبو الحكم الكوفي. =

الحارث ـ وهو الصحيح ـ وهو من رجال الصحيح.

ورواه البزار بنحوه.

وروى ابن رجب من طريق الطبراني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يهبط الله عز وجل آخر ساعة من الليل فيقول: ألَا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتى يطلع الفجر، قال: فقال: «إن قرآن الفجر كان مشهوداً، فيشهده الله وملائكته»[1].

وروى أبو طاهر المخلص[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا نصف الليل الآخر، أو الثلث الأخير، فيقول ـ فذكره نحوه ـ وقال: حتى يطلع الفجر أو ينصرف القارىء من صلاة الصبح[3].

وروى الطبري في الصغير بسند ـ قال الهيثمي: فيه ابن اسحاق[4]

= راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٩٦/٦ الترجمة رقم ١٦٤٦ والخلاصة ص ٢٩٥.

(١) هذا الحديث تفرد به زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، ورواه الليث بن سعد عن زيادة. وزيادة منكر الحديث.

راجع: الميزان ٩٨/٢ الترجمة رقم ٢٩٨٨. والخلاصة ص ١٣١ وتفسير ابن كثير ٥٤/٣.

(٢) هو أبو طاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص ـ بضم الميم وفتح الخاء المعجمة، وكسر اللام المشددة ـ الذهبي البغدادي الحافظ المشهور، توفي سنة ٣٩٣ هـ.

راجع: الرسالة ص ٧٦.

(٣) حديث أبي هريرة له أصل في الصحيح عند مسلم وفيه: حتى ينفجر الفجر.

راجع: صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل مثنى مثنى ٣٦/٦.

(٤) هو الامام محمد بن اسحاق صاحب السيرة، تقدمت ترجمته ٥٧/١.

وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات[١] - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى الكعبة[٢] ثلاثمائة وستون صنماً، قد شد لهم ابليس أقدامها بالرصاص، فجاء ومعه قضيب فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، ليخر لوجهه، فيقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» حتى مر عليها كلها[٣].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في سبأ حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الشيخين بنحوه[٤].

ولأبي عبيد، عن خيثمة[٥] قال: قال عبد الله: عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل[٦]، قال أبو عبيد: يريد عبد الله هذه الآية: **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾**[٧]، والآية التي في النحل: **﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾**[٨].

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٥١ .

(٢) في رواية الصحيحين وغيرهما : « وحول البيت » وهي أنسب ، لأن فوق الكعبة لا يستوعب هذا العدد الضخم من الأصنام الا اذا كانت دقيقة الحجم جداً .

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٣٦ وقال : تفرد به محمد بن اسحاق .

(٤) راجع ص

(٥) هو خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة - بفتح السين والراء المهملتين بينهما باء موحدة ساكنة - الجعفي الكوفي ، يروى عن ابن مسعود وعائشة وأبي هريرة وجماعة ، وعنه الحكم بن عتيبة ، وعمرو بن مرة ، وطلحة ابن مصرف ، وثقه ابن معين . وتوفي سنة ثمانين هجرية .
راجع : الخلاصة ص ١٠٧ .

(٦) وأخرجه ابن ماجة في سننه : كتاب الطب ، باب العسل ٢/١١٤٢ حديث رقم ٣٤٥٢ .
قال الحافظ ابن كثير ٢/٥٧٦ : اسناده جيد .
وقال الهيثمي في الزوائد : اسناده صحيح ، رجال ثقات .

(٧) سورة اسراء : آية ٨٢ .

(٨) سورة النحل : آية ٦٩ .

ولأحمد في المسند، والطبراني، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول: آية العزة - وفي رواية: العز - ﴿ **وقل الحمد الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك** ﴾[١] إلى آخر السورة[٢].

وللطبراني والبيهقي في الدعوات، والحاكم وقال: صحيح الاسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما كربني أَمْرٌ إلا تمثل لي جبريل عليه السلام، قال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيراً [٣].

---

(١) الآية : ١١١ من السورة .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٣٩ .

وهذا الحديث رواه الامام أحمد عن شيخه يحيى بن غيلان ، من حديث رشدين عن زبّان ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه معاذ .

ورشدين هو ابن سعد المصري المتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين قال الذهبي في الميزان ٢/٤٩ : كان صالحاً عابداً سيىء الحفظ غير معتمد . وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال الجوزجاني : عنده مناكير كثيرة .

وزبّان هو ابن فايد الحمزاوي المصري المتوفي سنة خمس وخمسين ومائة قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم : صالح الحديث وبالنظر في تاريخ وفاته وتاريخ وفاة رشدين يظهر الفارق الزمني بينهما مما يدل على الانقطاع في السند ، ولذا لم يصرح أحمد بالتحديث بينهما .

راجع : الخلاصة ص ١٢٠ . والميزان ٢/٦٥ .

وسهل بن معاذ ضعفه ابن معين ، ولم يوثقه سوى ابن حبان .

راجع : الخلاصة ص ١٥٨ . والميزان ٢/٢٤١ .

ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٣ من طريق أخرى وفيها ابن لهيعة عن زبّان ، عن سهل بن معاذ .

قال الحافظ نورالدين الهيثمي في الزوائد ٧/٥٢ : وكذلك الطبراني .

(٣) مستدرك الحاكم : كتاب الدعاء ، باب دعاء دفع الكرب ١/٥٠٩ .

وللطبراني في الدعاء، وأبي يعلى ـ قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف[١] ـ عن أبي هريرة ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ، استقبله رجل رث الثياب رث الهيئة، مستقام[٢]، فقال النبي ﷺ: يا فلان ما الذي بلغ بك ما أرى؟. قال: الفقر والسقم، قال: أفلا أعلمك كلمات إذا قلتهن ذهب عنك الفقر والسقم؟. فقال: لا، ما يسرني بهذا أني شهدت معك بدراً واحداً، قال: فضحك رسول الله ﷺ[٣]، ثم قال: وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع؟. قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله فعلمنيهن. قال: قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً. قال: فلقي النبي ﷺأبا هريرة بعد أيام فقال: يا أبا هريرة، ما الذي أرى من حسن حالك؟. فقال: يا رسول الله ما زلت أقرأ الكلمات منذ علمتنيهن[٤].

وروى عبد الرزاق في جامعة عن جعفر بن سليمان، عن سعيد الجريري قال: بلغني أنه من قرأ الآية: ﴿ **الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك** ﴾[٥] إلى آخر السورة، لم يصبه سرق[٦].

ورواه الأستاذ أبو عثمان الصابوني[٧] في كتاب «المائتين» موصولاً (عن

---

(١) مجمع الزوائد ٥٢/٧ .

(٢) أي به سقم .

(٣) في د : النبي .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧٠/٣ : إسناده ضعيف ، وفي متنه نكارة .

(٥) الآية : ١١١ من السورة .

(٦) لم أعثر عيه في مصنف عبدالرزاق .

(٧) هو الإمام الحافظ أبو عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن ، بن أحمد ابن اسماعيل ، بن ابراهيم ، الصابوني ـ نسبة إلى الصابون ـ النيسابوري رئيس أهل الحديث بخراسان ، والامام في علوم مختلفة ، المتوفي سنة ٤٤٩ . وقيل : سنة ٤٤٧ ، أو ٤٤٤ هـ .
راجع : الرسالة ص ٨٧ .

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: هي - يعني ﴿ **قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا** ﴾ (١) الآية - أمان من السرق. قال: وكان رجل من المهاجرين) (٢) تلاها حين أخذ مضجعة فدخل عليه سارق فجمع ما في البيت، ثم حمله والرجل ليس بنائم، حتى انتهى إلى الباب، فوجد الباب مرذوماً، فوضع الكارّة، وفعل ذلك ثلاث مرات، فضحك صاحب البيت وقال: إني قد حصنت بيتي، قال: فذهب اللص.

قال الصابوني: هذا حديث غريب الاسناد والمتن، لم أكتبه إلا من هذا الطريق.

وفي الفردوس عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في مصبح أو مسمى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾(٣)، الآية. لم يمت قلبه في ذلك اليوم، ولا تلك الليلة.

وروى الأصفهاني في ترغيبه، عن إبراهيم - يعني ابن الأشعث (٤) - قال: سمعت الفضل يقول: إن رجلاً على عهد النبي ﷺ أسره العدو، فأراد أبوه أن يفديه، فأبوا عليه، إلا بشيء كثير لم يطقه فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فقال: أكتب إليه فليكثر من قوله: ﴿ **توكلت على الحي الذي لا يموت** ﴾،

---

(١) الآية : ١١٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من د .

(٣) الآية : ١١٠ من سورة الاسراء .

(٤) هو ابراهيم بن الأشعث البخاري ، خادم الفضيل بن عياض .
قال أبو حاتم الرازي : كنا نظن به الخير ، فقد جاء بمثل هذا الحديث : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به » . قال أبو حاتم هذا حديث باطل موضوع .
راجع : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٨٨ الترجمة رقم ٢١٧ ؛ الميزان ١/٢٠ الترجمة رقم ٤٤ .

و ﴿ **الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً** ﴾ إلى آخرها، قال: فكتب بها الرجل إلى ابنه، فجعل يقولها، فغفل العدو عنه، فاستاق أربعين بعيراً، وقدم بها إلى المدينة.

قال المنذري: وهذا معضل[1].

وسيأتي في الطلاق مما يمكن أن يتصل بهذا.

---

(١) الحديث المعضل: هو ما سقط من إسناده ـ في أي موضع كان ـ راويان فأكثر على التوالي، فهو حديث غير متصل السند، وعدم الاتصال يجعله من قبيل الحديث الضعيف، ومن العلماء من يلحقه بالمرسل، ومنهم من يلحقه بالمنقطع، مع أنه أسوأ حالاً منهما ما لم يأت متصلاً من طريق أخرى.

ومثاله: قول الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٨٠: بلغني أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من العمل الا ما يُطيق»، فهذا الحديث معضل لكنه جاء متصلاً عند مسلم في كتاب الايمان من صحيحه: عن مالك بن أنس، عن محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة»، فالاعضال كان في اسقاط محمد بن عجلان وأبيه.

راجع: دكتور محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث ص ٢٣٧.

سورة الكهف

مكية إجماعاً.

وقال الأصفهاني: قيل هذا إجماع المفسرين من غير خلاف.

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة: أن فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿ واصبر نفسك ﴾[١].

وجعلها الغزنوي آيتين.

قال الأصفهاني: وعن مقاتل: من أولها إلى ﴿ صعيداً جرزاً ﴾[٢] مدني وقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[٣] الآيتين، وباقيها مكي.

(١) الآية: ٢٨.
(٢) الآيات: ١ - ٨.
(٣) الآية: ٣٠.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائة وخمس آيات في المدنيين والمكي، وست في الشامي، وعشر في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري.

اختلافها إحدى عشرة آية:

﴿ **وزدناهم هدى** ﴾[1] لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

﴿ **ما يعلمهم إلا قليل** ﴾[2]، عدها المدني الأخير، ولم يعدها الباقون.

﴿ **إني فاعل ذلك غداً** ﴾[3]، لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾[4] لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ لن تبيد هذه أبداً ﴾[5]، لم يعدها المدني الأخير والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **ومن كل شيء سبباً** ﴾[6]، لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **فأتبع سبباً** ﴾[7]، ﴿ **ثم أتبع سبباً** ﴾[8].

---

(١) الآية: ١٣.
(٢) الآية: ١٢.
(٣) الآية: ٢٣.
(٤) الآية: ٣٢.
(٥) الآية: ٣٥.
(٦) الآية: ٨٤.
(٧) الآية: ٨٥.
(٨) الآية: ٨٩.

﴿ ثم أتبع سبباً ﴾[١] عدهن الكوفي والبصري ولم يعدها الباقون.

﴿ وعندها قوماً ﴾[٢]، لم يعدها الكوفي والمدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ بالأخسرين أعمالاً ﴾[٣]، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، اثنا عشر موضعاً؛

﴿ قيماً ﴾[٤] ، ﴿ بأساً شديداً ﴾[٥] ، ﴿ ويبشر المؤمنين ﴾[٦]، ﴿ وهم رقود ﴾[٧] ، ﴿ عليهم بنياناً ﴾[٨] ، ﴿ بسلطان بيِّن ﴾[٩] ، ﴿ مراء ظاهراً ﴾[١٠]، ﴿خضراً ﴾[١١]، ﴿ ولم تظلم منه شيئاً ﴾[١٢]، ﴿ على ربك صفا ﴾[١٣]، ﴿ آذانهم وقرا ﴾[١٤]، ﴿ من دونهما قوماً ﴾[١٥].

وعكسه ثلاثة:

---

(١) الآية : ٩٢ .

(٢) ساقطة من : د .

(٣) الآية : ٩٣ .

(٤) الآية : ١٠٣ .

(٥، ٦، ٧) الآية : ٢ .

(٨) الآية : ١٨ .

(٩) الآية : ٢١ .

(١٠) الآية : ١٥ .

(١١) الآية : ٢٢ .

(١٢) الآية : ٣١ .

(١٣) الآية : ٣٣ .

(١٤) الآية : ٤٨ .

(١٥) الآية : ٥٧ .

﴿ عوجا ﴾[1] ، ﴿ نهراً ﴾[2]، ﴿ عندها قوماً ﴾[3]

ورويها خمسة عشر حرفاً، ﴿ ازل مرض فظ بعفص نجد ﴾[4]، وبعد كلّ ألف التنوين.

مقصودها

ومقصودها: وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في «سبحان»، من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو وقاصّاً (بالحق)[5] أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم، وفق ما وقع الخبر به في سبحان، من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء.

---

(١) الآية : ١ .

(٢) الآية : ٣٣ .

(٣) الآية : ٩٣ .

(٤) وهي موزعة في السورة بحسب القلة والكثرة على النحو التالي :

١ ـ الألف : ﴿ وزدناهم هدى ﴾ الآية : ١٣ .

٢ ـ الزاي : ﴿ صعيداً جُرُزاً ﴾ الآية : ٨ .

٣ ـ الجيم : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ الآية : ١ .

٤ ـ الطاء : ﴿ لقد قلنا اذا شططا ﴾ الآية : ١٤ .

: ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ الآية : ٢٨ .

٥ ـ الصاد : ﴿ على آثارهما قصصا ﴾ الآية : ٦٤ .

٦ ـ الضاد : ﴿ للكافرين عرضا ﴾ الآية : ١٠٠ .

٧ ـ الفاء : ﴿ بهذا الحديث أسفا ﴾ الآية : ٦ .

: ﴿ ولم يجدوا عَنها مصرفا ﴾ الآية : ٥٣ .

٨ ـ الواو : ﴿ وما أنذروا هزوا ﴾ الآية : ٥٦ .

﴿ واتخذوا آياتي هزوا ﴾ الآية : ١٠٦ .

وباقي حروف الروي موزعة في السورة بكثرة ، فلا داعي للتنبيه عليها كما هي عادة المؤلف في التنبيه على الأقل ، وترك ما هو أكثر .

(٥) ساقطة من : د .

وأدل ما فيها على هذا المقصد: قصة أهل الكهف، لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص، مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للوحدانية، وإبطال الشرك [1].

---

(١) سورة الكهف من السور المكية ، وهي احدى سور خمس بدئت بـ ﴿ الحمد لله ﴾ وهذه السور هي : الفاتحة . والأنعام . والكهف وسبأ . وفاطر .

والموضوع الأصلي للسورة : بيان وظيفة القرآن بأنه نذير للضالين وبشير للمهتدين . ثم تصحيح العقيدة في نفوس المنحرفين الذين زعموا أن لله ولداً ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما ، لينذر بأساً شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعلمونالصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا ﴾ .

والقصص هو مادة هذه السورة ، وهو العنصر الغالب في كيانها ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ، وبعدها قصة الجنتين ثم اشارة خاطفة إلى قصة آدم وابليس ، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح ، وفي نهايتها قصة ذي القرنين . وهذا القصص يستغرق معظم آيات السورة ، وما بقي من آياتها فهو تعقيب أو تعليق على القصص فيها ، باستثناء آيات منها حفلت بذكر بعض مشاهد القيامة ، وبعض مشاهد الحياة .

وفي الختام تنتهي السورة بقوله تعالى : ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .

وهكذا يتسق البدء مع الختام في اعلان الوحدانية ، وانكار الشرك ، واثبات الوحي والرسالة ، والتمييز المطلق بين الذات الالهية وذوات الحوادث .

والسورة تسمى : سورة الكهف ، تخليداً لتلك المعجزة الربانية الماثلة في تلك القصة العجيبة ، قصة أصحاب الكهف ، التي تحمل طابع السورة في الدعوة إلى توحيد الله . ونبذ ما عداه من الشرك والشركاء .

راجع : الظلال ٢٢٥٦/٤ وما بعدها .

وصفوة التفاسير ٥/٨ .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى (مسلم. و)[1]أبو داود، والنسائي، والترمذي وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي، وأحمد بن منيع، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ - وفي رواية: من حفظ - عشر آيات من أول - وفي رواية: من آخر - سورة الكهف، عصم من الدجال[2].

وفي رواية: من فتنة الدجال[3].

وفي رواية للترمذي: من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف.

ورواه النسائي في «اليوم والليلة» عن ثوبان رضي الله عنه. ولفظه: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من الدجال[4].

ولمسلم وأبي داود، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الدجال - إلى أن قال - : فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[5].

---

(١) ساقطة من : د .

(٢) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٩٢/٦ .

وسنن أبي داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ١١٦/٤ حديث رقم ٤٣٢٣ .

وفضائل القرآن للنسائي ص ٨٠ حديث قم ٢٤٠ .

وجامع الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الكهف ٢٣٦/٤ حديث رقم ٣٠٤٧ .

ومسند الامام أحمد ٤٤٩/٦ .

(٣) كذا عند أحمد وأبي داود والترمذي .

(٤) كذ عن أحمد من رواية لأبي الدرداء ٤٤٦/٦ .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ٦٣/١٨ .

وسنن أبي داود : كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ١١٧/٤ حديث رقم ٤٣٢١ .

وأخرجه الترمذي : كتاب الفتن ، باب ما جاء في فتنة الدجال ٣٤٦/٢ حديث رقم ٢٣٤١ .

زاد أبو داود: فإنها جواركم من فتنته[1].

وروى النسائي في السنن، والبيهقي في الدعوات وغيره مرفوعاً، والحاكم موقوفاً ومرفوعاً وقال: صحيح الإسناد، والدارمي في مسنده[2]، وسعيد بن منصور في سننه، كلاهما موقوفاً فقط، عن أبي سعيد رضي الله عنه: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما (بين الجمعتين [3].

ولفظ الدارمي: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما)[4] بينه وبين البيت العتيق[5].

ومثله لا يقال من قبل الرأي، فهو مرفوع على كل حال.

قال المنذري: وفي أسانيدهم كلها - إلا الحاكم - أبو هاشم يحيى بن دينار الرماني[6]، والأكثرون على توثيقه[7]، وبقية الاسناد ثقات، وفي إسناد الحاكم الذي صححه نعيم بن حماد[8].

ثم قال في فصل الرواة في آخر الكتاب: قال النسائي: ضعيف، وابن معين: صدوق، وأنا أعرف الناس به، كان رفيقي في البصرة، كتب عن

---

(١) سنن أبي داود: الموضع السابق.
(٢) إطلاق لفظ «مسند» على سنن الدارمي غير سديد.
(٣) المستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف ٢/٣٦٨. وسنن البيهقي الكبرى: كتاب الجمعة، باب ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة سورة الكهف وغيرها ٣/٢٤٩.
(٤) ما بين الحاصرين ساقط من د.
(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف ٢/٤٥٤.
(٦) في الترغيب: الروماني.
(٧) قال الذهبي في الميزان ٤/٥٨١: أبو هاشم الرماني الواسطي، يحيى ابن دينار، أحد الثقات، تابعي صغير.
(٨) الترغيب والترهيب للمنذري ١/٥١٢

روح بن عبادة[١] خمسين ألف حديث[٢].

ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

والطبراني في الأوسط في ترجمة أحمد بن محمد بن صدقة[٣]، مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

ولفظ النسائي والحاكم: من قرأ الكهف كما أنزلت، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامة إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال، لم يسلط عليه[٤].

ورواه الطبراني في الأوسط، في حديث طويل ـ قال الهيثمي: ورجاله

---

(١) هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان، القيسي، البصري الحافظ، روى عن السفيانين، وشعبة، وحسين المعلم، وروى عنه أحمد بن حنبل، وأحمد بن منيع، واسحاق بن راهويه، وكان يتحمل الحمالات، كثير الانفاق، كثير الحديث، لم يطعن فيه سوى القواريري لكونه يروي عن مالك تسعمائة حديث، فاستعظم كثرتها وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال الذهبي: صدوق صاحب حديث.
ومات ابن عبادة في جمادى الأولى سنة ٢٠٥ عن نيف وثمانين عاماً.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣٤٩/١. وميزان الاعتدال ٥٨/٢ ترجمة رقم ٢٨٠٢. وتاريخ بغداد ٤٠١/٨. وطبقات ابن سعد ٤٠/٧. وطبقات الحفاظ ص ١٤٦ ترجمة رقم ٣٢٣.

(٢) الترغيب والترهيب ٣٥٩/٦.

(٣) هو الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة البغدادي، كان موصوفاً بالاتقان، غاية في الحفظ، إماماً في الضبط، روى الحديث عن اسماعيل الجحدري، وابن مسكين اليمامي، وابن حرب النسائي، وروى القراءات عن جماعة، وروى عنه أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر الخلال، وأبو بكر الشافعي، ومات في المحرم سنة ٢٩٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ٧٤٥/٢، طبقات القراء ١١٩/١، طبقات الحنابلة ٦٤/١، طبقات الحفاظ ص ٣١٤.

(٤) المستدرك: كتاب الفتن والملاحم، باب من قرأ سورة الفتح لم يسلط عليه الدجال ٥١١/٤.

رجال الصحيح[1] ـ بلفظ: من قرأ سورة الكهف، كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال، لم يضره.

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه ـ ، قال: من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه ـ أو لم يكن عليه سبيل ـ ومن قرأ خاتمة[2] سورة الكهف، أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة[3].

وفي الفردوس عن البراء، وابن عباس، رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ قال: من قرأ عشر آيات من الكهف، ملىء من قرنه إلى قدمه إيماناً، ومن قرأها في ليلة جمعة، كانت له نوراً، فإن خرج الدجال لم يتبعه.

وفيه أيضاً: عن ابن عباس، وأبي هريرة، رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أعطى نوراً كما بين صنعاء إلى بصري، ومن قرأها في يوم جمعة حفظ إلى الجمعة الأخرى وعوفي من الداء والدّبيلة[4]، وذات الجنب، والبرص والجذام، والجنون وفتنة الدجال.

ولابن مردويه في تفسيره باسناد ـ قال المنذري: لا بأس[5] به ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين.

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٥٣ .

(٢) في د : آخر .

(٣) مصنف عبدالرزاق : كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن وفضلة ٣/٣٧٧ حديث رقم ٦٠٢٢ .

(٤) قال في النهاية ٢/٩٩ : هي خراج ودمّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً ، وهي تصغير دبلة ، وكل شيء جمع فقد دبل .

(٥) الترغيب والترهيب ١/٥١٣ .

ولأحمد في المسند، والطبراني، بسند حسن، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها، كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء[١].

وعند البزار، واسحق بن راهويه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[٢]، كان له نور من عدن أبين إلى مكة، حشوه الملائكة[٣].

قال المنذري[٤]: ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي[٥] لم يرو عنه - فيما أعلم - غير النضر بن شميل[٦].

ولأبي عبيد في الفضائل، والدارمي، كلاهما عن محمد بن كثير[٧]، عن

---

(١) مسند الامام أحمد ٣/٤٣٩ .

(٢) الآية الأخيرة من السورة .

(٣) قا عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/١١٠ : غريب جداً .

(٤) الترغيب والترهيب ٢/٤٤٨ .

(٥) قال الذهبي في الميزان ٤/٥٦٤ وفي المغنى في الضعفاء ٢/٨٠٣ مجهول .

(٦) هو أبو الحسن النضر بن شميل ، المازني البصري ، ثم الكوفي ، النحوي ، شيخ مرو وعالمها ، روى الحديث عن ابن جريج ، وشعبة وحماد بن سلمة ، وروى عنه ابن المديني ، وابن معين ، وابن راهويه وخلائق لا يحصون ، وكان اماماً في العربية والحديث . قال عنه الذهبي : ثقة حجة ، محتج به في الصحاح . مات سنة ٢٠٤ هجرية .

راجع : البداية والنهاية ١٠/٢٥٥ ، تذكرة الحفاظ ١/٣١٤ .

وبغية الوعاة ٢/٣١٦ ، طبقات القراء ١/٢٤١ .

وميزان الاعتدال ٤/٢٥٨ ، طبقات الحفاظ ص ١٣١ .

(٧) هو أبو يوسف محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي ، الصنعاني ، ثم المصيصي ، المتوفي سنة ٢١٦ ، وثقه ابن سعد وابن معين ، وضعفه أبو داود ، وقال عنه البخاري : لينّ جداً .

راجع : الخلاصة ص ٣٥٧ . والميزان ٤/١٨ ترجمة رقم ٨١٠٠ .

الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش رحمه الله، أنه قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل، قامها[(١)].

وقال: قال عبدة: فجربناه فوجدناه كذلك[(٢)].

وقال ابن كثير: وقد جربناه ـ أيضاً ـ في السرايا غير مرة، فأقوم في الساعة التي أريد.

قال: وابتدىء من قوله: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً** ﴾[(٣)]، إلى آخرها.

وللشيخين، وأحمد، والترمذي، عن البراء رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين[(٤)]، فتغشته[(٥)] سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزّلت للقرآن[(٦)].

وهذا الرجل هو أسيد بن الحضير، كما مضى في البقرة[(٧)].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف ٢/٤٥٤.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٣) الآيات: ١٠٧ ـ ١١٠.

(٤) الشطنين ـ بفتح الشين المعجمة، والفاء المهملة ـ مفردهما شطن: الحبل الطويل.
راجع: النهاية ٢/٤٧٥. وشرح مسلم للنووي ٦/٨١.

(٥) أي أظلته وغطته.

(٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة ٤/١٧٩. وكتاب التفسير، سورة الفتح، باب هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ٦/٤٥. وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف ٦/١٠٤. وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦٦/٨١.
ومسند الامام أحمد ٤/٢٩٣.
وجامع الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الكهف ٤/٢٣٦ حديث رقم ٣٠٤٦.

(٧) راجع:

وقال الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير: وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي[١]، عن علي (بن الحين، عن أبيه، عن علي)[٢] مرفوعاً: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة، وإن خرج الدجال، عصم منه[٣].

ولابن السني عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم[٤] تضره[٥] (العين)[٦].

ورواه البيهقي في الدعوات، ولفظه: ما أنعم الله على عبد نعمة في

---

(١) هو الإمام الحافظ، الحجة، محدث الشام، وشيخ السنة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن، السعدي الحنبلي، ضياء الدين. ولد سنة ٥٦٩ هـ، وسمع ابن الجوزي والصيدلاني، ورحل إلى كثير من الأقطار طلباً للعلم، وكان ذا خبرة بالجرح والتعديل، حتى صار مرجعاً في هذا الشأن وكان ديّناً ثقة، ورعاً زاهداً. مات سنة ٦٤٣ هجرية.

راجع: تذكرة الحفاظ ١٤٠٥/٤، شذرات الذهب ٢٢٤/٥ وطبقات الحفاظ ص ٤٩٤.

(٢) ساقط من د.

(٣) تفسير ابن كثير ٧٧/٣.

(٤) عند ابن السني: لم تصبه.

(٥) ساقطة من د، وزدناها عن ابن السني.

(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٨٦ حديث رقم ٢٠٦.

وذكره الإمام النووي في الأذكار ص ٢٨٣ ولم يعقب عليه.

لكنه حديث ضعيف الإسناد، لأن فيه ثمامة بن عبدالله بن أنس وهو ضعيف، رويت عنه أحاديث منكرة. (الميزان: ترجمة رقم ١٣٩٦). وفيه حجاج بن نصير البصري، ضعفه البخاري وأبو داود، والنسائي وأبو حاتم: (الميزان: ترجمة رقم ١٧٤٨).

وفيه سلمى بن عبدالله بن سلمى أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف غير ثقة عند أكثر علماء الجرح والتعديل (الميزان: ترجمة رقم ١٠٠٠٥).

أهل ولا مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت [1]؟

وبنحو هذا اللفظ رواه الأستاذ أبو عثمان الصابوني في كتاب «المائتين» وقال: وما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو مال، أو ولد. . . الحديث.

(وقال)[2]: هذا حديث غريب الإسناد والمتن، ولا أعلم أني كتبته إلا من هذا الوجه.

وشرح ما تقدم من أسرار كثير مما تضمنته هذه الأخبار:

أما تخصيصها بيوم الجمعة، فلتذكيرها بالبداية من خلق آدم عليه السلام، والنهاية من قيام الساعة ، الخاصين بيوم الجمعة[3]، مع ما فيها من لواحقهما من ذكر الجنتين وإن اختلف الحالان. ومن ذكر قصة أصحاب الكهف بما فيها من الدلالة على البعث، ومن ضرب المثل للحياة الدنيا، ومن قصة الحشر، ومن قصة الحوت، وأمر ذي القرنين في السد وما يتبعه، وغير ذلك من نفخ الصور، وتلك التي تكون في البعث والنشور، وما ذكر في الجنان والنيران، من الثبور والحبور.

وأما ما ينشأ عنها من النور، ولكونها سورة الكتاب الهادي للصواب

---

(١) وأسنده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨٤/٣ إلى الحافظ أبي يعلى الموصلي ، من طريق عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة وقال : قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة لا يصح حديثه .

(٢) ساقطة من : د .

(٣) أخرج مسلم في صحيحه : كتاب الجمعة ١٤١/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة .

الموصوف بدوام الاستقامة، المانعة من الشك والارتياب، والزلزلة والاضطراب وكذلك فعل النور بصاحبه، يوضح له الخفايا، ويفتح له الخبايا، وكل باب.

وأما السكينة: فلما خص الله به أصحاب الكهف وموسى والخضر وذا القرنين عليهم السلام، من الطمأنينة على الحق، والسكون على الخير، والنصر على المبطلين، وفي كونها سورة الكتاب أعظم مشير إلى ذلك، وكاشف لسره.

ولهذا كان ما تقدم في فضائل البقرة، الواصفة للكتاب المذكور، فيها آية السكينة الموروثة عن آل موسى وآل هارون، عليهم السلام: من دُنُوٍّ الملائكة والمصابيح المزهرة، لكونها سورة الكتاب المنير للألباب.

وأما عصمتها من الدجال: فلما فيها من التذكير بتنزيه الله تعالى عن كل نقص، وماله من القدرة التامة، وكل كمال، وما اتفق من عصمة أصحاب الكهف ممن ناوأهم والربط على قلوبهم مع ضعفهم، وكثرة المخالفين لهم.

والاكتفاء فيها بالعشر من أولها، لجمعه بين التنزيه والبعث، ولقاء الله الذي لا يكون شيء منها إلا بعد الدجال، بل وبعد الموت.

وذكر قصة أهل الكهف إجمالاً، وبالعشر من آخرها، لجمعها للبعث المذكور، والتنزيه والتوحيد، الذي وقع به الاختتام، المنافي للانقسام وقبول الانقسام بوجه، غلمعلم ببطلان أمر الدجال، إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن الأفكار.

وبالثلاث لتنبيهها على التفكر في الكتاب، الهادي إلى كل صواب ولا سيما البشارة والنذارة، الموجبان للعدل، الحاملات على المتاب والعدول عن كل ارتياب، ولا علامها بالتوحيد بالبراءة من الولد، المستلزم قبوله للمجانسة

المستلزمة لنقسمة، المستلزمة للحاجة، المبرهنة على إبطال أمر الدجال، إلى غير ذلك من أمور لا تدخل تحت المقدور، وبدور لا تسع أنوارها الصدور، كما تشير إليه قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والتسليم من أنه فوق كل ذي علم عليم.

سورة مريم عليها السلام

وتسمى ـ أيضاً ـ كهيعص.

مكية. قال الأصفهاني: قيل: باجماعهم، من غير خلاف علمناه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال أبو حيان: ومقاتل[١]: هي مكية غير سجدتها.

وقيل: غير آيتين منها، قوله: ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ والتي تليها[٢].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها تسع وتسعون فيالمدني الأخير والمكي، وثمان في عدد الباقين. اختلافها ثلاث آيات:

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٦/١٧٢.

(٢) الآيتان: ٥٩ ـ ٦٠.

﴿ كهيعص ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ في الكتاب ابراهيم ﴾[2] عدها المدني الأخير والمكي، ولم يعدها الباقون. ﴿ فليمدد له الرحمن مدا ﴾[3]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون[4]. وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، أربعة مواضع: ﴿ الرأس شيبا ﴾[5]، ﴿ وقرى عينا ﴾[6]، ﴿ للرحمن صوما ﴾[7]، ﴿ اهتدوا هدى ﴾[8] وعكسه موضع:

﴿ كن فيكون ﴾[9].

ورويها ستة أحرف: أدم يزن[10].

مقصودها

ومقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول (الرحمة)[11] بإضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على ابداع المستغرب، المستلزم لتمام العلم، الموجب للقدرة على البعث، والتنزه عن الولد، لأنه لا يكون إلا لمحتاج، ولا يكون إلا مثل الوالد، ولا سمى له سبحانه، فضلاً عن مثيل[12].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٤١.

(٣) الآية: ٧٥.

(٤) في د: لم يعدها الباقون، وعدها الكوفي.

(٥) الآية: ٤.

(٦، ٧) الآية: ٢٦.

(٨) الآية: ٧٦.

(٩) الآية: ٣٥.

(١٠) الهمزة: ﴿ ولا يظلمون شيئاً ﴾ الآية: ٦٠.
والميم: الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(١١) ساقطة من: د.

(١٢) في د: ولا يسمى له فضلاً سبحانه عن مثيل.

وعلى هذا دلت تسميتها بمريم، لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة، وشمول العلم، لأن أغرب ما في المخلوقات وأجمعه خلقاً الآدمي وأعجب أقسام توليده الأربعة: ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، وأغرب وجوه ذلك، أن يتولد منها ـ على ضعفها[1] ـ أقوى النوع، وهو الذكر، ولا سيما وقد أوتي قوة في الخلق والخلق، كما دل عليه وصفه هنا بغلام، ولا سيما وقد أوتي قوة الكلام والعلم والكتاب، التي هي خواص الآدمي في حال الطفولية[2]، ولا سيما إذا انضم إلى ذلك أن يخبر بسلامته الكاملة التي لا يشوبها نوع من عطب، فيكون الأمر كذلك، لم يقدر ـ ولا يقدر ـ أحد مع كثرة الأعداء، على أن يمسه بشيء من أذى، ثم حفظ في هذه المدد الطويلة، والدهور المديدة، في جميع جواهره وأعراضه.

هذا إلى ما جمعته القصة من اخراج الرطب في غير حينه من يابس الحطب ومن إنباع الماء في غير موضعه، وعلى مثل ذلك أيضاً دلت تسميتها، بما في أولها من الحروف المقطعة.

بيان ذلك: أن مخرج الكاف من أقصى اللسان، مما يلي الحلق ويحاذيه من (أسفل)[3] الحنك، وهي أدنى مخرج القاف قليلاً إلى مقدم الفم، ولها من الصفات الهمس، والشدة، والانفتاح، والاستفال.

ومخرج الهاء من أقصى الحلق، لكنها أدنى من الهمزة، إلى جهة اللسان قليلاً، ولها من الصفات: الهمس، والرخاوة، والانفتاح، والاستفال والخفاء.

---

(١) في د: ضعتها.

(٢) ربما كان الأوجه أن يقول: «التي هي ليست من خواص الآدمي في حال الطفولية» وإلا لكان بذلك مخالفاً للعادة، ومنافياً للمعجزة التي أظهرها الله تعالى بكلام عيسى وهو طفل في مهده، والتي ترتب عليها براءة أمه، وسلامة عرضها مما رميت به من الفاحشة. وبذلك يستقيم الكلام في ذاته، ومع ما ينضم إليه بعد.

(٣) ساقطة من: د.

ومخرج الياء من وسط اللسان، ووسط الحنك الأعلى، ولها من الصفات: الجهر، والرخاوة، والانفتاح، والاستفال، وهو أغلب صفاتها.

ومخرج العين، من وسط الحلق، ولها من الصفات: الجهر، وبين الشدة والرخاوة، والانفتاح والاستفال.

ومخرج الصاد: من طرف رأس اللسان، وبين أصول الثّنيتين السفليين وله من الصفات: الهمس، والرخاوة، والأطباق، والاستعلاء، والصفير.

فالافتتاح بهذه الأحرف في هذه السورة، إشارة - والله أعلم - إلى أن أهل الله عامة، من ذكر منهم في هذه السورة وغيرهم، يكون أمرهم عند الخالفين - أولاً - كما تشير إليه الكاف ضعيفاً، مع شدة وانفتاح، كما كان حال النبي ﷺ أول ما دعا إلى الله تعالى، فإنه اشتهر أمره، ولكنه كان ضعيفاً بإنكار قومه عليه، إلا أنهم لم يبالغوا في الإنكار، ثم يصير الأمر في أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلا استفال، ثم يزداد بتمالؤه المستكبرين عليهم ضعفاً وخفاء، وإلى هذا تشير قراءتها بالأمالة، ولا بد مع ذلك من نوع ظهور، كما يشير إليه انفتاح الهاء، وعليه نبهت قراءة الفتح.

وهكذا كما كان النبي ﷺ حين رح بسبّ آلهتهم وتسفيه أحلامهم، وتضليل آبائهم، فقاموا عليه البأ(1) واحداً، فهاجر أكثر الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة، وخاف أبو طالب عم النبي ﷺ دهماء(2) العرب، فقال قصيدته اللامية(3) الطويلة في ذلك، يستعيذ فيها بحرم الله وببيته من

---

(1) قال ابن الأثير في النهاية ١/٥٩: الألب - بالفتح والكسر -: القوم يجتمعون على عداوة انسان، وقد تألّبوا: أي اجتمعوا.

(2) قال في اللسان ١٢/٢١٢: الدهماء: العدد الكثير، ودهماء الناس: جماعتهم وكثرتهم.

(3) القصيدة في سيرة ابن هشام ١/٢٧٢ ومطلعها.

ولّما رأيتُ القوم لا وُدَّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وتبلغ أربعاً وتسعين بيتاً، إلا أن ابن هشام عقب عليها بقوله:
هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

المبطلين، وتمادي الحال، حتى ألجأتهم قريش إلى الشِّعْب، فانحاز فيه بنو هاشم، وانضم معهم بنو المطلب، وتكوّن في وسط أمرهم ـ كما تشير إليه الياء وقراءتها بالفتح ـ لهم قوة، مع رخاوة واشتهار واستفال، وهو الأغلب عليهم ظاهراً، كما تشير إليه قراءة الأمالة فيكون ذلهم من وراء عز، وعزهم من ساتر ذل، فتنة من العليم الخبير ليتميز المخلص من غيره، يعرف ذلك من عاناه، ونظر إليه بعين الحقيقة واجتلاه، وهذا كما كان عند قيام من قام من قريش في نقض الصحيفة الظالمة وإخراجهم من الشعب، ثم كان عند موت خديجة رضي الله عنها وأبي طالب وخرج النبي ﷺ لما توالى عليه من المصائب إلى الطائف فردوه ـ بأبي هو وأمي ونفسي وولدي وعيني ـ على تلك الصورة التي يعرفها من طالع السيرة، فلما قرب من مكة المشرفة، لم يستطع دخولها بغير جوار فاختفى في غار حراء[١]، وأرسل إلى من يجيره، ثم أرسل، ثم كرر الارسال حتى أجاره المطعم بن عدي[٢]، فلبس السلاح هو ومن أطاعه من عشيرته وأدخله ﷺ، حتى طاف بالبيت، ثم انصرف إلى منزله ثم قضى الله سبحانه ـ وهو الذي يفعل ما يشاء، لا يسأل عما يشاء، ولا راد لحكمه، ولا معقب لأمره ـ أن قتل المطعم هذا في بدر كافراً إلى النار وبئس القرار، بعد أن اجتهد النبي ﷺ في سلامته، والايصاء به في أن لا يقتل، ليعلم أنه سبحانه مختار في عموم رحمته، التي أشارت إليها هذه السورة وخصوصها،

---

(١) في د: دحراء.

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، زعيم بني نوفل في الجاهلية وكان قد عمي في كبره، ومات في السنة الثانية للهجرة قبل موقعة بدر مشركاً، وله بضع وتسعون سنة، وقد حفظ له الرسول ﷺ تلك اليد، روى البخاري في كتاب الخمس وكتاب المغازي من صحيحه: أن رسول الله ﷺ قال في أسرى بدر: لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتني لتركتهم له.
وروى الفاكهي باسناد مرسل: أن حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع للنبي ﷺ.
راجع: سيرة ابن هشام ٢/١٥. وفتح الباري ٧/٣٢٤.

لئلا ييأس عاص، أو يأمن طائع، وليظهر[1] سر قوله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الحديث بالرجل الفاجر»[2].

ثم إذا علا أمرهم عن الوسط صاعداً قوي[3]، كما تشير إليه العين، فصار بين الشدة والرخاوة،وفيه انفتاح بشهرة، مع استفال في بعض الأمر، كما كان حاله ﷺ عند مبايعة الأنصار رضوان الله عليهم.

وأما آخر أمرهم: فهو - وإن كان فيه نوع من الضعف، وضرب من الرخاوة واللين، كما كان في غزوة حنين والطائف - فإنه يعقبه قوة عظيمة بالأطباق واستعلاء[4] واشتهار يملأ الآفاق، كما يشير إليه الصغير.

هذا في أهل الله عامة، المذكورين في هذه السورة، وغيرهم.

---

(١) في د: ويظهر.

(٢) هذا حديث أخرجه الشيخان؛

البخاري: كتاب الجهاد، باب أن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ٣٤/٤، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧٤/٥، وكتاب القدر باب العمل بالخواتيم ٢١٢/٧.

ومسلم: كتاب الأيمان، باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه ١٢٢/٢. وسبب ورود هذا الحديث - واللفظ للبخاري في كتاب القدر - ما رواه سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله لرجل ممن معه يدّعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الذي تحدّثت أنه من أهل النار، قاتل في سبيل الله من أشهد القتال، فكثرت به الجراح. فقال النبي ﷺ: أما أنه من أهل النار. فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهماً فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله صدّق الله حديثك، فقد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

(٣) في د: قويا.

(٤) في د: الاستعلاء.

وأمَّا مَا يخص عيسى عليه الذي هو صورة سورتها، ومطمح إشارتها، فجعل الحروف اللسانية من هذه الحروف، أغلبها ثلاثة أحرف منها، إشارة إلى أن ابراهيم عليه السلام بما أعطى في نفسه وفي ذريته ولسان الصدق المذكور به، إجابة لدعوته في قوله: ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾[١]، وتحقيقاً لوعده في هذه السورة في قوله: ﴿ **وجعلنا لهم لسغن صدق عليا** ﴾[٢]، **هو لسان هذا الوجود**، (**وإلى أن**)[٣] دولة إله الذين عيسع عليه السلام من أعيانهم، هي وسط هذا الوجود حقيقة وخياراً.

فموسى عليه السلام أول أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف، التي هي من أقصى اللسان من أول مخارجه، وله حظ كبير منها، فإنه من أجله[٤] قتل أبناء بني اسرائيل، وولد في سنة القتل[٥]، وكان سبب هجرته وابتداء سيره إلى الله تعالى، قتله القبطي[٦]، وقرب نجيا[٧]، ومن صفاتها الجهر، والشدة والانفتاح والاستعلاء والقلقلة، وهو ﷺ عريق في كل من خيرات ذلك.

وداود عليه السلام ثاني ذوي كتبهم، بمنزلة الهمزة التي هي أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف، وهو أول من جمع من بني اسرائيل بين الملك والنبوة، وله حظ من وصفها بالاستفال في أول أمره، وفي آخره بما كان من بكائه ونواحه، وتواضعه واخباته لربه وصلاحه.

---

(١) سورة الشعراء: آية ٨٤.

(٢) سورة مريم: آية ٥٠.

(٣) ساقطة من: ط.

(٤) في د: من أجله قتل القبطي، وقرب أبناء بني اسرائيل. والعبارة ركيكة كما ترى.

(٥) ذكر المفسرون: أن فرعون لما أخبره السحرة أنه سيولد ولد من بني اسرائيل يكون سبباً في هلاكه وزوال ملكه، أمر بذبح كل طفل يولد في بني اسرائيل، فلما اشتد ذلك عليهم، جعل الذبح عاماً دون عام، فكان من قدرة الله عز وجل أن ولد موسى عليه السلام في العام الذي يكون فيه الذبح.

(٦) قتل موسى للقبطي مذكور في سورة القصص، الآية ١٥.

(٧) في تفسير القرطبي ١١/١١٤في قوله: «وقربناه نجيا» أي كلمناه من غير وحي.

فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه السلام، هو ثاني الشارعين منهم في الوجود، وإلهاً، عبارة عن أنه من عقب داود، عليهما السلام، كل منهما له حظ من صفات الحرف المشير إليه، الدال عليه.

والصاد التي هي من طرف اللسان، وهي خاتمة هذه الحروف، إشارة - بما فيها من الأطباق، المشير إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجود، ومن الاستعلاء المشير إلى نهاية العظمة، والصغير المشير إلى غاية الانتشار والشهرة - إلى محمد ﷺ، وإلى مقرر دينه ومجدّده عيسى عليه السلام، (ويشير الكاف - أيضاً - بما فيه من الصفات، إلى أن أول أمر عيسى عليه السلام)[1] يكون فيه مع الشدة ضعف.

ثم تشير - أيضاً - الهاء التي هي من أقصى الحلق، إلى أن أمره يبطن بعد ذلك الظهور، ويخفي بارتفاعه إلى السماء، ويدل وصفها بالاستفال على أن السماء التي يكون بها قريبة إلى العالم السفلي، وهو كذلك، فإنه في الثانية، بدلالة رتبة الكاف والهاء في مخرجهما.

وتشير الياء بجهرها إلى ظهور بنزوله، وتدل بكونها من وسط اللسان على تمكنه في أموره، وباعتلائها على شيء في ذلك، وهو ضعف الأتباع وحصرهم في ذلك الوقت، وتدل بانفتاحها ورخاوتها على ظهور على الدجال في أولئك القوم الذي جهدهم البلاء عند نزوله، ومسهم الضر قبل حلوله. وتليح غلبة الاستفال عليها إلى أمر يأجوج ومأجوج لما يوحيه إليه: «إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحدهم، فحرّز عبادي إلى الطور»[2].

وتدل العين بكونها من وسط الحلق على انحصارهم، وبجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم، ولا وصول بوجه إليهم، وبما فيها من البينية

---

(١) ما بين القوسين ساقط من؛ د.

(٢) هذه الجملة، لعلها من العهد القديم.

والاستفال على جهدهم مع حسن العاقبة، وتبشر بما فيها من الانفتاح بحصول الفتح الذي ليس فوقه فتح.

وتدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة، وبالهمس والرخاوة على أنها قوة لا بطش فيها، وبالأطباق والاستعلاء على عموم الدين جميع الناس، وبالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ في الصور، لعموم الهلاك لكل موجود مقطور ثم بعثرة القبور، وتحصيل ما في الصدور.

وكل هذا من ترتيب سنته سبحانه في المصطفين من عباده على هذا النحو البديع، وترتيب هذه الحروف على النظم الدال عليه، دائر على القدرة التامة، والعلم الشامل، والحكمة الباهرة، رحمهم سبحانه بأن نكبهم طريق الجبارين التي أوصلتهم إلى القسوة، وجنبهم سنن المستكبرين التي تلجىء - ولا بد - إلى الشقوة، فجعل نصرهم في لوامع انكسار، وكسرهم في جوامع انتصار، وحماهم من فخامة دائمة تجر إلى بذ وعلو واستكبار ومن رقة ثابتة تحمل على ذل وسفول وصغار، فلقد انطبق الأسمان على المسمى واتضحا غاية الاتضاح في أمره وتما[٢].

---

(١) يعني: جنبهم إياه، وعدل بهم عنه.
راجع: النهاية ٥/ ١١٢. واللسان ١/ ٧٧٠.

(٢) سورة مريم مكية، وغرضها الأصلي: تقرير التوحيد، توحيد الله عزّ وجل في ذاته، وصفاته وأفعاله، ونفي الولد والشريك عنه جل وعلا مع الإلمام بقضية البعث والجزاء، القائمة أساساً على قضية التوحيد فمحور السورة يدور حول الأيمان بوجود الله ووحدانيته، وبيان منهج المهتدين، ومنهج الضالين، وبيان أن الخلق مبعوثون للحساب والجزاء. ويسير السياق مع موضوعات السورة في ثلاثة أشواط:

الشوط الأول: يتضمن قصة ذكر يحيى، وقصة مريم وعيسى، ثم التعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.

والشوط الثاني: يتضمن حلقة من قصة ابراهيم مع أبيه وقومه، واعتزاله لملة الشرك وطائفة المشركين، ثم إشارات سريعة وموجزة إلى قصص النبيين ومن اهتدى بهديهم، =

فضائلها

وأما فضائلها: فقال أبو عبيد في الفضائل، حدثنا اسماعيل بن مجالد، عن هلال الوزان، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أنه قرأ سورة مريم عليها السلام حتى انتهى إلى السجدة ﴿ **وخروا سجدا وبكيا** ﴾[1]، فسجد بها، فلما رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء[2]؟.

وروى أحمد ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات[3] ـ عن جابر بن عبدالله

= ومن خلف من بعدهم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء، ثم ينتهي الحديث باعلان الربوبية الواحدة «رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده، واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا».

والشوط الثالث والأخير: يبدأ بالجدل حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد القيامة، ويعرض صورة حركية من استنكار الوجود كله لدعوى الشرك:

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شيئاً ادّا. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من في السموات والأرض إلى آتى الرحمن عبدا ﴾.

وسميت السورة: سورة مريم، تخليداً لتلك المعجزة الهائلة، التي تتمثل في انجاب إنسان من أم بلا أب، ثم انطاق الله للوليد وهو طفل رضيع في مهده، وما جرى من أحداث عجيبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام.

راجع: الظلال ٤/٢٢٩٩. وصفوة التفاسير ٨/٣٤.

(١) الآية: ٥٨.

(٢) فيه اسماعيل بن مجالد بن سعيد، وثقة ابن معين، وضعفه النسائي والدارقطني والسعدي، ونقل الذهبي عن البخاري، أنه صدوق.

راجع: الميزان ١/٢٤٩.

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ١٦/٧٣ وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/١٣٧ من طريق سفيان الثوري عن أبي معمر، وفيه: أن القارىء عمر بن الخطاب، وأنه القائل: هذا السجود فأين البكيّ.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٥٥.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/١٣٢: غريب ولم يخرجوه.

رضي الله عنها ـ وقد اختلف ناس في ورود النار ـ فأهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر، إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم عليه السلام، حتى أن للنار ـ أو قال: لجهنم ـ ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا[1].

وروى الإمام أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة والنجاشي، وفيه: أنه دعا أساقفته، فنشروا مصاحفهم[2] حوله وقال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: هل معك مما جاء به ـ يعني النبي ﷺ ـ من شيء؟، قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من «كهيعص»، قالت: فبكى والله النجاشي، حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته، حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: والله إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة[3].

وروى ابن المبارك، عن عباد المنقري[4]، عن بكر المزني[5] قال: لما

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٣٢٨.
ولكن يعارضه حديث أم مبشر: أنَّها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: لا يدخل النار ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحد: الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهزها فقالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها»؟. فقال النبي ﷺ: قد قال الله تعالى: ﴿ ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾.
أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب الشجرة ١٦/٥٧.
قال النووي في شرح مسلم ١٦/٥٨: والصحيح: أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون.
(٢) المراد: صحفهم التي نسخوها من الأناجيل.
(٣) مسند الإمام أحمد ١/٢٠١، ٥/٢٩.
(٤) قال الذهبي في المغنى: عباد بن ميسرة المنقري، ضعفه أحمد وابن معين، اهـ مختصراً.
(٥) هو أبو عبدالله بكر بن عبدالله بن عمرو بن هلال المزني البصري أحد الأعلام، قال =

نزلت هذه الآية: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾[١]، ذهب ابن رواحة[٢] إلى بيته، فبكى فجاءت امـرأته فبكت، وجـاءت الخادم فبكت، وجـاء أهل البيتفجعلوا يبكون، فلما انقضت عبرته قال: يا أهلاه ما يبكيكم؟ قالوا: لا ندري، ولكنا رأيناك بكيت فبكينا، قال: آية نزلت على رسول الله ﷺ ينبئني فيها ربي أني وارد النار، ولم ينبئني أني أصدر عنها[٣].

= ابن سعد: كان ثقة ثبتا، مأموناً حجة، فقيهاً روى عن عبدالله بن عمـر، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة. وتوفي سنة ١٠٦ وقيل: ١٠٨ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٥١.

(١) سورة مريم: آية ٧١.

(٢) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس، بن عمرو بن امرىء القيس، من سلالة الخزرج بن الحارث الأنصاري، الشاعر المشهور كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدراً وما بعدها، وكان أحد قواد المسلمين في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، وفيها مات شهيدا رضي الله عنه.
راجع: الإصابة ٢/٢٩٨.
والاستيعاب على هامش الإصابة ٢/٢٨٤.

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٠٤ رقم ٣٠٩.
وفيه عن الحسن ص ٤٠ حديث رقم ١٢٣.

سورة طه

وتسمى: سورة موسى عليه السلام.
مكية اجماعاً.

عدد آياتها

وآيها مائة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيان ومكي، وخمس كوفي وأربعون شامي.

اختلافها إحدى وعشرون آية:

﴿ طه ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ نسبحك كثيراً ﴾[2]، وكذا: ﴿ ونذكرك كثيراً ﴾[3]، لم يعدهما البصري وعدهما الباقون.

---

(١) الآية: ١.
(٢) الآية: ٣٣.
(٣) الآية: ٣٤.

﴿ ومحبة مني ﴾[1]، لم يعدها الكوفي والبصري، وعدها الباقون.

﴿ كي تقر عينها ولا تحزن ﴾[2]، عدها الشامي، ولم يعدها الباقون)[3].

﴿ وفتناك فتوناً ﴾[4]، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ في أهل مدين ﴾[5] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾[6]، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾[7] ، عدها الشامي وحده.

﴿ ولقد أوحينا إلى موسى ﴾[8]، عدها الشامي ـ أيضاً ـ وحده.

﴿ ما غشيهم ﴾[9] عدها الكوفي وحده.

﴿ غضبان أسفا ﴾[10]، عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ وعداً حسنا ﴾[11]، عدها المدني الأخير وحده.

﴿ ألقى السامري ﴾[12]، لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون.

﴿ وإله موسى ﴾[13]، عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿فَنسيَ﴾[14]، لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ٣٩.

(٢) الآية: ٤٠.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من: د.

(٤، ٥) الآية: ٤٠.

(٦) الآية: ٤١.

(٧) الآية: ٤٧.

(٨) الآية: ٧٧.

(٩) الآية: ٧٨.

(١٠، ١١) الآية: ٨٦.

(١٢) الآية: ٨٧.

(١٣، ١٤) الآية: ٨٨.

﴿ إليهم قولاً ﴾[١] عدها المدني الأخير وحده.

﴿ إذ رأيتهم ضلوا ﴾[٢] عدها الكوفي وحده.

﴿ قاعا صفصفا ﴾[٣]، لم يعدها المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

﴿ مني هدى ﴾[٤]، ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾[٥] لم يعدها الكوفي وحده.

ما يشبه الفاصلة فيها

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، اثنان وعشرون موضعاً: ﴿ فاعبدني ﴾[٦]، ﴿ بآياتي ﴾[٧]، ﴿ قولاً ليناً ﴾[٨]، ﴿ فيها سبلا ﴾[٩] ﴿ وبينك موعدا ﴾[١٠]؛ ﴿ على الله كذبا ﴾[١١]؛ ﴿ ثم ائتوا صفا ﴾[١٢]؛ ﴿ سجدا ﴾[١٣]؛ ﴿ والذي فطرنا ﴾[١٤]؛ ﴿ ما أنت قاض ﴾[١٥]؛ ﴿ عليكم غضبي ﴾[١٦]؛ ﴿ بملكنا ﴾[١٧]؛ ﴿ جسداً له خوار ﴾[١٨]؛ ﴿ ولا

(١) الآية: ٨٩.
(٢) الآية: ٩٢.
(٣) الآية: ١٠٦.
(٤) الآية: ١٢٣.
(٥) الآية: ١٣١.
(٦) الآية: ١٤.
(٧) الآية: ٤٢.
(٨) الآية: ٤٤.
(٩) الآية: ٥٣.
(١٠) الآية: ٥٨.
(١١) الآية: ٦١.
(١٢) الآية: ٦٤.
(١٣) الآية: ٧٠.
(١٤، ١٥) الآية: ٧٢.
(١٦) الآية: ٨١.
(١٧) الآية: ٨٧.
(١٨) الآية: ٨٨.

برأسي ﴾[1] ، ﴿ لا مساس ﴾[2] ، ﴿ منها جميعاً ﴾[3] ، ﴿ ضنكا ﴾[4] ، ﴿ حشرتني أعمى ﴾[5]، ﴿ لزاماً ﴾[6] ، ﴿ رزقا ﴾[7] ﴿ رسولا ﴾[8] .

وعكسه خمسة :

﴿ فتردى ﴾[9]، ﴿ يا موسى ﴾[10]، ﴿ المقدس طوى ﴾[11]، ﴿ من أهلي ﴾[12]، ﴿ هارون أخي ﴾[13]، ﴿ على عيني ﴾[14].

ورويها ستة عشر حرفاً: قدح، عوف، تاري، الخمسة.

تعتبر تاء التأنيث هاء للوقف، وتاء للوصل.

الهاء: ﴿ طه ﴾[15]؛ فإن ألفها لبيان الحركة.

الياء: ﴿ السامري ﴾[16] التاء: ﴿ أمتا ﴾[17]؛ الواو:﴿ سوى ﴾[18]،

---

(١) الآية: ٩٤.

(٢) الآية: ٩٧.

(٣) الآية: ١٢٣.

(٤) الآية: ١٢٤.

(٥) الآية: ١٢٥٥.

(٦) الآية: ١٢٩.

(٧) الآية: ١٣٢.

(٨) الآية: ١٣٤.

(٩) الآية: ١٦.

(١٠) الآية: ١٧.

(١١) الآية: ١٢.

(١٢) الآية: ٢٩.

(١٣) الآية: ٣٠.

(١٤) الآية: ٣٩.

(١٥) الآية: ١١.

(١٦) الآيتان: ٨٧، ٩٥.

(١٧) الآية: ١٠٧.

(١٨) الآية: ٥٨.

الحاء: ﴿ ضحى ﴾[1]، فإن ألفها للتنوين.

مقصودها

ومقصودها: اعلام الداعي ﷺ باقبال المدعوين، والترفق إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه ﷺ.

وعلى هذا المقصد الشريف دل اسمها المشهور بطريق الرمز والإشارة ليتبين أهل الفطنة والبصارة، وذلك كما في أولها من الحروف المقطعة لأنه لما كان ختام سورة مريم عليها السلام حاملاً على الخوف العظيم، من أن تهلك أمته ﷺ قبل ظهور أمره الذي أمره الله به، وقبل اشتهار دعوته، لقلة من آمن منهم إذ ذاك، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين، إلى قوة[2] أمره وانتشاره، وعلوه وكثرة أتباعه.

لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفاً، وأشدها حركة، وأوسعها انتشاراً، وبما فيها من صفات الجهر والاطباق، والاستعلاء والقلقلة، إلى انقلاب ما هو فيه من الأسرار جهراً، وما هو فيه من الرقة فخامة، لأنها من حروف التفخيم، وأنه يستعلي أمره، وينشر ذكره، حتى يطبق جميع الوجود ويقلقل سائر الأمم.

ولكن يكون ذلك مما تشير إليهالهاء، بمخرجها من أقصى الحلق، على حد بعده من طرف اللسان، مع طول كبير،وتماد كثير، بما فيها من صفات الهمس والرخاوة، والانفتاح، والاستفال، والخفاء، مع مخافته وضعف كبير، وهدوء وخفاء عظيم، ومقاساة شدائد كبار، مع نوع فخامة واشتهار وهو وإن

---

(١) الآية: ٥٩.

(٢) في د: قواه.

كان اشتهاراً يسيراً يغلب هذا الضعف كله وإن كان قوياً شديداً وقراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف، وقراءة التفخيم ـ هي لأكثر القراء ـ مشيرة إلى فخامة القدر، وقوة الأمر، بما لها من الانفتاح، وإن رئي أنه ليس كذلك.

«لقد أمر[١] أمره: أنه ليخافه ملك بني الأصفر»[٢].

وإن كان معنى الحرفين: يا رجل، فهو إشارة إلى قوته، وعلو قدره، وفخامة ذكره، وانتشار أتباعه، وعموم أمره.

وإن كان إشارة إلى وطء الأرض فهو الاحة[٢] إلى قوة التمكن، وعظيم القدرة، وبعد الصيت، حتى تصير الأرض كلها ملكاً له ولأتباعه، وملكاً لأمرائه وأشياعه، والله أعلم.

وذكر ابن الفرات[٣] في تاريخه: أن هجرة الحبشة كانت في السنة الثامنة من المبعث.

---

(١) قال في النهاية ١/٦٥: أي كثر وارتفع شأنه.

وقال الحافظ في الفتح ١/٤٠: وهو بفتح الهمزة وكسر الميم: أي عظم. اهـ. هذه الكلمة لأبي سفيان، قالها لما ذهب في وفد قريش إلى الحبشة ليردوا المسلمين ولفظها ـ كما جاء في البخاري ـ لقد أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر.

صحيح البخاري: كتاب الوحي ١/٦.

وابن أبي كبشة: هو الرسول ﷺ، لأن أبا كبشة أحد أجداده (الفتح ١/٤٠).

وبنو الأصفر: الروم، أو ملوك الروم، قال عدي بن زيد:

وبنو الأصفر لكرام، ملوك الـ روم لم يبق منهم مذكور

قال في النهاية ٣/٣٧: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغزوا تغنموا بنات الأصفر، يعني الروم، لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو روم بن عيصو بن اسحاق بن ابراهيم.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٤٠: ويقال إن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة، فجاء لون ولده بين البياض والسواد، فقيل له: الأصفر.

وراجع: لسان العرب ٤/٤٦٥.

(٢) في د: الأخذ.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن العباس بن محمد بن الفرات البغدادي، الإمام الحافظ، كان =

فالظاهر ـ على ما يأتي في فضائلها من قصة اسلام عمر رضي الله عنه ـ: أن نزول هذه السورة، أولها، كان قريب هجرة الحبشة، فيكون سبحانه قد رمز له ﷺ على ما هو ألذ في محادثة الأحباب، من صريح الخطاب، بعدد مسمى الطاء، إلى أن وهن الكفار الوهن الشديد، يقع في السنة التاسعة من نزولها، وذلك في غزوة بدر الموعد في سنة أربع من الهجرة، وبعدد اسمها إلى أن الفتحالأول يكون في السنة الحادية عشرة من نزولها، وذلك في عمرة الحديبية في ذي القعدة، سنة ست من الهجرة عند نزول سورة الفتح.

ورمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة في السنة الخامسة من نزولها، وذلك في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة.

وبعدد حرفي اسمها ـ لا بعدد اسميهما ـ إلى أنه في السنة الثالثة عشرة من نزولها، يكون الفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة، الذي كان سبباً قريباً للاستعلاء على جميع الأرض، وذلك في أواخرها في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، وكان تمامه بفتح الطائف، بارسال وفدهم وإسلامهم وهدم طاغيتهم في سنة تسع، وهي السنة الرابعة عشرة.

وبعدد اسميهما: إلى أن تطبيق أكثر الأرض بالإسلام، يكون في السنة الثامنة عشرة من نزولها، وذلك بخلافة عمر رضي الله عنه، وهو الوزير المطلوب باشارتها التي[1] كانت سبب إسلامه، وكانت خلافته في السنة الثالثة عشرة من الهجرة.

= حجة في الضبط، وغاية في النقل، قال الذهبي: وكتابه هو الحجة في صحة النقل وجودة الضبط، وقال العتقي: ثقة مأمون، مات سنة ٣٨٤ هـ عن بضع وستين سنة.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٠١٥/٣. وتاريخ بغداد ١٢٢/٣. وطبقات الحفاظ ص ٤٠٢.

(١) في م: الذي.

وكذا دل مقصودها باضافتها إلى موسى عليه السلام، بتأصل قصته وما كان فيها من قدرة الله وحكمته. والله الموفق(١).

---

(١) سورة طه مكية النزول، وهي تلم بذات الأهداف التي تهدف إلى بيانها السور المكية، فهي تركز على عرض الأصول العقائدية وهي: التوحيد والنبوة والبعث.

والسورة تبدأ وتختم خطاباً للنبي ﷺ، ببيان وظيفته، وحدود تكاليفه، فليس ما وكل إليه شقاء كتب عليه، ولا عناء يعذب به، وإنما هي الدعوة والتذكير، والإنذار والتبشير:

﴿ طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرض والسموات العلى ﴾.

وبين المطلع والختام تعرض السورة لقصص بعض الأنبياء، تسلية لرسول الله ﷺ، وتطميناً لقلبه، فذكر بالتفصيل قصة موسى عليه السلام، وبخاصة موقف المناجاة بينه وبين الله، وموقف الجدل بينه وبين فرعون، ثم بينه وبين السحرة، ومن خلال هذا العرض المفصل تتجلى رعاية الله لموسى وعنايته بأوليائه من الأنبياء والمرسلين، فقال له ولأخيه هارون: «لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى» ثم عرضت السورة لقصة آدم عليه السلام في سرعة خاطفة، برزت فيها رحمة الله بآدم، وهدايته له.

ومع مراحل الآيات تتجلى مواقف القيامة ظاهرة بارزة للعيان، في مشهد لم يسبق له وصف فيما مضى من سورة القرآن: ﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾.

ثم تختم السورة بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وحثه على الصبر على ما يلقاه من أذى قومه، وأن يكون دائم اللجوء إلى الله عز وجل، وبيان المصير المحتوم الذي ينتظر أولئك المعاندين:

﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروضها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضي ﴾.

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع أياتك من قبل أن نذل ونخزي، قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، عن شهر بن حوشب رحمه الله قال: يرفع القرآن عن أهل الجنة، إلا طه ويس.

ولابن ماجة، والطبراني في الأوسط في ترجمة موسى بن سهل أبي عمران الجوني[(١)]، والحاكم، والمخلّص[(٢)] في التاسع من فوائده، عن أبي أمامة[(٣)] رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، في سور ثلاث: في البقرة، وآل عمران، وطه[(٤)].

قال القاسم: فالتمستها، أنه: ﴿ **الحي القيوم** ﴾[(٥)].

---

(١) قال الذهبي: من ثقات الرحالين، وكان من علماء الحديث ومسنديهم كانت إقامته ببغداد، وهو بصري المولد، والمنشأ، توفي سنة ١٣٧ في شهر رجب.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٣. وطبقات الحفاظ ص ٣٢١.

(٢) هو أبو طاهر المخلّص: محمد بن عبد الرحمن بن العباس، المتوفي سنة ٣٩٣ هـ. تقدمت ترجمته.

(٣) هو أسعد بن زرارة بن عدس، بن عبيد، بن ثعلبة بن غنم، الأنصاري الخزرجي، غلبت عليه كنيته فاشتهر بها، وكان ممن شهد بيعتي العقبة، وكان أحد النقباء بهما، وقيل: كان أول من بايع. ومات رحمه الله في شوال في السنة الأولى للهجرة.
راجع: الاستيعاب على هامش الإصابة ١/٥٧. والإصابة ١/٥٠.

(٤) سنن ابن ماجة: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٧. حديث رقم ٣٨٥٦.
والمستدرك للحاكم: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم الذي ذا دعى به أجاب ١/٥٠٥.
وفي مسند ابن ماجة غيلان بن أنس الكلبي أبو مرشد الدمشقي سكتوا عنه فلم يتكلم فيه أحد بجرح ولا تعديل، (راجعه في الخلاصة ص ٣٠٧)، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٥٥، وسورة آل عمران: آية ٢، وسورة طه: آية ١١١.

قال ابن رجب: قال هشام بن عمار[1]: ﴿ هو الحي القيوم ﴾.

وللطبـراني في الأوسط ـ أيضاً ـ والـدارمي في المسند، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله قرأ طه ويس، قبل أن يخلق آدم عليه السلام ـ في رواية الدامي: قبل أن يخلق السموات والأرض ـ بألف عام، فلما سمعت الملائكة القرآن، قالت: طوبي لأمة ينزل هذا عليها، وطوبي لأجواف تحمل هذا ، وطوبي لألسن تتكلم بهذا[2].

قال شيخنا حافظ العصر ابن حجر: وقد زعم ابن حيان: أنه موضوع وتبعه ابن الجوزي.

وقال الهيثمي: في سند الطبراني ابراهيم بن مهاجر بن مسمار ضعفه البخاري بهذا الحديث، ووثقه ابن معين[3].

---

(١) هو أبو الوليد شيخ الإسلام هشام بن عمار بن نصير، بن ميسرة الدمشقي، خطيب دمشق ومقرئها ومحدثها ومفتيها، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، روى الحديث عن مالك ، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، وخلائق، وحدث عنه البخاري وأبو عبيد، وأبو داود، والنسائي، بل حدّث عنه شيخه الوليد ابن مسلم، ومحمد بن شعيب، ويكفيه ذلك في بيان ثقته وعدالته وضبـه، وتوفي في شهـر المحرم سنة ٢٤٥ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٤٥١. وشذرات الذهب ٢/١٠٩. وطبقات القراء ٢/٣٥٤. والخلاصة ص ٣٥٢. وطبقات الحفاظ ص ١٩٧.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة طه ويس ٢/٢٥٦ والأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٣٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٥٦.

وكذا هو في سنن الدارمي، والبيهقي.

وترجمة ابراهيم بن مهاجر في الميزان ١/٦٧ الترجمة رقم ٢٢٤؛

والمغني في الضعفاء للذهبي ١/٢٧ الترجمة رقم ١٨٨.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: هذا غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم ابن مهاجر وشيخه(١) تكلم فيهما(٢).

ولأبي يعلى، عن معقل بن يسار، رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه، ما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله، وإلى أولى العلم من بعدي كما يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والانجيل والزبور، وما أوتي النبيـون من ربهم، وليسعكم القرآن، وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكـر الأولى، وأعطيت طـه، والطواسـين والحواميم، من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة.

وسيعاد هذا الحديث في الشعراء.

وأخرج الحاكم منه من قوله: وأعطيت طه، إلى آخره(٣).

قال ابن رجب في كتابه الاستغناء بالقرآن، وقال: صحيح الاسناد(٤).

وليس كما قال، عبد الله بن أبي حميد ضعيف جداً(٥).

---

(١) شيخه هو عمر بن حفص بن ذكوان العبدي، قال الإمـام أحمد: تـركنا حـديثه وحرقناه.

راجع: الميزان ٣/١٨٩ الترجمة رقم ٦٠٧٥. والمغني في الضعفاء ٢/٤٦٣ الترجمة رقم ٤٤٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/١٤١.

(٣) بل أخرجه الحاكم بتمامه: كتاب فضائل القرآن، باب من قرأ القرآن وتعلمه وعمل بما فيه.. الخ ١/٥٦٨.

(٤) نعم، قـال الحاكم: هـذا حديث صحيـح الإسناد ولميخـرجـاه، وتعقبـه الـذهبي بقوله عبيد الله، قال أحمد: تركوا حديثة.

(٥) راجع ترجمته في الميزان ٣/٥ الترجمة رقم ٥٣٥٤.

وفيه: قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: ترك الناس حديثه.

ورواه من طريق أخرى، أولها: أعطيت البقـرة من الذكـر الأول، وأعطيت طه، إلى آخره.

قال: وأخرجـه هشام بن عمـار في كتاب «المبعث» لـه، ولفظه: أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الانجيل المئين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة.

وروى أبو عبيد في الفضائل عن ابن عوف[1] قال: حدثني رجل من أهل الكوفة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلى ليلة، قال: فذكروا ذاك فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم منذ الليلة يردد آية، حتى أصبح قال ابن عوف: بلغني أن الآية ﴿ **رب زدني علماً** ﴾[2].

وروى الطبراني في الكبير بسند ـ قال الهيثمي: فيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف[3] ـ عن جرير[4] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ **فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾[5] قال: قبل طلوع الشمس: صلاة الصبح، وقبل غروبها: صلاة العصر[6].

---

(١) هو عبدالله بن عون بن أرطبان المزني، المتوفي سنة ظدظ هجرية. تقدمت ترجمته.

(٢) الآية: ١١٤.

(٣) مجمع الزوائد ٦٧/٧.

(٤) هو جرير بن عبد الله البجلي، الصحابي المشهور، يكنى أبا عمر وقيل: أبا عبد الله، سكن الكوفة، واعتزل علياً ومعاوية، مات سنة ٥١ وقيل: ٥٤ هـ.
راجع: الاصابة ٢٢٣/١.

(٥) آية: ١٣٠ من السورة.

(٦) حديث جرير أخرجه البخاري ومسلم. =

وللطبراني في الأوسط بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات [1] ـ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيف، أمرهم بالصلاة، ثم قرأ[2]: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، الآية [3].

ومن أعظم فضائلها: أن قراءة أولها كان سبباً لاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الفاروق، الذي كان إسلامه فتحاً أيد الله به هذا الدين ففرق به بين الحق والباطل، فعزّ به المسلمون، فرغب في الإسلام بسبب ذلك من وفقه الله له، وذلك هو عين مقصودها.

روى عبد بن حميد في مسنده، والبيهقي في دلائل النبوة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ أعزّ الدين ـ وقال البيهقي: الإسلام ـ بأحب هذين الرجلين إليك: أبو جهل[4] ابن هشام، أو عمر بن الخطاب ـ وقال عبد: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام ـ قال: فكان ـ يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أحبهما إلى الله تعالى[5].

= أما ما في مسلم ٥/١٣٤: ثم قرأ جرير: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (طه: آية ١٣٠).

وفي رواية البخاري ١/١٣٨ كتاب المواقيت: ثم قرأ ـ أي رسول الله ﷺ ـ: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (ق: آية ٣٩).

(١) مجمع الزوائد ٧/٦٧.

(٢) سورة طه: آية ١٣٢.

(٣) وروى ابن أبي حاتم عن ثابت قال: كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله: يا أهيلاه صلوا صلوا، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.

راجع: ابن كثير ٣/١٧١.

(٤) في د: أبي.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٣.

وقال عبد: فكان أحبهما إليه عمر رضي الله عنه.

وروى البيهقي - أيضاً - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف، فلقيه رجل[1] من بني زهرة، فقال له: أين تعمد يا عمر؟. قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة، وقد قتلت محمداً؟.

قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت[2] وتركت دينك الذي أنت عليه؟. قال: أفلا أدلك على العجب؟. ان ختنك[3] وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر زامراً - يعني غضبان - حتى أتاهما، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب[4]، فلما سمع خباب رضي الله عنه بحس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة[5] التي سمعتها عندكم؟.

قال: وكانوا يقرأون «طه»، فقالا: (كان)[6] حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما؟. فقال له ختنه: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، قال: فوثب عمر على ختنه - وفي رواية: زوج أخته - سعيد بن زيد ابن

(١) في سيرة ابن هشام ١/٣٤٤: فلقيه نعيم بن عبد الله.
(٢) في النهاية ٣/٣: يقال صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين آخر.
(٣) يعني: زوج أخته.
(٤) هو أبو عبد الله خباب بن الأرث بن جندلة التميمي، وقيل: الخزاعي مولى أم أغار الخزاعية، كان من غلسابقين في الإسلام، وممن أوذي إيذاء شديداً، شهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة فظل بها حتى توفي سنة ٣٧ هجرية.
راجع: الاصابة ١/٤١٦. والاستيعاب على هامش الاصابة ١/٤٢٣.
(٥) الهينمة: صوت كلام لا يفهم.
(٦) في الأصل كلمة غير هذه ولكنها غير مقروءة.

عمرو بن نفيل[1]، فوطئه وطئاً شدقداً[2].

قال فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها فقالت ـ وهي غضبانة ـ: وإن كان الحق في غير دينك، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال عمر: أعطوني الكتاب الذي هو عنكم فأقرأه. قال: وكان عمر يقرأ الكتاب، فقالت له أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، أو توضأ.

قال: فقام عمر فتوضأ، وأخذ الكتاب، فقرأ طه، حتى انتهى إلى: **﴿ لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾**[3].

قال: فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر رضي الله عنهما، خرج من البيت وقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام».

وكان رسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا.

قال: فانطلق عمر، حتى أتى للدار، وعلى باب الدار حمزة وطلحة رضي الله عنهما، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأى حمزة، وجل القوم من عمر، فقال حمزة عم (رسول الله ﷺ)[4]. هذا[5] عمر، أن يرد الله

---

(١) أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد أحداً، ولم يشهد بدراً لأنه لم يكن بالمدينة وقتها، وقصته مع أروى بنت أنيس مشهورة في إجابة دعوته عليها، وقد شهد اليرموك وفتح دمشق، وتوفي بالعقيق سنة خمسين، على خلاف في ذلك. (راجع: الاصابة ٢/٤٤).

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ١/٣٤٤.

(٣) الآية: ١٤.

(٤) ساقطة من: د.

(٥) في د: هذا هذا.

بعمر خيراً يسلم، فيتبع النبي ﷺ وأن يرد غير ذلك، يكن قتله علينا هيناً.

قال: والنبي ﷺ داخل(١) يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر رضي الله عنه، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل(٢) السيف، فقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالـوليد بن المغيرة؟. فهذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام - أو الدين - بعمر بن الخطاب. فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك عبد الله ورسوله، وأسلم وقال: أخرج يا رسول الله(٣).

وقد رواه محمد بن اسحاق بن يسار في المغازي، وقال في الحديث: فقرأ طه، حتى إذا بلغ: **﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لنجزي كل نفس بما تسعى - إلى قوله -: فتردى﴾**(٤) وقرأ: **﴿إذا الشمس كـورت - حتى بلغ -: علمت نفس ما أحضرت(٥)﴾**، فأسلم عند ذلك(٦).

وروى البيهقي من طريق ابن اسحاق عن عبد العزيز(٧) بن عبد الله بن عامر ابن ربيعة، عن أمه ليلى(٨) رضي الله عنها قالت: كان عمر بن

---

(١) كذا في دلائل النبوة. والمراد: داخل الدار.

(٢) قال في النهاية ١/٤٤٢: أي عواتقه وصدره وأضلاعه.

(٣) دلائل النبوة ٢/٦.

(٤) الآية: ١٦.

(٥) الآية: ١٤.

(٦) دلائل النبوة ٢/٨.

(٧) ترجمته في تاريخ البخاري ٦/١٢ الترجمة رقم ١٥٢٧. والجرح والتعديل ٥/٣٨٥ الترجمة رقم ١٧٩٨.
ولم يذكر فيه أحد جرحاً ولا تعديلا.

(٨) هي ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة - ينتهي نسبها إلى كعب بن لؤى - القرشية العدوية، هاجرت الهجرتين، وهي أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة، ولم يذكر أحد تاريخ وفاتها.
راجع: الاصابة ٤/٤٠٠. والاستيعاب على هامش الاصابة ٢/٤٠١ وطبقات ابن سعد ٣/٣٨٧.

الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءني عمر بن الخطاب وأنا على بعيري نريد أن نتوجه، فقال: أين أم عبد الله؟. فقلت له: آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله حيث لا نؤذي في عبادة الله[١]، فقال: صحبكم الله، ثم ذهب، فجاء زوجي عامر ابن ربيعة[٢] رضي الله عنه، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر. فقال: ترجين يسلم؟. فقلت: نعم. قال: فوالله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وهذا من شدته على المسلمين، ثم رزقه الله تعالى الإسلام[٣].

قال ابن إسحاق: والمسلمون يومئذ بضع وأربعون رجلاً، وإحـدى عشرة امرأة[٤].

وروى هذا الحديث ابن هشام في تهذيب السيرة من طريق ابن اسحاق وزاد فيه: أنه اغتسل، كما أمرته أخته[٥].

وفيه: أنه لما قرأ الآيات من صدر طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خباب رضي الله عنه خرج إليه.

وفيه أشياء حسنة، وقد سقته مستوفى في «نظم الدرر»[٦] مع أشياء حسنة.

وفيه: أنه أراد أن يعلم بإسلامه جميع قريش، فأتى أنقلهم للحديث

---

(١) في الأصل: عباد الله. والتصويب عن دلائل النبوة.

(٢) هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنزي، كان أحد السابقين الأول، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، واستخلفه عثمان على المدينة، ومات سنة ٣٧ هجرية، بعد قتل عثمان بأيام.

راجع: الاصابة ٢/ ٢٤٠. وطبقات ابن سعد ٣/٣٨٧.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٤٢.

(٤) ودلائل النبوة ٢/ ٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٣٤٥.

(٦) نظم الدرر ١٢/ ٢٦٠ ط الهند.

جميل بن معمرة(١) فأخبره، فصرح بأعلى صوته: أن ابن الخطاب صبأ؛ فقال عمر: كذب، ولكني أسلمت، فثاروا إليه، فما برح يقاتلهم حتى قامت الشمس على رؤوسهم وأعيا فقعد، وقال: أما والله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا(٢).

وروى البخاري، والبيهقي في الدلائل وهذا لفظه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إني لعلي سطح، فرأيت الناس مجتمعين على رجل وهم يقولون: صبأ عمر، صبأ عمر، فجاء العاص بن وائل(٣)، عليه قباء ديباج(٤) فقال: إن كان عمر قد صبأ فمه أنا له جار، قال: فتفرق الناس عنه فتعجبت من عزه(٥).

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي في كتابي، فضائل القرآن، وغريب الحديث عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً: أن النبي ﷺ مر هو وأصحابه على إبل لحي يقال لهم: بنو الملوح، أو بنو المصطلق، وقد عبست أبوالها من السمن، فتقنع بثوبه، ثم قرأ هذه الآية - وفي رواية: قول الله تعالى -: ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾ إلى آخر الآية(٦).

قال: ومعنى «عبست»: أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها وذلك إنما يكون من كثرة الشحم، فذلك العبس(٧).

---

(١) في سيرة ابن هشام ١/ معمرة. وفي نظم الدرر ٢/٢٦٤: معمر.

(٢) نظم الدرر ٢/٢٦٤ ط الهند.

(٣) هو العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي، والد عمرو بن العاص، كان زعيماً لبني سهم في الجاهلية، ومات على شركه قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.
الاعلام ٣/٢٤٧.

(٤) قال في النهاية ٢/٩٧: هو الثياب المتخذة من الابريسم. يعني: الحرير.

(٥) صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب ٤/٢٤٢. ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٨.

(٦) غريب الحديث ٣/٩.

(٧) غريب الحديث ٣/١٠.

سورة الأنبياء عليهم السلام

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآياتها مائة واثنتا عشرة في الكوفي، واحدى عشرة في الباقين.

اختلافها آية، ﴿ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾[1]، عدهاالكوفي وحده. وفيها مما يشبه الفاصلة ولم يعد بإجماع: أربعة مواضع:

﴿أكثرهم لا يعلمون﴾[2]، ﴿ولا يشفعون﴾[3]، ﴿لكم ولما تعبدون﴾[4] ﴿إنكم وما تعبدون﴾[5].

(١) الآية: ٦٦.
(٢) الآية: ٢٤.
(٣) الآية: ٢٨.
(٤) الآية: ٦٧.
(٥) الآية: ٩٨.

وعكسه ثلاثة:

﴿له إبراهيم﴾[١]، ﴿يا ابراهيم﴾[٢]، ﴿على ابراهيم﴾[٣].

ورويها: من.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على تحقق الساعة وقربها، ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها، على الجليل والحقير، لأن موجودها لا شريك له يعوقه عنها، وهو من لا يبدل القول لديه.

والدال على ذلك أوضح دلالة: مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقل قصة منها استغلالاً ظاهراً لجميع[٤] ذلك، كما بينته في أصل هذا الكتاب «نظم الدرر»[٥]، ولا تخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك، فنسبت إلى الكل[٦].

---

(١) الآية: ٦٠.
(٢) الآية: ٦٢.
(٣) الآية: ٦٩.
(٤) كذا بالاصل، ولعل الصواب: بجميع.
(٥) نظم الدرر ١٢/٣٧٨.
(٦) نعم سورة الأنبياء تركز على قصة البعث، وتبين أن الساعة لا محالة واقعة، وأنها وشيكة الوقوع، وقد حفلت ببيان ذلك في البدء والختام:
«اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون».
وقبيل الختام يأتي قوله تعالى:
«واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين».
ثم تعرض السورة إلى اثبات الوحي والرسالة، وبيان بشرية الرسول والمرسلين من قبله، وتوجيه أنظار المشركين إلى التعرف على تلك الحقيقة:
«بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون، ما =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو نعيم عن عبد الرحمن[١] بن زيد، بن أسلم، عن أبيه[٢] عن عامر بن ربيعة[٣] رضي الله عنه، أنه نزل به رجل من

= آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وما جعلناهم جَسَداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين».

ثم تتجه السورة إلى تأصيل العقيدة في نفوس المخلوقين، وتشرح مظاهر القدرة، وتبين الدلائل المبثوثة في الأنفس والآفاق، لتنبه على عظمة الخالق، وأنه واحد لا شريك له:

﴿أم اتخذواآلهة من الأرض هم ينشرون، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

والحديث عن وحدانية الله عز وجل كثير في السورة، ويحمل في طياته الأدلة والبراهين على تهافت دعوى الشريك ونسبة الولد إلى الله، وبيان أن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً:

«وما أرسلنا من قبلك من رسول الله نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون».

ثم تستعرض السورة جماعة الرسل في سلسلة طويلة استعراضاً سريعاً، يطول بعض الشيء عند عرض جانب من قصة إبراهيم عليه السلام، وعند ذكر داود وسليمان، ويقصر عند قصص نوح وموسى وهارون ولوط، واسماعيل وإدريس، وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحيى، عليهم السلام.

فالسورة كما ترى تقصد إلى بيان الأصول العقائدية الثلاثة، وهي: التوحيد، والبعث، والرسالة.

راجع: الظلال ٤/٢٣٦٤.

وصفوة التفاسير ٩/٣.

(١) توفي سنة ١٨٢ هـ. ضعفه أحمد، وابن المديني، والنسائي، وغيرهم.

راجع: الخلاصة ص ٢٢٧. والميزان ٢/٥٦٤.

(٢) هو زيد بن أسلم العدوى المدني، روى عن أبيه وابن عمر، وجابر وعائشة، وكان من ثقات التابعين، مات سنة ١٣٦ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/١٣٢، الخلاصة ص ١٢٦، طبقات القراء ١/٢٩٦.

(٣) هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة العنزي - بإسكان النون - هاجر =

العرب، فأكرم مثواه وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ وَادِياً، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك.

قال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ **اقترب**[١] **للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾[٢].

(وروى)[٣] الترمذي ـ واللفظ له ـ ، والنسائي، وابن السنى، والامام أحمد ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن محمد ابن سعد، بن أبي وقاص، وهو ثقة[٤] ـ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت، ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾[٥]، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط استجاب الله له[٦].

ولفظ الحاكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هل أدلكم على اسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب الدعوة التي دعا بها يونس عليه السلام، حيث نادى في الظلمات الثلاث[٧]: لا إله إلا أنت

= الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، له اثنان وعشرون حديثاً، اتفق على اثنين منها، مات سنة ثلاث وثلاثين. وقيل: اثنين وثلاثين.
راجع: الإصابة ٢/٢٤٠. والخلاصة ص ١٨٤.

(١) سورة الأنبياء: آية ١.
(٢) الحلية ١/١٧٩.
(٣) ليست بالأصل.
(٤) مجمع الزوائد ٧/٦٨.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٨٧.
(٦) صحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ٨٥ ـ ٥/١٩١ حديث رقم ٣٥٧٢.
(٧) المراد بالظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر وظلمة الليل.

سبحانك إني كنت من الظالمين، فقال رجل: يا رسول الله هل كانت ليونس عليه السلام خاصة، أم للمؤمنين عامة؟. فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع إلى قول الله عز وجل[1]: ﴿ **فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾[2].

ولفظ ابن السنى قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين[3].

وعند الامام أحمد في أوله قصة بين سعد وعثمان رضي الله عنهما[4].

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٨.

(٢) المستدرك: كتاب التفسير، سورة الأنبياء ٢/٣٨٢.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ١٣٤ حديث رقم ٣٤٥.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/١٧٠.

سورة الحج

مكية.

قال أبو عمرو الداني: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في الذين تبارزوا يوم بدر، وهم ثلاثة مؤمنون: علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث[1] رضي الله عنهم، وثلاثة كافرون: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبه وهي قوله تعالى[2]: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم - إلى قوله - : وهدوا إلى صراط الحميد[3] ﴾.

(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى، القرشي المطلبي، يكنى أبا الحارث - وقيل: أبا معاوية - كان أسن من رسول ار ﷺ بعشر سنين، كان مع رسول الله ﷺ بمكة، ثم هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين ثم شهد بدراً، فكان له فيها غناء عظيم، ومشهد كريم، بارز فيها شيبة بن ربيعة، فضربه شيبة في رجله فقطعها، فمات متأثراً بها بعد بدر بليلة، رضي الله عنه.

راجع: الاستيعاب ٢/٤٣٦. والاصابة ٢/٤٤٢.

(٢) الآيات: ١٩ - ٢٤.

(٣) ويؤيده ما رواه البخاري في التفسير ٥/٢٤٢ عن علي وأبي ذر، ومسلم ١٨/١٦٦ عن =

هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعطاء بن يسار[1]، إلا أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يذكر إلى أين ينتهين، وذكره عطاء.

وقيل عن ابن عباس: هي أربع آيات، وينتهين إلى (قوله)[2]: ﴿ **الحريق** ﴾[3]

وقال الجعبري: (قال)[4] ابن عباس: مكية إلا أربعاً، وعطاء: إلَّا سِتّاً.

واتفقا على أنهن من ﴿ **هذان خصمان** ﴾، إلى: ﴿ **الحميد** ﴾، فكأن عطاء عد ﴿ **الحميم** ﴾ و﴿ **الجلود** ﴾، ولم يعدهما ابن عباس[5].

وقال قتادة: الحج مدنية، إلا أربع آيات منها نزلت بمكة، وهن:

= أبي ذر: أن قوله تعالى: «هذان خصمان» نزلت في حمزة وصاحبيه علي وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.
وفي رواية للبخاري في المغازي ٦/٥: أن أبا ذر كان يقسم: لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر.
قال ابن حجر في الاصابة ٤٤٢/٢: وكذا ذكره سائر من صنف في المغازي، أ هـ. مختصراً.

(١) هو أبو محمد عطاء بن يسار الهلالي المدني، القاضي، مولى ميمونة روى عن ميمونة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وكان من الثقات المكثرين في الرواية، مات ـ رحمه الله ـ سنة ٩٧، وقيل: ١٠٣
راجع: تذكرة الحفاظ ٩٠/١، الخلاصة ص ٢٦٧، طبقات الحفاظ ص ٣٤، طبقات ابن سعد ١٢٩/٥.

(٢) زيادة عن «البيان» لأبي عمرو الداني.

(٣) البيان للداني: ورقة ٥٩.

(٤) زيادة ليست بالأصل، ويقتضيها السياق.

(٥) كذا قال أبو عمرو الداني في البيان: ورقة: ٥٩.

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي[١] ـ إلى قوله ـ : عذاب يوم عقيم ﴾[٢].

وعزاه الأصفهاني إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الجعبري: ويجمع بينهما بالأصالة والتبع.

قلت: ويقدح في هذا الجمع الاستثناء في كل قول، ومن أغرب الأشياء: أن البغوي قال: مكية، إلا عشر آيات[٣] من قوله: ﴿ هذان خصمان ـ إلى قوله ـ : وهُدُوا إلى صراط الحميد[٤] ﴾.

وقال الأصفهاني: وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني، إلى قوله: ﴿وبشر المحسنين﴾[٥]، وسائرها مكي.

وقال هبة الله بن سلامة[٦]: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكياً ومدنياً، وحضرياً وسفرياً، وحربياً وسِلْمِيّاً، وليلياً ونهارياً، وناسخاً ومنسوخاً.

فأما المكي: فمن رأس الثلاثين إلى آخرها، وأما المدني: فمن رأس

---

(١) الآيات: ٥٢ ـ ٥٥.
(٢) رواه عن قتادة أبو عمرو الداني في البيان: ورقة ٥٩.
(٣) كلام البغوي هكذا:
«مكية إلا» ومن الناس من يعبد الله» الآيتين، أو إلا: «هذان خصمان» لست آيات فمدنيات».
(٤) تفسير البغوي على هامش الخازن ٥/٢.
(٥) الآية: ٣٧.
(٦) هو أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، البغدادي الضرير المفسر، صاحب كتاب «الناسخ والمنسوخ»، أمام حافظ، كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن، وتوفي ببغداد سنة عشر وأربعمائة.
راجع: طبقات القراء ٣٥١/٢.

خمس وعشرين، إلى رأس ثلاثين منها، وأما الليلي: فمن أولها، إلى رأس خمس آيات، وأما النهاري: فمن رأس خمس، إلى رأس تسع، وأما السفري: فمن رأس تسع، إلى اثنتي عشرة، وأما الحضري: فإلى رأس العشرين[1].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها أربع وسبعون في الشامي، وخمس في البصري، وست في المدنيين وسبع في المكي، وثمان في الكوفي.

اختلافها خمس آيات:

﴿ **من فوق رؤوسهم الحميم** ﴾[2]، ﴿ **والجلود** ﴾[3]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **وعاد وثمود** ﴾[4]، لم يعدها الشامي.

﴿ **وقوم لوط** ﴾[5]، لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

﴿ **هو سماكم المسلمين** ﴾[6]، عدها المكي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

﴿ ثياب من نار ﴾[7]، ﴿ والباد ﴾[8]، ﴿ فأمليت للكافرين ﴾[9]، ﴿ معاجزين ﴾[10].

---

(١) وأما الناسخ والمنسوخ، ففيها ناسخ فقط، وليس فيها منسوخ.
راجع: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٧١٨٦

(٢) الآية: ١٩.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٤٢.

(٥) الآية: ٤٣.

(٦) الآية: ٧٨.

(٧) الآية: ١٩.

(٨) الآية: ٢٥.

(٩) الآية: ٤٤.

(١٠) الآية: ٥١.

وعكسه ثلاثة:

﴿ ما يشاء ﴾ [١]، ﴿ من حديد ﴾[٢]، ﴿ تقوى القلوب ﴾[٣].

ورويها: أنظم، زبرجد، قط [٤].

الهمزة: **﴿ يشاء ﴾** [٥].

مقصودها

ومقصودها: الحث على التقوى، المعلية عن دركة الاستحقاق الحكيم بالعدل، إلى درجة استئهال الأنعام بالفضل، في يوم الجمع، لطيف التذكير به [٦].

---

(١) الآية: ١٨.

(٢) الآية: ٢١.

(٣) الآية: ٣٢.

(٤) أحد عشر حرفاً.

(٥) الآية: ١٨

والجيم: «من كل زوج بهيج» الآية ٥.

والزاي: «ان الله لقوي عزيز» الآية ٤٠.

والطاء: «وقوم لوط» الآية: ٤٣.

والظاء: «ما يغيظ» الآية: ١٥.

وباقي أحرف الروى مكررة في السورة.

(٦) سورة الحج تتناول جوانب التشريع، شأنها في ذلك شأن سائر السور المدنية التي تعني بأمور التشريع، إلا أن السورة يغلب عليها طابع القرآن المكي بدءاً وختاماً، وما بين البدء والختام، فموضوع الايمان والتوحيد، والانذار والتخويف، وموضوع البعث والجزاء ومشاهد القيامة وأصولها، هو الجو البارز في السورة، هذا إلى جانب موضوعات تشريعية كالاذن بالقتال، وأحكام الحج والهدى وغير ذلك من المواضيع التي هي من خصائص القرآن المدني، ولذا فقد عدها كثير من العلماء أنها من السور المشتركة بين المكي والمدني.

وقد بدأت السورة الكريمة بمطلع عنيف، ترتجف له القلوب، وتطيش من هوله العقول، ذلك هو الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة، والذي يصل هوله إلى المرضعات الذاهلات عن أطفالهن والحوامل اللاتي يسقطن حملهن، والناس =

= يترنحون كأنهم سكرى من الخمر، وما بهم شيء من السكر، ولكنه الموقف الذي تتزلزل له القلوب:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسُكَـارَى ولكن عذاب الله شـــديـــد﴾.

ثم تتجه السورة إلى قضية البعث فتقيم الأدلة البينة على إمكان بعث الناس بعد موتهم، ثم الانتقال بهم إلى دار الجزاء، لينال كل واحد جزاءه حسب ما قدمت يداه:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم. . .﴾.

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبـــور﴾.

ثم تنتقل السورة إلى الاذن للمؤمنين في قتال أعدائهم، وبيان الحكمة في الاذن لهم بالقتال، ومن خلال السياق يدور الحديث عن أهل الديانات المخـالفة، السـابقة للإسلام والمعاصرة له، مع بيان مصير كل جماعة من تلك الجماعات.

وفي السورة دعوة إلى تقوى الله، والعمل على خشيته والاخبات إليه وتبدو هذه الدعوة متناثرة في ثنايا السورة، كأنها ومضات مضيئة تنير للسالكين طريقهم:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عــظيم﴾.

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾.

﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. . .﴾.

«لن ينال الله لحومها ولا دماؤ ها ولكن يناله التقوى منكـم. .﴾.

وعن قضية التوحيد تسوق السورة أمثلة لبيان حال المشركين، وحقيقة آلهتهم التي أشركوها مع الله:

﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

«يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز﴾.

والسورة تسمى: سورة الحج، تخليداً لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حين انتهى من بناء البيت العتيق، وأمره الله أن ينادي في الناس لحج بيت الله الحرام.

راجع: الظلال ٢٤٠٥/٤. وصفوة التفاسير ٢٨/٩.

فضائلها

وأما فضائلهـا: فروى عبـد بن حميد في مسنـده، والبزار ـ قـال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير هلال بن خبّاب وهو ثقة[1] ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزلت: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾[2] على النبي ﷺ وهو في مسير له، فرفع بها صوته، حتى ثاب[3] إليه أصحابه، فقال: أتدرون أي يوم هذا؟. (قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك)[4] يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام: يا آدم، قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد في الجنة[5]، فكبر[6] ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إني لأرجـو أن تكونـوا شطر أهـل الجنـة، ثم قـال رسـول الله ﷺ: سـددوا وقاربوا[7]، وأبشروا، فو الذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة[8] في ذراع الدابة[9]، وإن معكم لخليقتين ما كانا

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٧٠.
وقال الذهبي في الميزان ٤/٣١٢: وثقه ابن معين وغيره.

(٢) سورة الحج: آية ١.

(٣) أي دنوا منه ﷺ، والتفوا حوله، ولأنهم كما في رواية الترمذي: كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السفر.

(٤) ما بين الحاصرين زيادة عن مجمع الزوائد وكتب الستة.

(٥) كذا في م. وفي د: «إلى»، وما في الأصل موافق لرواية أحمد في المسند ١/٤٣٥.

(٦) أي شق وعظم عليهم.
وعند الترمذي: فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة.
وفي مسند أحمد ٤/٤٣٥: فأبلس أصحابه حتى ما أضحوا بضاحكة.

(٧) قال في النهاية ٢/٣٠٢: أي اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة وهو القصد في الأمر، والعدل فيه.

(٨) قال النووي في شرح مسلم ٣/٩٨: هي ـ بفتح الراء واسكان القاف ـ الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل.
ومثله في النهاية ٢/٢٥٤.

(٩) عند البخاري في صحيحه ٧/١٩٦ ومسلم ٣/٩٨: أو كالرقمة في ذراع الحمار.

مع شيء قط إلا كثّرتاه: يا جوج(١) وماجوج، ومن هلك من كفرة الأنس(٢) والجن(٣).

وقال ابن رجب: وروى الجورجاني(٤) في كتاب «النواحين» عن النضر ابن عربي(٥)، عمن حدثه، قال: كان النبي ﷺ في بعض أسفاره، إذ قال:

---

(١) أما يأجوج ومأجوج فهما غير مهموزين عند جمهور القراء وأهل اللغة وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أجيج النار، وهو صوتها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم، واضطرابهم بعضهم في بعض.

(٢) عند الترمذي وأحمد في المسند ٤/٤٣٥: من بني آدم وبني إبليس.

(٣) هذا الحديث بهذا السياق:

أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٤٣٢، ٤٣٥.

والترمذي في كتاب التفسير من صحيحه ٥/٥ حديث رقم ١٧*٣، ٣٢١٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

كلاهما من حديث عمران بن حصين.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٢. والبخاري: كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج ٤/١٠٩. وكتاب التفسير، باب وترى الناس سكارى «سورة الحج» ٥/٢٤١. وكتاب الرقاق، باب قوله عز وجل؛ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ٧/١٩٦. وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٨/١٩٤.

ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ٣/٩٧.

كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

وقد ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٢٠٥ وتتبع طرقه.

(٤) هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي كان بدمشق، روى عن أحمد ومسدد، وروى عنه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، مما يشهد له بالثقة والضبط. مات سنة ٢٥٩ هـ.

راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٥٤٩. وطبقات الحفاظ ص ٢٤٤.

(٥) هو النضر بن عربي الباهلي الحراني، روى عن عطاء ومجاهد وروى عنه الثوري وأبو أسامة، وثقه ابن معين. مات سنة ١٦٨ هـ.

راجع: الخلاصة ص ٤٠٢.

يا بلال أنصت الناس، فأُوحى إليه، فتلا عليهم رسول الله ﷺ: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها** ﴾ (١) إلى آخر الآية. قال: فخر أصحاب رسول الله ﷺ حتى وقعت أعِنَّة (٢) الخيل على أعناقها من أيديهم.

وروى أبو عبيد عن خالد بن معدان (٣) قال: قال رسول الله ﷺ: فضلت سورة الحج على غيرها بسجدتين (٤).

وروى أبو عبيد، وأبو داود، والترمذي، وقال: ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أفي الحج سجدتان؟. قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما (٥).

---

(١) سورة الحج: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) الأعنة ـ جمع عنان ـ: الجبال، أو السيور التي تمسك بها الدابة.
اللسان ٢٩١/١٣ مادة عنن.

(٣) هو أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي الحمصي كان من فقهاء التابعين وأعيانهم، ولقي سبعين صحابياً، وموطنه بلاد الشام، ثقة في الرواية، مات سنة ثلاث ومائة، على خلاف في تاريخ وفاته.
راجع: تذكرة الحفاظ ٠/٣/١ والخلاصة ص ١٠٣. وشذرات الذهب ١٢٦/١. وطبقات الحفاظ ص ٣٦.

(٤) هذا حديث مرسل، لأن خالد بن معد أن لم يسمع من رسول الله ﷺ ولم يعاصره، ورواه أبو داود في المراسيل كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢١١/٣.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢١/١ عن عقبة بن عامر مرفوعاً من طريق ابن لهيعة ومشرح بن عاهان، وسكت عليه.
وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢١١/٣: أن أبا داود قال في مرسل خـالد بن معدان: وأسند من غير هذا الوجه، ولا يصح.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن ٥٨/٢ حديث رقم ١٤٠٢.
وصحيح الترمذي: كتاب السفر، باب في السجدة في الحج ٤٦/٢.
حديث رقم ٥٧٥.

وقال أبو عبيد: فلا يقرأها.

وهذا الحديث إنما ضعفوه بابْنِ لهيعة، ومشرح بن هاعان، وليس ضعفهما فاحشاً، بل هما ممن يحسن لهما، فقد أثنى على كل منهما غير واحد.

وقال شيخنا[(١)] في تقريبه ـ وهو لا يذكر إلا زبدة الأقوال ـ قال في ابن لهيعة: صدوق[(٢)]، وفي مشرح مقبول[(٣)]، وبين في خطبة كتابه: أن من يقول فيه ذلك لا يطلق عليه ضعيف[(٤)]، فحديثهما حسن[(٥)]، وأقل ما فيه أنه مقوّ لحديث عمرو بحيث يصير صحيحاً لغيره، أو قريباً من ذلك جداً.

ولأبي داود، وابن ماجة، والحاكم ـ قال النووي في شرح المهذب: باسناد حسن[(٦)] ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ خمس عشر سجدة في القرآن، منها ثلاثة في المفصل[(٧)] وفي سورة الحج سجدتان[(٨)].

---

(١) يعني به شيخه الحافظ ابن حجر.

(٢) تقريب التهذيب ١/٤٤٤ الترجمة رقم ٥٧٤.
وقال الذهبي في المغنى ١/٣٥٢: ضعيف.

(٣) تقريب التهذيب ٢/٢٥٠ الترجمة رقم ١١٤٣.
وقال الذهبي في المغنى ٢/٦٥٩: صدوق، لينه ابن حبان.
وفي الميزان ٤/١١٧: عن ابن معين: ثقة.
وذكر العقيلي: أنه ممن جاء مع الحجاج إلى مكة، ونصب المنجنيق على الكعبة.

(٤) تقريب التهذيب ١/٥.

(٥) وقال المنذري في مختصر السنن ٢/١١٧: لا يحتج بحديثهما.

(٦) المجموع ٤/٦٣.

(٧) أول المفصل سورة ق على الصحيح.

(٨) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن ٢/٥٨ حديث رقم ١٤٠١.
وسنن ابن ماجة: كتاب اقامة الصلاة، باب عدد سجود القرآن ١/٣٣٥ حديث رقم ١٠٥٧.
والمستدرك للحاكم: كتاب الصلاة، باب خمس عشرة سجدة في القرآن ١/٢٢٣ وقال: هذا حديث رواته مصربون قد احتج الشيخان بأكثرهم.

وروى عبد الرزاق في جامعه، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، أن عمراً وابن عمر، رضي الله عنهما، كانا يسجدان في الحج سجدتين.

قال: وقال عمر[١] رضي الله عنه: فضلت بسجدتين[٢].

وروى عبد الرزاق ـ أيضاً ـ عن الثوري، وأبو عبيد بن مروان بن معاوية[٣] كلاهما عن عاصم بن سليمان[٤]، عن أبي العالية[٥]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فضلت سورة الحج بسجدتين[٦].

---

(١) عند عبد الرزاق: ابن عمر.
وكذا عند البيهقي في السنن ٢/٣٧١.

(٢) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب كم في القرآن من سجدة ٢/٣٤١ حديث رقم ٥٨٩٠.
ورواه البيهقي في السنن ٢/٣١٧.

(٣) هو أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري، الكوفي، روى عنه أحمد واسحق، وابن معين وابن المديني. توفي سنة ١٩٣ هـ.
قال صاحب الخلاصة: واسع الرواية جداً.
وقال الذهبي في الميزان: ثقة عالم، صاحب حديث، لكن يروي عمن دب ودرج، فيستأني في شيوخه.
راجع: الخلاصة ص ٣٧٣. والميزان ٤/٩٣ الترجمة رقم ٨٤٣٧.

(٤) هو التميمي البصري الأحول، المتوفي سنة ١٤١، روى عن أنس والشعبي وأبي عثمان النهدي، وعنه خلائق لا يحصون، كان من الحفاظ الثقات.
راجع: الخلاصة ص ١٨٢.

(٥) اسمه زياد بن فيروز، روى عن ابن عباس وابن عمر، وجماعة وثقة أبو زرعة، مات سنة ٩٠ هـ.
راجع: الخلاصة ص ٤٥٣.

(٦) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب كم في القرآن من سجدة ٢/٣٤٢ حديث رقم ٥٨٩٤.

وروى أبو عبيد في الفضائل، فقال: حدثنا هشيم[1]، أنا منصور[2]، عن ابن سيرين، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سجد في الحج سجدتين وقال: إنْ هذه السورة فضلت على السور بسجدتين.

ولأبي عبيد عن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال: ﴿ **أذن للذن يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾[3]، ثم ذكر القتال في آي كثيرة. انتهى[4].

ومثله لا يقال من قبل الرأي.

---

(١) هو أبو معاوية هشيم بن بشير السلمي الواسطي الحافظ، نزيل بغداد، روى عن الزهري وعمرو بن دينار وجماعة، وعنه أحمد وشعبة، والثوري وخلائق، كان ثقة حجة، توفي سنة ١٨٣ عن تسع وسبعين سنة.
راجع: الخلاصة ص ٤١٤.

(٢) هو أبو الحسن منصور بن المهاجر البزوري ـ بضم الباء والزاي الخفيفة ـ الواسطي، بيّاع القصب، روى عن هشيم، وعنه اسحاق بن وهب.
راجع: الخلاصة ٣٨٨.

(٣) سورة الحج: آية ٣٩.

(٤) وروى مثله عن ابن عباس.
أخرجه الترمذي ٥/٧.
والنسائي ٦/٢.
قال ابن كثير ٣/٢٢٥: واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية.

سورة المؤمنون

مكية اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة منها

وآيها مائة وثماني عشرة في الكوفي، وتسع عشرة عند الباقين. اختلافها آية.

﴿ **وأخاه هارون** ﴾[1]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل ولم يعد باجماع، ثلاثة مواضع:[2] ﴿ **مما تأكلون** ﴾[3]، ﴿ **وفار التنور** ﴾[4]، ﴿ **عذاب شديد** ﴾[5]. رويها: نم.

---

(١) الآية: ٤٥.

(٢) في كتاب البيان ـ للداني (ورقة: ٦٠) موضعان فقط الثاني والثالث.

(٣) الآية: ٣٣.

(٤) الآية: ٢٧.

(٥) الآية: ٧٧.

مقصودها

مقصودها: اختصاص المؤمنين بالفلاح.

واسمها واضح الدلالة على ذلك[1].

---

(١) سورة «المؤمنون» اسمها يدل عليها، ويحدد موضوعها الذي تتناوله فهي تبدأ ببيان صفات المؤمنين:
«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون... والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون».
ثم يستطرد السياق فيثني بذكر دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا، وبعد ذلك ينتقل من الحياة البشرية إلى الدلائل الكونية: في خلق السموات، وفي إنزال الماء، وإنبات الزرع والثمار ثم إلى الأنعام المسخرة للإنسان، والفلك التي يحمل عليها وعلى الحيوان.

وبعد عرض هذه الدلائل الإيمانية، يأتي بيان حقيقة الإيمان، وهي حقيقة واحدة توافق عليها الرسل جميعاً من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ: «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره». وكان اعتراض المكذبين دائماً يتمثل في قولهم: «ما هذا إلا بشر مثلكم». «ولو شاء الله لأنزل ملائكة»... «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون».
وينتهي السياق بنداء الرسل جميعاً: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».
وتنتهى السورة ببيان مشهد من مشاهد الآخرة، يلقي فيه المشركون جزاء تكذيبهم، وبيان أن الله هو الواحد الأحد، رب العرش الكريم الغفور الرحيم: «فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون، وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين».
فالسورة: سورة المؤمنون: أوْ هِيَ سورةُ الإيمان، بكل قضاياه وصفاته ودلائله، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل.
راجع: الظلال ٤/٢٤٥٢.

فضائلها

وأما فضائلها: (فروى)[1] عبد الرزاق في جامعه، والإمام أحمد من طريقه وعبد بن حميد في مسنده، والترمذي عن عبد، عن عبد الرزاق، والنسائي في الصلاة والتفسير، والبيهقي في كتاب الدعوات، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عنده وجهه كدوي[2] النحل، فنزل عليه يوماً، فمكثنا ـ وفي رواية: فسكتنا ـ ساعة، فسرّى عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا[3]، وأرض عنا وأرضنا، ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات، من أقامهن[4] دخل الجنة ثم قرأ: «قد أفلح المؤمنون» حتى ختم عشر آيات[5].

---

(١) ساقطة من: د.

(٢) الدوى: صوت لا يفهم منه شيء.

(٣) أي اختزنا برحمتك وإكرامك، ولا تؤثر علينا غيرنا بلطفك وحمايتك.

(٤) أي داوم عليهن، وعمل بما فيهن.

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٣ حديث رقم ٦٠٣٨.
ومسند الإمام أحمد ١/٣٤.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنين ٥ /٨.
حديث رقم ٣٢٢٢.
ومدار هذا الحديث عندهم على يونس بن سليم الصنعاني عن الزهري ويونس ضعيف الرواية عن الزهري.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٢٣٧ :وقال: قال الترمذي :منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ويونس لا نعرفه.
وما نسبه ابن كثير إلى الترمذي غير موجود في صحيحه، وإنما نسبه الذهبي في الميزان ٤/٤٨١ إلى النسائي، وضعّف يونس بهذا الحديث ورواه الترمذي من وجه آخر عن يونس بن سليم، عن يونس بن يزيد عن الزهري به، وقال: هذا أصح من الحديث الأول.

ولابن السني عن محمد[1] بن ابراهيم، عن أبيه هو ابراهيم بن الحارث ابن خالد التيمي، رضي الله عنه قال: وجهنا رسول الله ﷺ في سرية، فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وأصبحنا: ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا** ﴾[2]، فغنمنا وسلمنا[3].

ولابن السني ـ أيضاً ـ، وأبي عبيد في الفضائل، وابن أبي حاتم في تفسيره، وأبي يعلى الموصلي فيالجزء الرابع والعشرين من مسنده والبغوي في تفسيره، والبيهقي في الدعوات، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسولالله ﷺ: ما قرأت في أذنه؟. قال: (قرأت)[4]: ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا** ﴾ حتى فرغ من آخر السورة، فقال رسولالله ﷺ: لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال[5].

= ويونس بن يزيد: هو الأيلي الأموي المتوفى سنة ١٥٩ صاحب الزهري ترجم له الذهبي في الميزان ٤/٤٨٤، وقال: ثقة حجة، وحكى عن الأثرم: أن أحمد ضعفه، وذكر الخزرجي في الخلاصة ص ٤٤١: أن ابن سعد قال: ليس بحجة، ربما جاء بالشيء المنكر.

(١) روى عن أبيه وجابر وعائشة وأنس، وجمع من الصحابة، وعنه روى الأوزاعي وطائفة، وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وضعفه أحمد وقال: يروي أحاديث مناكير. مات سنة ١١٩. وقيل: سنة ١٢٠,

راجع: طبقات الحفاظ ص ٤٨ الترجمة رقم ١٠٦.

(٢) الآية: ١١٥ من السورة.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٣٩ حديث رقم ٧٦.

(٤) زيادة عن ابن السني.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٢٣٦ حديث رقم ٦٣٦.

وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٦/٤٧.

قال السيوطي في اللآلىء ١/١٢٨: رجاله رجال الصحيح، سوى ابن لهيعة وحنش، وحديثهما حسن، أ هـ.

والحديث رواه أبو نعيم والخطيب وابن أبي حاتم وابن مردويه بطرق مختلفة، لكن مداره عندهم على ابن لهيعة، وفيه مقال.

راجع: اللآلىء ١/١٢٨، وتاريخ بغداد ١٢/٣١٣، والحلية ١/٧.

وروى أبو نعيم في الحلية، عن محمد بن ابراهيم بن الحارث، هو ابن خالد التيمي القرشي، عن أبيه رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، وأمرنا أن نقول إذا أمشينا وأصبحنا: «أفحسبتم» الآية، فَقَرأْنَاهَا فغنمنا وسلمنا.

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي، من حديث عبدالله ابن السائب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ بعض سورة المؤمنين، فلما انتهى إلى ذكر موسى وهارون (١)، قطع وركع (٢).

وعلقه البخاري (٣).

وفي رواية: صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة (٤) فاستفتح سورة

---

(١) الآية: ٤٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ١٧٧/٤.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل ١٧٥/١ حديث رقم ٦٤٩.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب قراءة بعض السورة ١٧٦/٢ وفي السند عند مسلم: أخبرني أبو سلمة بن سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن المسيب العابدي، عن عبد الله بن السائب.
قال النووي في شرح مسلم ١٧٧/٤: «ابن العاص» غلط، والصواب حذفه، وليس هذا عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي، بل هو عبد الله بن عمرو الحجازي، كذا ذكره البخاري في تاريخه (١٥٢/٥ ترجمة رقم ٤٦١)، وابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ١١٧/٥ ترجمة رقم ٥٣٣)، وخلائق من الحفاظ المتقدمين والمتأخرين. أ هـ.
وسمَّاه عبد الرزاق: «عبد الله بن عمرو بن عبد القارى» المصنف ١٠٢/٢، ١١٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الجمع بين السورتين في الركعة ١٨٨/١.
لكن البخاري أسنده في التاريخ ١٥٢/٥
وأشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الاصابة ٣٠٦/٢ في ترجمة عبد الله بن السائب.

(٤) في الإصابة لابن حجر ٣٠٦/٢: أن ذلك كان في فتح مكة.

المؤمنين، حتى جاء ذكر موسى وهارون ـ أو ذكر عيسى[1] ـ شك الراوي[2] ـ أخذته سعلة فركع[3].

ورواه عبد الرزاق في جامعه، عن عبدالله بنالسائب[4] رضي الله عنه قال: صلى بنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح بسورة المؤمنين، حتى إذا جاء موسى وهارون ـ أو ذكر عيسى، ابن عباد[5] يشك أو اختلفوا عليه ـ أخذت النبي ﷺ سعلة، فحذف فركع[6].

وروى مسلم والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤنين بما أمر به المسلمين فقال: ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم** ﴾[7]، وقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما**

---

(١) يعني قوله تعالى: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» الآية: ٥٠.

(٢) سيأتي في رواية عبد الرزاق: أنه ابن عباد.

(٣) هذه رواية مسلم في صحيحه ١٧٧/٤. وأبي داود في سنة ١٧٥/١

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله المخزومي، كان من قراء القرآن، أخذ عنه مجاهد، له سبعة أحاديث، انفرد مسلم بواحد منها، مات في إمارة ابن الزبير وصلى عليه ابن عباس.
راجع: الإصابة ٣٠٦/٢ . والخلاصة ص ١٩٨.

(٥) هو محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة المخزومي المكي، يروي عن عائشة وأبي هريرة، وابن عمر، وجماعة من الصحابة، ويروي عنه الزهري وابن جريج، وطائفة، وثقة ابن معين.
راجع: الخلاصة ٣٤٣.

(٦) المصنف: كتاب الصلاة، باب كيف القراءة في الصلاة وهل يقرأ ببعض السورة ١٠٢/٢ حديث رقم ٢٦٦٧: وباب القراءة في صلاة الصبح ١١٢/٢ حديث رقم ٢٧٠٧.
ومعنى «فحذف فركع»، أي ترك القراءة فركع.

(٧) سورة المؤمنون: آية ٥١.

رزقناكم ﴾[1]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فَأَنَّى يستجاب لذلك[2].

(١) سورة البقرة: آية ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة ٩٩/٧ وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ٢٨٨/٤ حديث رقم ٤٠٧٤.

سورة النور

مدنية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها ستون وآيتان في المدنيين والمكي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **بالغد والآصال**﴾[1]، ﴿ **يذهب بالأبصار** ﴾[2]، لم يعدهما المدنيان والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع: موضعان:

﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾[3]، بعده في الدنيا والآخرة.

(١) الآية: ٣٦.
(٢) الآية: ٤٣.
(٣) الآية: ٢٠.

﴿ تمسسه نار ﴾[1].

وعكسه: ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ورويها: لم نرب.

فالباء: «حساب»[3]، «الحساب»[4].

مقصودها

ومقصودها: مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه: أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه اثبات الأمور على غاية الحكمة اللازم منه تأكيد الشرف للنبي ﷺ، اللازم منه شرف من اختاره سبحانه لصحبته، على منازل قربهم منه، واختصاصهم به، اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي مات النبي ﷺ وهو عنها راض، ثم ماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة[5]، وهذا هو المقصود بالذات، ولكن اثباته محتاج إلى تلك المقدمات[6].

---

(١) الآية: ٣٥.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) الآية: ٣٨.

(٤) الآية: ٣٩.

واللام: «يسبح له فيها بالغدو والأصال» الآية: ٣١. وباقي الروى مكرر في السور.

(٥) في د: مؤمنة.

(٦) هذه السورة مدنية النزول، فطابعها هو طابع السور المدنية التي تتناول الأحكام التشريعية، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي أن يربي عليها المسلمون أفراداً وجماعات.

والمحور الأصلي الذي تدور عليه السورة، هو محور التربية، التي تشتد أحياناً الى درجة الحدود والعقوبات، وترق أحياناً الى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة التي تصل القلب بنور الله، وتربطه بآياته المبثوثة في رحاب هذا الوجود، والهدف واحد في الشدة واللين، وهو يتمثل في تربية الضمائر، ووصل القلوب بنور الله، فالله هو مصدر النور =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود عنعائشة رضي الله عنها - وذكرتالأفك - قالت: جلس رسول الله ﷺ، وكشف عن وجهه، وقال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، إن الـذين جاءوا بـالأفك عصبـة منكم[1] الآية[2].

= الأول الـذي أشرقت بـه الظلمـات، في السموات والأرض وأشـرقت به القلوب والضمائر، والنفوس والأروراح.

فقد ذكرت السورة كثيراً من الآداب الاسلامية، كالاستئذان عند دخول البيوت وغض الأبصار، وحفظ الفروج. ومنع اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات، وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من التصون والعفاف، والاستقامة على منهج الله، صيانة لحرمتها وحفاظاً عليها مَن عوامل التفكك والانهيار.

كما ذكرت بعض الحدود الشرعية التي فرضها عز وجل، كحد الزنا وحد القذف، مع بيان علة التشديد في اقامة الحدود، وبيان الحكم في قذف الزوجات وهو الملاعنة، وكذلك حكم قذف أمهات المؤمنين.

كما عرضت السورة الى آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيـوت بين الأقـارب والأصدقاء، والى آداب الجماعة كلها مع نبيهاﷺ.

راجع: الظلال ٤/٢٤٨٦. وصفوة التفاسير ١٠/٥.

(١) سورة النور: آية ١١.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ١/٢٠٨ حديث رقم ٧٨٥.

قال أبو داود: هذا حديث منكر، قد روى هذا الحديث جماعة عن الزهري لم يذكروا هذا الكلام على هذا الشرح... وأخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد.

قال المنذري في مختصر السنن ١/٣٧٩: وحميد - هذا - هو أبو صفوان حميد بن قيس المكي الأعرج، احتج به الشيخان.

قال العلامة ابن القيم في تهذيب السنن ١/٣٧٩: وانما علته أنه من رواية قطن بن نسير، عن جعفر بن سليمان، عن حميد، وقطن - وان كان روى عنه مسلم - فكان أبو زرعة يحمل عليه ويقول: روى عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس أحاديث مما أنكر عليه وجعفر - أيضاً - مختلف فيه، اهـ.

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير عن شقيق[١]، وأبو عبيد عن أبي وائل[٢] قال كل منهما: استعمل علي بن أبي طالب ابن عباس - رضي الله عنهم - على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعهـا الترك والـروم لأسلموا، ثم قرأ سورة النور، فجعل يفسرها[٣].

وفي رواية: شهدت ابن عباس رضي الله عنهما، وولى الموسم، فقرأ سورة النور على المنبر ثم فسرها، لو سمعته الروم لأسلمت[٤].

ولابن جرير عن أبي وائل قال: ولى ابن عباس رضي الله عنهما الموسم فخطبهم فقرأ على المنبر سورة النور، والله لو سمعتها الترك لأسلموا[٥].

وله عن شفيق بن سلمة - أيضاً - قال: قرأ ابن عباس رضي الله عنهما سورة البقرة، فجعل يفسرها، فقال رجل: لـو سمعت هذا الديلم لأسلمت[٦].

وقال بعض العلماء في آيات الأفك: إنها أرجى ما في القرآن، لأن الله عظم شأن الأفك، وتوعد عليه غايةالوعيد، وجعله منافياً للأيمان، ثم أمر

---

(١) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي، من سادة التابعين روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن عباس وطائفة، وكان من الثقات الأمناء، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، سنة ٨٢ هـ.
راجع: الخلاصة ص ١٦٧. وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٠. وتاريخ بغداد ٢٦٨/٩.

(٢) هو عبد الله بن بحير - بوزن فعيل - أبو وائل المرادي الصنعاني وثقة ابن معين.
راجع: الخلاصة ص ١٩١.

(٣) تفسير ابن جرير ١/ ٣٦.
وتهذيب الآثار ١/ ١٨٠ حديث رقم ٢٨٨.
ورواية التهذيب من طريق جابر بن نوح الحماني، الكوفي، امام مسجد بني حمّان، المتوفي سنة ٢٠٣ ه وهو ضعيف جداً لا يعتد به.
راجع: الخلاصة ص ٥٩.

(٤، ٥) تفسير ابن جرير ١/ ٣٦.

(٦) تفسير ابن جرير: الموضع السابق.
من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وهو حجة. (الخلاصة ص ٢٣٥).

بالعطف على بعض من وقع فيه، ووصفهم بالقرابة والمسكنة والهجرة، وندب إلى الانفاق والعفو عنهم والصفح.

وروى عبد بن حميد عن جابر رضي الله عنهقال: قال رسول الله ﷺ: إذا أتى أحدكم باب حجرته فليسلم، فإنه يرجع قرينه الذي معه من الشيطان، فإذا دخلتم حجركم فسلموا يخرج ساكنها من الشياطين، فإذا رحلتم فسلموا على أول حلس[1] تضعونه على دوابكم، لا يشرككم في مركبها الشيطان، فإن أنتم لم تفعلوا شرككم، وإذا أكلتم فسموا حتى لا يشرككم في طعامكم، ولا تبيّتوا القمامة معكم في حجركم فإنها مقعدة[2].

وروى أبو عبيد عن أبي عطية[3] قال: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: أن علموا نساءكم سورة النور[4].

وعن الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل، وسورة النور، يعني النساء[5].

---

(١) الحلس: هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.
راجع: النهاية ١/٤٢٣.

(٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠١ وقال: هذا حديث غريب الإسناد والمتن.
ووافقه الذهبي في التلخيص.
وآفتة من محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي، قال أبو داود: كذاب وقال الدار قطني وغيره: منكر الحديث (الميزان ٣/٥١٤ الترجمة رقم ٧٣٨٠).

(٣) إن كان هو أبو عطيّة الوادعي صاحب ابن مسعود، فهو ثقة.
وان كان الذي يروي عن مالك بن الحويرث، فهو مجهول لا يعرف. وخبره منكر.
راجع: الميزان ٤/٥٥٣. والمغني ٢/٧٩٨.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٩٥ عن المسور بن مخرمة سماعاً من عمر رضي الله عنه بأطول من هذا، وقال: صحيح على شرط الشيخين. وافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٩٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قال الذهبي في التلخيص: موضوع، آمنة عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب، =

وروى البزار ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[1] ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، لو رأيت مع أم رومان[2] رجلاً ما كنت فاعلاً به؟. قال: كنت والله فاعلاً به شراً، قال: فأنت يا عمر؟. قال: كنت والله قاتله، كنت أقول: لعن الله الأعجز، فإنه خبيث. قال: نزلت: ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم** ﴾[3].

وللطبراني في الأوسط ـ قال الهيثمي: ورجاله ثقات[4] ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وآوتهم الأنصار رضي الله عنهم، رمتهم العرب عن قوس واحدة فنـزلت

= قلت: وعبد الوهاب ـ هذا ـ هو ابن الضحاك الحمصي العرضي، ويكنى أبا الحارث السلمي. قال البخاري: عنده عجائب، وقال الدر قطني: «منكر الحديث». وترجمته في الميزان ٢/٦٧٩، والمغني ٢/٤١٢.

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٩٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن ابراهيم الشامي. قال الدار قطني: كذاب.

(١) مجمع الزوائد ٧/٧٤.

(٢) هي أم رومان زينب ـ وقيل: دعد ـ بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس زوجة أبي بكر الصديق رضي الله عنها، أسلمت قديماً وبايعت وهاجرت، وهي أم عبد الـرحمن وعائشة. توفيت سنة ست من الهجرة على خلاف في ذلك.

راجع: الإصابة ٤/٤٣٢. والاستيعاب على هامش الإصابة ٤/٤٣٠.

(٣) الآية: ٦.

والصواب أن الآية إنما نزلت في هلال بن أمية لما قذف زوجته بشريك بن سحماء كما في صحيح البخاري وغيره، وورد في البخاري أيضاً: أنها نزلت في عويمر العجلاني.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٤٥٠: وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد، وقد جنح النووي الى هذا، وسبقه الخطيب، اهـ.

(٤) مجمع الزوائد ٧/٨٣.

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾، الآية[1].

(١) الآية: ٥٥.

سورة الفرقان

مكية اجماعاً.

وقال أبو حيان: وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات نزلن في المدينة، وهي[1]: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر. إلى قوله: وكان غفوراً رحيماً ﴾[2].

(وتقدمه إلى نقل ذلك ابن الجوزي[3]، وهو مروى عن ابن عباس في الطبراني الآوسط، في ترجمة محمد بن عبد الله الحضري[4] قال: قرأناها على

---

(١) الآيات: ٦٨ ـ ٧٠.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٦/٤٨٠.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٦/٧١.
(٤) هو الحافظ الكبير أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضري الكوفي، له مسند وكتاب «التاريخ الصغير» كان ثقة ثبتا، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين عن ٩٥ سنة. راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٦٢. والميزان ٣/٦٠٧. وطبقات الحفاظ ص ٢٨٨.

عهد رسول الله) ﷺ سنين: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ـ الآية: ثم نزلت: ﴿ إلا من تاب وآمن ﴾[٢]، فما رأيت رسول الله ﷺ فرح فرحاً قط أشد منه بها، وبانا فتحنا لك فتحاً مبيناً[٣].

ومعلوم: أن ابن عباس ما هاجر إلا مع أبيه قبل الفتح بقليل[٤].

مقصودها

ومقصودها: إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بما له سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سوى من أنزله فهو الحق، وما سواه باطل.

وتسميتها بالفرقان، واضح الدلالة على ذلك، فإن الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحق من الباطل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة، فلا يكون لأحد على الله حجة، ولله الحجة البالغة[٥].

لكن في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يرده، فإنه لما

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) آية: ٧٠.

(٣) قال الهيثمي ٧/٨٤: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) خرج العباس بأولاده مهاجراً في رمضان، فلقي رسول الله وأصحابه بالجحفة متوجهاً الى مكة ليفتحها. (سيرة ابن هشام ٣/٤٠٠).

(٥) سورة الفرقان مكية النزول: ومقصودها الأصلي: الايناس لرسول الله ﷺ والتسرية عنه، وتطمين له، وتقوية لقلبه، وهو يواجه المشركين المعاندين الذين جنحوا عن الحق والهدى الى الباطل والضلال.
فالسورة تصور مدى عنف المعركة التي كان يواجهها رسول الله ﷺ في ذلك المجتمع العنيد، وأبناءه الذين شاقوا الله ورسوله، فقالوا عن القرآن العظيم: ﴿ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾.
=

قال: إن القاتل لا توبة له، احتج عليه بهذه الآية، فقال: هذه مكية في المشركين، والنساء مدنية[1].

= «أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلاً».
وقالوا عن الرسول ﷺ:
﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً﴾.
وفي سخرية واستهزاء قالوا: «أهذا الذي بعث الله رسولاً».
واعترضوا على حظه من المال فقالوا: «أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها».
واعترضوا على طريقة تنزيل القرآن فقالوا: «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة».
بل انهم تطاولوا على الله عز وجل: «واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً».
ففي السورة كما ترى تسرية عن رسول الله ﷺ وتهوين عليه مشقة ما يلقاه من عنت القوم وسوء أدبهم، ولذا فان الله سبحانه وتعالى يعزيه عن استهزائهم بتصوير المستوى الهابط الذي ينحدرون اليه ويتمرغون فيه: «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً. أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً».
ثم ان الله تبارك وتعالى يعده بالعون والمساعدة اذا ما جادلوه أو حاججوه: «ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً». كما يكلفه بالصبر على أذاهم، وتحمل عنتهم وتطاولهم عليه، ويتوكل دائماً على ربه القوى العزيز، الذي يغلب ولا يغلب، ويقهر ولا يقهر، وينصر أولياءه فلا يخزلهم، وأن يتسلى ويتأسى بأخوانه من الأنبياء والمرسلين:
﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين، وكفى بربك هادياً نصيراً﴾.
﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً﴾.
وفي خلال السياق تعرض السورة مصارع المكذبين أمثال هؤلاء وما لقوه ـ ويلقونه ـ من سوء المصير، فتعرض لطرف من قصة موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس، وما بين ذلك من قرون، وتهديد لهؤلاء وهؤلاء: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾.
راجع: الظلال ٥/٢٥٤٤. =

(١) صحيح مسلم: كتاب التفسير ١٨/١٦٠.

عدد آياتها وفواصلها

وآيها سبع وسبعون آية من غير اختلاف.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعدّ باجماع، تسعة مواضع:

﴿ولم يتخذ ولداً﴾[1]، ﴿وهم يخلقون﴾[2]، ﴿قوم آخرون﴾[3]، ﴿أساطير الأولين﴾[4]، ﴿وعد المتقون﴾[5]، ﴿ما يشاؤون خالدون﴾[6]، ﴿صرفا ولا نصراً﴾[7] ﴿في السماء بروجاً﴾[8]، ﴿على الأرض هوناً﴾[9].

وعكسه موضعان:

﴿ضلوا السبيل﴾[10]، ﴿ظلماً وزوراً﴾[11].

ورويها: برّنمل[12].

= قال النووي في شرح مسلم ١٨/١٥٩: هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى عنه أن له تولة وجواز المغفرة له لقوله تعالى: ﴿ومن يعمل سؤاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾. وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم. وما روى عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل، والتورية في المنع منه.

(١) الآية: ٢.

(٢) الآية: ٣.

(٣) الآية: ٤.

(٤) الآية: ٥.

(٥) الآية: ١٥.

(٦) الآية: ١٦.

(٧) الآية: ١٩.

(٨) الآية: ٦١.

(٩) الآية: ٦٣.

(١٠) الآية: ١٧.

(١١) الآية: ٤.

(١٢) الباء: «متابا ٧١، والنون: مهاناً ٦٩، عمياناً ٧٣».

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الجماعة: مالك، والشيخان، والأربعة، وابن جرير في مقدمة التفسير، وأبو عبيد في كتاب الفضائل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاختلفت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ.

وفي رواية أبي عبيد)[1]: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان رسول الله ﷺ أقرأنيها فكدت أساوره[2] في الصلاة، فتربصت[3] حتى سلم، فلببته[4] بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟. قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أَقْرَأَنِيهَا على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله[5]، أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال النبي ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، آه هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه[6].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: د.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٢/٤٢٠: أي أُوَاثِبُه وأقاتله، ومنه قصيدة كعب بن زهير:

اذا يساور قرنا لا يحل له ... أن يترك القرن إلا وهو مجدول

(٣) في صيح البخاري: فتصبرت. وفي الترمذي: فنظرت.

(٤) قال النووي في شرح مسلم ٩٨/٦: هو بتشديد الباء الأولى معناه: أخذت بمجامع ردائه في عنقه، وجررته به، مأخوذاً من اللبة ـ بفتح اللام ـ لأنه يقبض عليها.

وراجع النهاية ٢٢٣/٤.

(٥) اتركه.

(٦) موطأ الإمام مالك: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ٢٠١/١ وصحيح =

قال أبو عبيد في رواية: قال ابن شهاب في الأحرف السبعة: هي في الأمر الواحد الذي لا اختلاف فيه(١).

فيا له من حديث ما أشرفه وأجله، وأرفع قدره ومحله، فرق به الفاروق في سورة الفرقان بين الحق والباطل.

وقد تقدم في سورة النحل ما مضى في الفضائل العامة كثير مما ينضم إلى هذا الحديث(٢).

وروى ابن جرير عن (ابن)(٣) عمر رضي الله عنهما قال: سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ القرآن، فسمع آية على غير ما سمع من النبي ﷺ، فأتى به عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا قرأ آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها كاف شاف(٤).

وروى الامام أحمد، وابن جرير، عن اسحاق(٥) بن عبد الله بن أبي

= البخاري: كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ١٠٧/٣. وكتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٢٢٧/٦.
وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٩٨/٦.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ١٥٠/٢ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٤ /٢٦٣ حديث رقم ٤٠١٤.

(١) غريب الحديث ١٦١/٣.
(٢) راجع.
(٣) ساقطة من: د.
(٤) تفسير ابن جرير ١٣/١.
وفي سنده عبد الله بن ميمون القداح المكي، وهو متروك. الميزان ٥١٢/٢.
(٥) هو أبو يحيى اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ـ واسم أبي طلحة: زيد ـ بن سهل الأنصاري المدني، يروي عن أبيه وأنس والطفيل بن أبي بن كعب، وروى عنه سفيان =

طلحة عن أبيه، عن جده أبي طلحة قال: قرأ رجل عند عمر رضي الله عنه فغير عليه فقال: لقد قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير عليّ، قال: فاجتماع عند النبي ﷺ، فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: أحسنت. قال: فكأن عمر رضي الله عنه وجد في نفسه من ذلك، فقال النبي ﷺ: يا عمر أن هذا القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً، أو عذباً مغفرة(١).

قال الهيثمي: ورجاله ثقات(٢).

ولفظ ابن جرير: فاختصما عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا؟. قال: بلى، فوقع في صدر عمر شيء عرف النبي ﷺ ذلك في وجهه. قال: فضرب صدره وقال: أبعد شيطان، قالها ثلاثاً، ثم قال: يا عمر أن القرآن(٣) كله صواب، ما لم تجعل آية رحمة عذاباً، أو عذاباً رحمة(٤).

قال أبو عبيد: فقد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا حديثاً واحداً يروي عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف.

قال: ولا نرى المحفوظ إلا السبعة، لأنها المشهورة، انتهى(٥).

= ابن عيينة، ومالك قال ابن معين: ثقة حجة. وتوفي سنة ١٣٢، وقيل: سنة ١٣٤ ه‍.
راجع: الخلاصة ص ٢٩.

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٣٠. وتفسير ابن جرير ١/١٣.

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٥١.

(٣) في د: إن هذا القرآن. وما في الأصل موافق لما في تفسير ابن جرير.

(٤) تفسير ابن جرير ١/١٣.

(٥) ذكر في سورة النحل: أن أبا عبيد ذكر ذلك في كتاب الفضائل.

وقد تقدم في الفضائل العامة تأويل الحديث المذكور بما لا يخالف أحاديث السبعة[1].

قال ابن رجب: وروى ابن أبي الدنيا عن ابن أبي ذؤيب قال: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده: ﴿ **وإذا ألقوا منها مكاناً ضَيِّقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً** ﴾[2] فبكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، ودخل بيته، وتفرق الناس.

(١) راجع.
(٢) سورة الفرقان: آية ١٣.

سورة الشعراء

وتسمى: الظلة.

مكية:

قال الجعبري، قال عبد الكريم[1]: كلها. فقوله تعالى: ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾[2] إلى آخرها. في كافرين تهاجياً، واتبع كلا فريق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلا أربع آيات نزلت بالمدينة: ﴿ والشعراء ﴾ إلى آخرها، في شعراء النبي ﷺ: زيد وكعب، وابن رواحة.

والظاهر: أن الثلاث في الكافرين. والأخيرة في المسلمين.

---

(١) هو أبو معشر الطبري عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد، المقرئ قال ابن الجزري: شيخ أهل مكة، امام عارف، محقق، أستاذ كامل، ثقة صالح، توفي بمكة سنة ٤٧٨.
راجع: طبقات القراء ١/٤٠١ الترجمة رقم ١٧٠٨. الميزان ٢/٦٤٤.

(٢) الآية: ٢٢٤.

وقال أبو عمرو الداني: نزلن ـ أي الأربع الآيات ـ بالمدينة، في حسان ابن ثابت، وكعب بن مالك[1]، وعبد الله بن رواحة، شعراء رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم.

وهذا الذي قاله أبو عمرو هو الظاهر، وأما زيد فلا أدري من هو.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها مائتان وست وعشرون في المدني الأخير. والمكي، والبصري وسبع وعشرون في المدني الأول والكوفي والشامي.

اختلافها أربع آيات.

﴿ طسم ﴾[2] عدها الكوفي وحده.

﴿ **فلسوف تعلمون** ﴾[3]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **أينما كنتم تعبدون** ﴾[4]، بعده: «من دون»، لم يعدها البصري وعدها الباقون.

﴿ **ما تنزلت به الشياطين** ﴾[5]، لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد:

---

(١) هو أبو عبد الله ـ وقيل: أبو بشير، وقيل: أبو عبد الرحمن ـ كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين الأنصاري السّلمي، كان ممن بايع بالعقبة، وشهد بدرا وما بعدها، وكان ممن تخلف عن تبوك. ثم تاب الله عليه. مات بالشام في عهد معاوية. راجع: الاصابة ٣/٢٨٥. والاستيعاب على هامش الإصابة ٣/٢٧٠.

(٢) اية: ١.

(٣) الآية: ٤٩.

(٤) الآية: ٩٢.

(٥) الآية: ٢١٠.

﴿ فينا وليداً ﴾[1].

وعكسه موضعان:

﴿ معنا بني إسرائيل ﴾[2]، ﴿ من عمرك سنين ﴾[3].

ورويها: ملن.

اللام: أربع ﴿ إسرائيل ﴾[4].

مقصودها

ومقصودها: أن هذا الكتاب بيّن في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس.

ومن ذلك: بيان آخر التي قبلها، بتفصيله وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه ﷺ خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الايمان، وأن يشتد قصدهم لأتباعه بالأذى والعدوان، بما تفهمه «سوف» من طول الزمان، بالاشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان ورحمة من أراده للهـداية والاحسان.

وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك، بما يفارق به القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجة! وعزّ مرامه، وصدق وعده ووعيده، وعدل تبشيره وتهديده.

وكذا تسميتها بالظلة، إشارة إلى أنه أعدل في بيانه، وأدل في جمع

---

(١) ١٨.

(٢) الآية: ١٧.

(٣) الآية: ١٨.

(٤) الآية: ١٧، ٢٢، ٥٩، ١٩٧.

شأنه، من المقـادير التي دلت عليـه قصة شعيب عليـه السلام، بـالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة لمن يبارزه بالعصيان[1].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد، وأبو يعلي الموصلي، في مسنديهـما، عن معقل ابن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا إني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العـرش، وأعطيت المفصل نافلة[2].

---

(١) سورة الشعراء مكية، ومقصودها الأصلي: العقيدة ملخصة في عناصرها الأساسية: الدعوة الى توحيد الله عز وجل، والنهي عن الاشراك به: «فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين». ثم التصديق بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح المبين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾.
وللسورة صلة قوية بالسورة التي قبلها، يبدو ذلك جليا في مطلعها وهو حديث القرآن للنبي ﷺ عن تكذيب قومه ومعارضتهم لـدعوتـه، وتسليته عليـه الصلاة والسـلام، والتهوين عليه والسورة السابقة مليئة بالحديث عن مواقفهم المخزنة الطافحة بالايذاء لرسول الله ﷺ: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين».
وجسم السورة هو القصص الذي يشغل حيزاً كبيراً من مجموع آياتها والسورة هي هذا القصص مع مقدمة وتعقيب، وكل هذا وذاك وحدة متكاملة متجانسة، تدور حول موضوع السورة، وتبرزه في أساليب متنوعة، يقتصر السياق على ذكـر الحلقة ـ أو الحلقات ـ التي تؤدي هذا الغرض، وتومي اليه، ويغلب على هذا القصص ـ كما يغلب على السورة ـ جو الانذار والتكذيب، وذكر العذاب الذي يقع بأولئك المكذبين لرسلهم، ذلك لأن السورة تواجه مشركي قريش الذين كذبوا رسول الله ﷺ وآذوه، وتقولوا على الوحي والقرآن.
راجع: الظلال ٢٥٨٣/٥.
(٢) لم أعثر عليه في مسند معقل بن يسار عند أحمد.

وقد مضى مطولاً في سورة طه[(١)].

وروى الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال الهيثمي: ورجاله وثقوا، إلا أن على بن أبي طلحة قيل: أنه لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)] ـ قال: إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على لهدى، فأخبره الله عزّ وجل أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول، ثم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾[(٣)].

وروى أبو يعلي من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي[(٤)]، عن عبد الله بن عطاء ابن ابراهيم ـ قال الهيثمي: وكلاهما قد وثق، وضعفهما الجمهور[(٥)] ـ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾[(٦)] صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس: يا آل عبد مناف أني نذير (لكم)[(٧)]، فجاءته قريش، فحذرهم وأنذرهم، قالوا: تزعم أنك نبي يوحي إليك، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيى الموتى؟. فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال،

---

(١) راجع:
(٢) مجمع الزوائد ٧/٨٥.
(٣) الآيتان: ٣ ـ ٤.
(٤) في الأصل: «الأربلي». والتصويب عن التقريب ١/٤٦٦. والميزان ٢/٥٣٤. وتفسير ابن كثير ٣/٤٧.
(٥) مجمع الزوائد ٧/٨٥.
وراجع: الميزان ٢/٤٦٢ ترجمة رقم ٤٤٥٦، وص ٥٣٤ ترجمة رقم ٤٧٤٣. والتقريب ١/٤٣٤، ١/٤٦٦.
(٦) الآية: ٢١٤.
(٧) ساقطة من: د.

ويفجر لنا أنهاراً، فنتخذها محارث، فنزرع ونأكل، والا فادع الله فيحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم، فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سرى عنه قاف: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، إنه معذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فنزلت: **﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾**[1]، **حتى قرأ ثلاث آياتـ ونزلت: ﴿ ولو**[2] **أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ﴾**[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآيات **٥٩ ـ ٦١**.

(٢) سورة الرعد: آية **٣١**.

(٣) هذا الحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره **٤٧/٣** ولم يعلق عليه. وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس، وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري، وقُبَيْصَة بن مخارق، وزهير بن عمرو، وليس فيه ذكر لنزول آية الإسراء، وآية الرعد، وإنما الوارد نزول سورة: ﴿ تبت يد أبي لهب وتب ﴾إبَّانَ هذه الحادثة ردًا على أبي لهب الذي دعا على النبي ﷺ بقوله: تبًا لك يا محمد سائر هذا اليوم، ألهذا جمعتنا؟.

راجع: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية **١٦١/٤** عن ابن عباس وأبي هريرة. وكتاب التفسير، سورة الشعراء **١٦/٦** عن ابن عباس وأبي هريرة. وسورة سبأ **٢٩/٦** عن ابن عباس، وسورة تبت **٩٤/٦** عن ابن عباس.

وصحيح مسلم: كتاب الأيمان، باب وأنذر عشيرتك الأقربين **٧٩/٣** عن أبي هريرة وعائشة وزهير بن عمرو وقبيصة، وابن عباس.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة الشعراء **١٩/٥** عن عائشة وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري، وسورة تبت **١٢١/٥** عن ابن عباس. =

وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح[1]، عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر[2]، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك[3] ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك بن عمر وهو عزب، فكنت معه في بيت، فصلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ﴿ **أفرأيت أن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾[4]، فيبكي ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل

= وسنن النسائي: كتاب الوصايا، باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ٦/٢٤٨ عن أبي هريرة وعائشة.

والحديث بكل طرقه ورواياته في جامع الأصول لابن الأثير ٢/٢٨٦ حديث رقم ٧٣٩.

والحافظ ابن كثير في تفسير سورة الإسراء ٣/٤٧ وتفسير سورة الشعراء ٣/٣٤٩.

وأشار الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٥٠٢ إلى أن هذا الحديث من مراسيل الصحابة، وبذلك جزم الإسماعيلي، لأن أبا هريرة إنما أسلم بالمدينة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابن عباس كان حينئذ إما لم يولد، وإما طفلاً.

(١) هو أبو صالح عبد الله بن صالح بن مسلم، العجلي الكوفي، الحافظ ـ وابنه الحافظ أحمد ـ حدث عن حماد بن سلمة والليث بن سعد وطائفة، وكان ثقة، مات سنة ١١١ هـ.

راجع: الخلاصة ص ٢٠١.

(٢) هو أبو بكر عبيد الله بن أبي جعفر الكناني مولاهم، المصري الفقيه قال ابن سعد: فقيه زمانه، العابد العالم الزاهد الورع، وثقه أبو حاتم. مات سنة ١٣٦ هـ. (راجع: الخلاصة ٢٤٩).

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي، تولى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ، وكان عاقلاً فصيحاً، طموحاً إلى الفتح ومات بدابق، بعد أن قضى في الخلافة سنتين وثمانية أشهر (الأعلام ٣/١٩٢).

(٤) الآيات ٢٠٥ ـ ٢٠٧ من السورة.

ذلك حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم، لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني سكت، فلما أسمع له حسّاً.

وفي كتاب الاستغناء بالقرآن لابن رجب: وروى أبو نعيم عن عبد الله بن رباح[1] قال: كان صفوان بن محرز[2] إذا قرأ هذه الآية: ﴿ وسيعلم الـذين ظلمـوا أي منقلب ينقلبـون ﴾[3] بكى، حتى أقـول: قـد انـدق قضيض[4] زوره.

---

(١) هو أبو خالد عبد الله بن رباح الأنصاري المدني ثم البصري، روى عن أبي هريرة، وأبي بن كعب، وكان ثقة. (الخلاصة ص ١٩٦).

(٢) صفوان بن محرز ـ بضم الميم وإسكان الحاء المهملة بعدها راء مكسورة وآخره زاي معجمة ـ المازني البصري، روى عن عبد الله بن مسعود وأبي مسعود، كان ثقة فاضلاً ورعاً، مات سنة ١٧٤ هـ. وفي طبقات الحفاظ: سنة ٧٤ هـ.
راجع الخلاصة ص ١٧٤، تذكرة الحفاظ ١/٦٠، طبقات الحفاظ ص ٢١.

(٣) الآية: ٢٢٧ من السورة.

(٤) قال في النهاية ٤/٧٧: قال القتيبي: هو عندي خطأ من بعض النقلة وأراه «قصص زوره». ويحتمل إن صحت الرواية: أن يراد بالقصيص صغار العظام، تشبيهاً بصغار الحصى. اهـ.

سورة النمل

مكية كلها اجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وأيها تسعون وثلاث في الكوفي، وأربع في البصري والشامي، وخمس في المدنيين والمكي.

اختلافها آيتان:

﴿ **وأولوا بأس شديد** ﴾[١]، عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **من قوارير** ﴾[٢] لم يعدها الكوفي وحده.

---

(١) الآية: ٣١.

(٢) الآية: ٤٤.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً باجماع، ثلاثة مواضع:

﴿ طس ﴾[1]، ﴿ غير بعيد ﴾[2]، ﴿ وما يشعرون أيَّان ﴾[3].

ورويها: من.

مقصودها

ومقصودها: وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لاحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة.

فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: اظهار البطش والنقمة.

وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغة التأدية[4].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٢.

(٣) الآية: ٦٥.

(٤) هذه السورة مكية، نزلت بعد سورة الشعراء، وهي تمضي على نسقها في الأداء: مقدمة وتعقيب يتمثل فيهما موضوع السورة التي تهدف إليه، وقصص بين المقدمة والتعقيب يعين على تصوير هذا الموضوع وتأكيده.

والموضوع الرئيسي للسورة: هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وحساب وجزاء والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله، لا يعلمه أحد سواه، وتوجيه القلب إلى شكر نعم الله على البشر، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا الله.

ويأتي القصص في السورة لتثبيت هذه المعاني، وتصوير عاقبة المكذبين، وعاقبة المؤمنين، فتأتي حلقة من قصة موسى عليه السلام وهي الخاصة برؤيته للنار وذاهبه =

إليها، ونداء الله له وتكليفه بالرسالة، ثم يعجل السياق بذكر تكذيبهم بآيات الله وهم على يقين من صدقها، ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾، وهكذا شأن المشركين في مكة مع رسول الله ﷺ وآيات القرآن المبين. ثم تليها إشارة إلى نعمة الله على داود وسليمان، ثم قصة سليمان مع النملة ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، وفيها تبرز نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة، وهي نعمة العلم والملك والنبوة، ويبرز بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان وهو عبد من عباد الله، واستقبال قريش لكتاب رب العالمين وملكة سبأ وقومها يسلمون ويؤمنون، فأهل قريش يكذبون ويجحدون. ثم تليها قصة صالح مع قومه ثمود، ويظهر فيها تآمر المفسدين عليه وعلى أهله، وتبييتهم قتله، ثم مكر الله بالقوم، ونجاة صالح والمؤمنين معه: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾، وقد كانت قريش تتآمر على رسول الله ﷺ، وتبيت له كما بيتت ثمود لصالح وللمؤمنين.

ويختم القصص بقصة لوط مع قومه، وهمهم بإخراجه من قريتهم هو ومن معه من المؤمنين، وما أن خرج لوط وأتباعه حتى أمطر المكذبون لهباً دمرهم وبيوتهم.

فإذا انتهى القصص أخذ السياق يطوف معهم في مشاهد الكون لإقامة الأدلة على وجود الله، ووحدانية الصانع المدبر الخالق الرازق ثم عرض السياق أحد أشراط الساعة وبعض مشاهد القيامة.

ثم تختم السورة ختاماً يناسب مطلعها وموضوعها: ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين، وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

والمتأمل في السورة يجد أنها ركزت على صفة العلم، علم الله المطلق بالظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة.

ومن ثم يجيء في أول السورة: ﴿وإنك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم﴾.

وفي ثناياها: ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾.

﴿قل لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله. . .﴾.

﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: وفيه عبد الكريم أبو أمية(١) وهو ضعيف، ومن لم أعرفهم(٢) - عن بريدة(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تخرج من المسجد حتى أعلمك آية من سورة لم تنزل على أحد قبلي، غير سليمان بن داود عليهما السلام فخلأج النبي ﷺ حتى بلغ أسكفة الباب، قال: بأي شيء تستفتح صلاتك وقراءتك؟. قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: هي هي، ثم أخرج رجله الأخرى(٤).

= وفي الختام يجيء: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾.

راجع: الظلال ٥/٢٦٢٤.

(١) هو أبو أمية عبد الكريم بن قيس أبي الخارق، البصري المعلم، المتوفى سنة ١٢٦ روى عن أنس ومجاهد، وعنه روى السفيانان.

أخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم متابعة، وهذا يدل على أنه ليس بمتروك.

وخرج له مالك أيضاً، قال أبو الفتح اليعمري: لكن لم يخرج مالك عنه إلا الثابت من غير طريقه: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، وقد اعتذر لما تبين له أمره؛ وقال: «غرني بكثرة بكائه في المسجد» اهـ.

وعلى أي حال فالرجل فيه كلام، فقد ضعفه ابن معين. وقال أيوب: ليس بثقة.

راجع: الميزان ٢/٦٤٦، والخلاصة ص ٢٤٢، وتقريب التهذيب ١/٥١٦.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٨٧.

(٣) هو بريدة بن الحصيب - بالحاء والصاد المهملتين - بن عبد الله بن الحارث، الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ بالفحيم مهاجراً، ولم يشهد بدراً وشهد ما بعدها، توفي في خلافة يزيد بن معاوية، سنة ٦٣ هـ.

راجع: الإصابة ١/١٥٠.

الاستيعاب على هامش الإصابة ١/١٧٧.

(٤) وأخرجه ابن أبي حاتم، والدارقطني في سننه ١/٣١٠، من طريق عبد الكريم.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٦٢: هذا حديث غريب واسناده ضعيف.

سورة القصص

مكية كلها.

قال الجعبري وغيره: إلا ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾[1].

قال يحيى بن معاذ[2]: جاء جبريل إلى النبي ﷺ لما هاجر، وهو بالجحفة[3] فقال: يا محمد أتشتاق إلى بلادك التي ولدت فيها؟ فقال: نعم. فقال: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»[4].

---

(١) الآية: ٨٥.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الواعظ الزاهد، ولد بالري، وأقام في بلخ، ومات في نيسابور، وكان مرضي السيرة محمود في طريقته، عديم النظير في وقته، مات سنة ٢٥٨ هـ. الأعلام ٩/٢١٨.

(٣) الجحفة ـ بضم الجيم وسكون الحاء المهملة، بعدهما فاء ـ قرية كبيرة على طريق المدينة، تبعد عن مكة أربع مراحل.
(معجم البلدان ٢/١١١).

(٤) وروى ابن أبي حاتم من طريق سفيان عن الضحاك أنه قال: لما خرج النبي ﷺ من =

قال ابن الجووي: هذا قول ابن عباس، وروى عن الحسن وعطاء وعكرمة: أنها مكية كلها[1].

وقال البغوي، وابن الجوزي أيضاً، والأصفهاني: قال مقاتل: فيها من المدني[2]: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - : لا نبتغي الجاهلين** ﴾[3].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها ثمان وثمانون في جميع العدد، متفقة الاجمال، مختلفة الفواصل.

اختلافها آيتان:

﴿ **طسم** ﴾[4]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **ومن الناس يسقون** ﴾[5]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة موضع:

﴿ **امرأتين تذودان** ﴾[6].

وعكسه موضع:

مكة فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكةفأنزل الله عليه: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد». قال ابن كثير ٣/٤٠٣: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية، وإن كان مجموع السورة مكيا.

(١) زاد المسير ٦/٢٠٠.

(٢) الآيات: ٥٢ - ٥٥.

(٣) تفسير البغوي على هامش الخازن ٥/١٣٣. وزاد المسير ٦/٢٠٠.

(٤) الآية: ١.

(٥) الآية: ٢٣.

(٦) الآية: ٢٣.

﴿ من خير فقير ﴾[1].

ورويها: نرمل[2].

مقصودها

ومقصودها: التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشىء عن الايمان بالآخرة، الناشىء عن الايمان بنبوة محمد ﷺ الثابتة بإعجاز القرآن، المظهر للخفايا، على لسان من لم يتعلم قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به.

وذلك هو المأخوذ من تسميتها بالقصص، الذي حكم لأجله شعيب بعلو الكليم ـ عليهما السلام ـ على من ناوأه، وقمعه لمن عاداه، فكان المآل وفق ما قال[3].

---

(١) الآية: ٢٤.

(٢) الراء:

الراء: «وأبونا شيخ كبير» الآية: ٢٣.

«من خير فقير» الآية: ٢٤.

واللام: «سواء السبيل» الآية: ٢٢.

«والله على ما نقول وكيل» الآية: ٢٨.

(٣) هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول، فنزلت لتقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله عز وجل، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون هي قيمة الأيمان، فمن كانت قوة الله معه، فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له، ولو ساندته جميع القوى، ولذلك يقوم كيان السورة على قصة موسى مع فرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه ـ وهم قوم موسى ـ في الختام. الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان: المتمثلة في فرعون الطاغية الحذر، وفي مواجهته موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة، وقد علا فرعون في الأرض، واستضعف بني اسرائيل، فاستحيا نساءهم، وذبح أبناءهم، وهو منهم على حذر، ولكن قوة فرعون وحذره ويقظته لا تغني عنه شيئاً، بل لم تمكنه موسى الطفل الصغير المجرد من كل مظاهر القوة والمنعة، لأنه في حراسة القوة =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البزار عن عتبة بن النّدّر[1] رضي الله عنه، أن

= الحقيقية، وهي قوة الله جلت قدرته، أعمت عنه العيون، وتحدت به فرعون، فدفعته إلى حجره، بل تقتحم عليه قلب زوجته، فيتفق على تربيته، بل وأشد من ذلك: تأتي أم موسى لترعى موسى في قصر فرعون، وتتقاضى منه على إرضاعها موسى أجراً.

والقصة الثانية - هي قصة قارون - تعرض قيمة المال، ومعها قيمة العلم وتعرض قارون وقد خرج على قومه في زينته معتقداً أنه أوتي المال الوفير عن طريق علمه، ولكن الذين أوتوا العلم الصحيح لا تستخفهم كثرة ماله ولا زينته، وإنما تطلعوا إلى ثواب الله، فقد علموا أن ما عند الله خير وأبقى، ثم تتدخل يد الله فتخسف به وبداره الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.

ففرعون بغى على بني اسرائيل واستطال عليهم بواسطة الحكم والسلطان، وقارون - أيضاً - بغى عليهم بواسطة العلم والمال هذا خسف به وبداره الأرض، وهذا أخذه اليم وجنوده، وهذا يعني: أن يد الله تدخلت فوضعت حداً للبغي والفساد، حيثما عجز الناس عن الوقوف أم البغي والفساد.

فكلتا القصتين تدل على أنه حين يتمحض الشر، ويسفر الفساد ويقف الخير عاجزاً، والصلاح حسيراً، وتخشى فتنة البأس وفتنة المال، عندئذ تتدخل يد الله لتصنع حداً للشر والفساد.

وفي أثناء السياق عرضت السورة جولات مع مشركي قريش، لتفتيح أعينهم على آيات الله المبثوثة في الكون حولهم، وقد قالوا لرسول الله ﷺ: ﴿إنْ نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾، فساق الله لهم قصة موسى ليعلموا أن الأمن إنما يكون في جوار الله، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار ولو وجدت كل أسباب الأمن الظاهرة.

وتنتهي السورة بِوَعْدٍ من الله لرسوله ﷺ وهو مخرج من مكة، والمشركون يطاردونه، بأن الذي فرض عليه القرآن، لا بد راده إلى بلده مكة، وأنَّ الله ناصره على الشرك وأهله وفي قصص السورة ما يضمن هذا ويؤكده، فقد عاد موسى عليه السلام إلى بلده الذي خرج منه خائفاً طريداً، فأخرج بني اسرائيل واستنقذهم، وهلك علـى يده فرعون وجنوده.

(١) في د ومجمع الزوائد وتفسير ابن كثير: «المنذر»، وهو خطأ.

رسول الله ﷺ سئل: أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟. قال: أبرهما وأوفاها، ثم قال النبي ﷺ، لما أراد موسى فراق شعيب ـ عليهما السلام ـ أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون(1) قال: فما مرت شاة إلا ضرب جنبيها موسى عليه السلام بعصاه، فولدت قوالب ألوانها كلها، وولدت ثنتين وثلاثا(2)، كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب(3)، ولا كمشة تفوت الكف، ولا ثغول(4). وقال رسول الله ﷺ: إذا فتحتم الشام فاكُم ستجدون بقايا منها، وهي السامرية.

ورواه الطبراني، إلا أنه قال: فلما وردت الغنم الحوض، وقف ﷺ بازاء الحوض، فلم يصدر(5) منها شيء إلا ضرب جنبيها فحملت فنتجت كلها قوالب لون واحد، ليس فيها فشوش، ولا ضبوب (ولا ثعول، ولا)(6) كمشة تفوت الكف، فإن افتتحتم الشام وجدتم بقايا منها فاتخذوها، وهي السامرية.

= وهو: عتبة بن الندر ـ بضم النون وتشديد الدال المهملة المفتوحة ـ السلمي، نزل مصر، وعاش طويلاً. مات في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ وسنة أربعة وتسعون عاماً.

راجع: الإصابة ٢/٤٤٩، الاستيعاب على هامش الإصابة ٣/١١٨.

(١) قال في النهاية ٤/٩٧: جاءت على غير ألوان أمهاتها، كأن لونها قد انقلب.

(٢) في مجمع الزوائد: ثنتين وثلاثين، وفي فتوح مصر: اثنتين وثلاثة.

(٣) قال الحافظ ابن كثير ٣/ـ؟؛ وقال صفوان: ولا صبوب ـ بالمهملة ـ قال أبو زرعة: الصواب: طنوب ولا عزوز، اهـ.

(٤) هكذا وفي مجمع الزوائد والنهاية وفتوح مصر: ثعول. وعند ابن كثير: تعول.

قال في النهاية ١/٢١٢: الثعول: الشاة التي لها زيادة حلمه وهو عيب.

(٥) أي ينصرف ويرجع عن الحوض.

(٦) زيادة عن مجمع الزوائد.

قال يحيى بن بكير[١]: الفشوش: التي ينفش لبنها عند الحلب[٢]. والضبوب: التي يضب ضرعها عند الحلب[٣]. والكمشة: التي تعتاص[٤] عند الحلب[٥].

قال الهيثمي: وفي إسنادهما ابن لهيعة وهو ضعيف، وقد يحسن حديثه، وبقية رجالهما رجال الصحيح[٦].

ورواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، من طريق ابن لهيعة ـ أيضاً ـ وقال: إلا ضرب جنبها[٧]، وقال: ولا كمشة[٨].

وروى أبو يعلى بسند ـ قال الهيثمي: رجاله ثقات[٩] ـ عن أبي سعيد

---

(١) هو يحيى بن عبدالله بن بكير، المخزومي، مولاهم، المصري ينسب إلى جده، ثقة، واختلف في سماعه من مالك.
قال الذهبي: كان صدوقاً واسع العلم مفتيا. توفي سنة ٢٣١ هـ.
راجع: تقريب التهذيب ٢/٣٥١.
الكاشف للذهبي ٣/٢٦٠.

(٢) قال في النهاية ٣/٤٤٨: أي يجري، وذلك لسعة الأحليل.

(٣) وقال في النهاية ١/٢١٢، ٣/٧٠: الضبوب: الضيقة مخرج الحلب.

(٤) في د: تعاطن.

(٥) قال في النهاية ٤/٢٠٠: الكموش: الصغيرة الضرع. سميت بذلك لانكماش ضرعها وهو تقلصه.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٨٨.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٨٧: هذا الحديث على عبدالله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء، وأخشى أن يكون رفعه خطأ.

(٧) يعني بالأفراد، لا بالتثنية.

(٨) فتوح مصر ٣٠٤.

(٩) مجمع الزوائد ٧/٨٨.
وليس كما قال الهيثمي، فقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٥١٠ في إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف.

رضي الله عنه: أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾[1] قال: معاده: آخرته.

ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **معادك**: الجنة[2].

وفي رواية: إلى معاد: قال: الموت[3].

قال الهيثمي: رواه بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، غير خصيف[4] وهو ثقة وفيه ضعف[5].

وذكر ابن اسحاق أنه قدم على النبي ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً، ـ أو قريباً من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة[6]، فدعاهم رسول الله ﷺ، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، حتى استجابوا له، وآمنوا به، وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم من أمره، ويقال: فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ **الذين[7] آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾[8].

---

(١) الآية: ٨٥ من السورة.

(٢) قال الحافظ في الفتح ٨/٥١٠: اسناده ضعيف.

(٣) قال في الفتح ٨/٥١٠: أخرجه ابن أبي حاتم، وإسناده لا بأس به.

(٤) هو أبو عون خصيف ـ بحاء معجمة بعدها صاد مهملة ـ بن عبد الرحمن الجزري الحراني، من موالي بن أمية، المتوفي سنة سبع ـ أو ثمان ـ وثلاثين ومائة، كان مرجئاً سيء الحفظ. قال يحيى القطان: كنا نجتنب خصيفا.

راجع: الميزان ١/٦٥٣ الترجمة رقم ٢٥١١. والمغنى في الضعفاء ١/٢٠٩ الترجمة رقم ١٩١٢.

(٥) مجمع الزوائد ٧/٨٨.

(٦) في سيرة ابن هشام: من.

(٧) الآيات: ٥٢ ـ ٥٥.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/٣٩١.

وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٣٩٤ وفيه تحديد لمقدار الآيات.

سورة العنكبوت

مكية.

قال قتادة: إلا عشراً من أولها إلى: ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾[1] فانهن نزلن بالمدينة.

نقله أبو عمرو الداني[2] والجعبري.

قال أبو حيان: نزل أوائلها في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة. وقيل: في مهجع[3] مولى عمر رضي الله عنهما، قتل ببدر فجزع أبوه وامرأته عليه[4].

---

(١) جعلها عشر ايات على مذهب من أسقط «الم» فلم يعدها آية وعند من يعدها آية كالكوفي، تكون الآيات المشار إليها إحدى عشر.

(٢) البيان: ورقة ٦٣.

(٣) هو مهجع ـ بكسر الميم، وسكون الهاء، وفتح الجيم ـ بن صالح العكي أصله من عكا، فأصابه سبى، فمنّ عليه عمر فأعتقه، وكان من السابقين إلى الإسلام، وأول من استشهد يوم بدر.

راجع: الإصابة ٤٤٦/٣، وتلقيح فهوم الأثر ص ٢٥٩.

(٤) البحر المحيط ١٣٩/٧.

وقال النجم النسفي: مكية إلا قوله في قصة سعد: ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً**﴾[1] وقوله: ﴿**ومن الناس من يقول آمنَّا بالله**﴾[2] فإنهما نزلتا بالمدينة[3].

وقال الأصفهاني تبعاً لابن الجوزي[4]: وبأنها مكية قال الحسن وقتادة وعطاء وجابر بن زيد[5]، ومقاتل، ورواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي رواية عن ابن عباس: أنها مدنية.

وقال هبة الله المفسر: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وباقيها بالمدينة.

وقال غيره عكس ذلك: نزلت العشر بالمدينة، وباقيها بمكة[6].

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها تسع وستون في جميع العدد، متفقة الاجمال فقط.

---

(١) الآية: ٨.

(٢) الآية: ١٠.

(٣) والصواب: أن الآية ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ مكية، فقد نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه لما أسلم، وكان ذلك بمكة كما ورد في الصحيح عند مسلم وغيره، فالقول بمدنيتها خطأ بين.

(٤) زاد المسير ٦/٢٥٣.

(٥) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي ـ نسبته إلى الجوف بعمان ـ البصري الفقيه، أحد الأئمة الثقات، روى عن ابن عمر وابن عباس ومعاوية، ومات سنة ٩٣، وقيل سنة ١٠٣ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١/٧٢، طبقات الحفاظ ص ٢٨، شذرات الذهب ١/١٠١.

(٦) هذا آخر كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٦/٢٥٣.

واختلافها ثلاث آيات:

﴿الم﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ وتقطعون السبيل ﴾[2] عدها المدنيان والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ مخلصين له الدين ﴾[3] عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد:

﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾[4].

ورويها: نمر.

مقصودها

ومقصودها: الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً لئلا يكون مثل المعرّج، مثل العنكبوت، فإن ذلك مثل كل من عرج عنه سبحانه، وتعوض عوضاً منه، فهي سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت، والله تعالى أعلم[5].

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ٢٩.

(٣) الآية: ٦٥.

(٤) الآية: ٦٧.

(٥) سورة العنكبوت مكية، وموضوعها العقيدة في أصولها الكبرى: الوحدانية الرسالة، البعث والجزاء.

ومحور السورة يدور حول الإيمان وسنة الابتلاء في الحياة، لأن المسلمين في مكة كانوا في أقسى أنواع المحنة والشدة، ولهذا جاء الحديث عن موضوع الفتنة والابتلاء في هذه السورة مطولاً مفصلاً وبوجه خاص عند ذكر قصص الأنبياء.

وقد بدأت السورة بذكر الابتلاء والافتتان صراحة: ﴿ الم، أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾؟. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال الهيثمي:

ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الأعمش قال: أرى أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: سينهاه ما تقول[2].

يعني قول الله تعالى: ﴿ **إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر** ﴾[3].

وروى عبد بن حميد في مسنده عن الزهري، عن رجل، عن ابن عمر

= وتمضي السورة تتحدث عن فريق من الناس يحسبون الإيمان كلمة تقال باللسان، فإذا نزلت بهم المحنة والشدة، انتكسوا إلى جحيم الضلال، وارتدوا عن الإسلام تخلصاً من عذاب الدنيا، ظانين أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله . . . ﴾.

كما تتحدث السورة عن محنة الأنبياء وما لاقوه من شدائد وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله عز وجل، بدءاً بنوح، ثم ابراهيم، ثم لوط ثم شعيب، وتتحدث عن بعض الأمم الطغاة المتجبرين كعاد وثمود وقارون وهامان، وتذكر مما حلّ بهم من هلال ودمار: ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصِباً . . . ﴾ الآيات.

وبعد ذلك الاستعراض السريع لمحنة الأنبياء وما لاقوه من أممهم تبين السورة صدق محمد ﷺ في دعوته وفي كل ما أخبر به: ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾.

ثم تتحدث السورة عن الأدلة والبراهين الدالة على قدرة الله ووحدانيته ثم تختم ببيان جزاء الذين صبروا أمام المحن والشدائد، موقنين أن الابتلاء سنة الله في عباده المؤمنين: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين ﴾.

راجع: الظلال ٥/٢٧١٨. وصفوة التفاسير ١١/٥٣.

(١) مجمع الزوائد ٧/٨٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٤٤٧.

(٣) الآية: ٤٥ من السورة.

رضي الله عنهما، قال: خرجت مع النبي ﷺ، حتى دخل بعض حوائط الأنصار رضي الله عنهم، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟. قلت: يا رسول الله ﷺ لا أشتهيه، قال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منه لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟. فوالله ما برحنا ولا رمنا[1]، حتى نزلت: **﴿وكَأَيِّنْ من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾**[2] فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل لم يأمرني بكثرة الدنيا ولا اتباع الشهوات، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله ألا وأني لم أكنز ديناراً ولا درهماً، ولا أخبأ رزقاً لغد[3].

وروى الحافظ زين الدين ابن رجب من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خليّ، فلما قتل في المحنة وصلب رأسه، أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفاً عليه، وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون، سمعت الرأس يقرأ: **﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾** فاقشعر جلده.

---

(١) بمعنى: برحنا. راجع: النهاية ٢/٢٩٠.

(٢) الآية: ٦٠ من السورة.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٤٢٠: هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف. اهـ.

وأبو العطوف هو: الجراح بن منهال الجزري، المتوفى سنة ١٦٧ هـ قال الذهبي في الميزان ١/٣٩٠: قال البخاري ومسلم: منكر الحديث وقال النسائي والدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر. اهـ.

سورة الروم

مكية كلها إجماعاً.

وقيل: إلا قوله: ﴿ فسبحان الله حين تمسون ﴾[1].

عدد آياتها وما يشبه الفواص فيها

وآيها خمسون وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في غيره. اختلافها أربع آيات:

﴿ ألم ﴾[2]، عدها الكوفي وحده.

﴿ غلبت الروم ﴾[3] لم يعدها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ١٧.

(٢) الآية: ١.

(٣) الآية: ٢.

﴿ في بضع سنين ﴾[1] لم يعدها المدني الأول والكوفي، وعدها الباقون.

﴿ يقسم المُجْرِمُون ﴾[2] عدها المدني الأول، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

﴿ بنصر الله ﴾[3] ﴿ حين تمسون ﴾[4]، ﴿ والمساكين ﴾[5]، ﴿ وابن السبيل ﴾[6]. وعكسه موضع: ﴿ يفرح المؤمنون ﴾ [7].

ورويها: نمر [8].

مقصودها

ومقصودها: إثبات الأمر كله لله، فتأتي الوحدانية مطلقاً في الالهية وغيرها، والقدرة على كل شيء فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وهذا هو المقصود بالذات، واسم السورة واضح فيه بما كان من السبب في نصر الروم من الوعد الصادق، والسر[9] المكتوم [10]

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ٥٥.

(٣) الآية: ٥.

(٤) الآية: ١٧.

(٥، ٦) الآية: ٣٨.

(٧) الآية: ٥.

(٨) الراء: ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ الآية: ٥٠.
﴿ وهو العليم القدير ﴾ الآية: ٥٤.

(٩) في د: والسر المكنون.

(١٠) سورة الروم مكية: وأهدافها ومقاصدها هي نفس أهداف ومقاصد السور المكية، التي تعالج العقيدة الإسلامية في إطارها العام وميدانها الفسيح، والإيمان بالوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء».
وقد ابتدأت السورة الكريمة بالتنبؤ عن حدث غيبي هام، أخبر عنه القرآن الكريم ـ

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد في المسند، عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ألا أخبركم لم سمي الله تعالى إبراهيم عليه السلام خليله الذي وفى، لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، حتى يختم[1] الآية.

قبل حدوثه، وهو انتصار الروم على الفرس في الحرب التي ستقع بينهما في المستقبل، وقد حدث ما أخبر عنه القرآن، فانتصر الروم على الفرس، وتحققت تلك النبوءة، وهذا من أظهر الدلائل على صدق النبي ﷺ فيما جاء به من الوحي، ومن أعظم معجزات القرآن.

ثم تمضي السورة في حديث واضح عن الشرك وضرره، وبيان عجز الشركاء عن فعل أي شيء، وتتخذ من زاوية الرزق والكسب علاجاً لتلك القضية، ومحاربة تلك المزاعم الباطلة: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم، ثم يميتكم ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

وفي السورة حديث مفصل عن الساعة والقيامة، وعن المصير المشؤوم الذي ينتظر أهل الكفر والضلال في ذلك اليوم العصيب، بينما يكون المؤمنون في روضات يحبرون، وفي الجنات ينعمون.

وفي ثنايا ذلك تعرض السورة بعض المشاهد الكونية، والدلائل الغيبية، الناطقة بقدرة الله وعظمته، ثم ختمت السورة بالحديث عن كفار قريش، إذ لم تنفعهم الآيات والنذر، ومهما رأوا من آيات الله المبثوثة في الكون فهم لا يتعظون، لأنهم كالموتى لا يسمعون ولا يبصرون.

ثم تذكر قول الله لرسوله ﷺ: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾.

وهكذا تختم السورة بما بدأت من بيان وعد الله بنصر عباده المؤمنين، فيتناسق البدء والختام.

راجع: الظلال ٥/٢٧٥٤، صفوة التفاسير ٣/١٢.

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٤٣٩.

وفيه عبدالله بن لهيعة. قال الذهبي في الميزان ٢/٤٧٥: قال ابن معين: ضعيف لا يحتج به.

ولأبي داود ـ وسكت عليه، لكن تكلم فيه البخاري في تاريخه، قال النووي: وفي كتاب الضعفاء[1] ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، إلى قوله، وكذلك تخرجون**[2] ﴾، أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالها حين يمسي، أدرك ما فاته في ليلته[3].

ولعبد الرزاق في جامعه عن شبيب بن روح، عن رجل من أصحاب محمد قال: صَلَّى رسولُ الله ﷺ صلاة الفجر، فقرأ سورة الروم، فالتبس فيها عليه، فلما انصرف قال: ما بال رجال يصلون معنا بغير طهور؟. من صلى معنا فليحسن طهوره، فإنما يلبس علينا القرآن أولئك[4].

ورواه أحمد عن أبي روح الكلاعي قال: صلى بنا نبي ﷺ صلاة، فقرأ فيها بسورة الروم، فلبس عليه بعضها، فقال: إنما لبس علينا الشيطان من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء، فإذا أتيتم الصلاة، فأحسنوا الوضوء[5].

---

(١) كتاب الأذكار للنووي ص ٧٦.

(٢) الآيات: ١٧ ـ ١٩ من السورة.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٤/٣١٩ حديث رقم ٥٠٧٦.
قال المنذري في مختصر السنن ٧/٣٣٥: في اسناده محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه، وكلاهما لا يحتج به.
قال الذهبي في الميزان ٣/٦١٧: محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، عن أبيه، ضعفوه.
قال البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. وقال ابن حبان: حدث عن أبيه بنسخة شبيهاً بمائتي حديث كلها موضوعة. اهـ.
وراجع: التهذيب ٩/٢٩٣. وتقريب التهذيب ٢/١٨٢ . والميزان ٢/٥٥١ في ترجمة أبيه عبد الرحمن، وفيه: أنه ضعيف لا تقوم به حجة. والتاريخ الكبير للبخاري ١/١٦٣ ترجمة رقم ٤٨٤، ٥/٢٦٣ ترجمة رقم ٨٤٨.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٦ حديث رقم ٢٧٢٥.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣/٤٧١.

وفي رواية: فردد في آية، فلما انصرف قال: إنه لبس عليه القرآن أن أقواماً منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء[(١)].

قال المنذري: هكذا رواه، ورجال الروايتين محتج بهم في الصحيح ورواه النسائي عن أبي روح[(٢)]، عن رجل[(٣)].

يعني كرواية عبد الرزاق.

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن عبد الملك بن عمير[(٤)]: أن النبي ﷺ قرأ في الفجر يوم الجمعة بسورة الروم[(٥)].

وروى الطبراني في الكبير عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف[(٦)]، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قيل له: نجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى؟. قال: نعم، فقرأ عليه: ﴿ **فسبحان**

---

(١) مسند الإمام أحمد: الموضع السابق.
وفيه عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي المتوفي سنة ١٣٦ هـ ممن جاوز المائة، وثقة العجلي، وضعفه الإمام أحمد.
راجع: الميزان ٢/٦٦٠. وتقريب التهذيب ١/٥٢١ وفيه: ثقة فقيه تغير حفظه، وربما دلس.

(٢) سنن لنسائي: كتاب النسائي: كتاب الافتتاح، باب القراءة في الصبح بالروم ١٥٦/٢.

(٣) الترغيب والترهيب ١/١٧.

(٤) هو أبو عمر عبد الملك بن عمير الفرسي ـ بفتح الفاء والراء ـ اللخمي الكوفي، المتوفي سنة ١٣٦ وهو ثقة. (الخلاصة).

(٥) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ١١٧/٢ حديث رقم ٢٧٣٠.

(٦) قال الذهبي في الميزان ٤٩/٢: قال ابن عدي: إما أن يكون مغفلاً أو يتعمد، فإني رأيت له مناكير.
وراجع: المغنى في الضعفاء ٣٥٣/١ ترجمة رقم ٣٢٨.

الله حين تمسون [1]: المغرب، **﴿وحين تصبحون﴾** [1]: الصبح، **﴿وعشياً﴾** [2]: العصر، **﴿وحين تظهرون﴾** [2]: الظهر، **﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾** [3] قال: صلاة العشاء[4].

---

(1) الآية: ١٧ من السورة.

(2) الآية: ١٨ من السورة.

(3) الآية: ٥٨ من سورة النور.

(4) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤١٠ عن نافع بن الأزرق، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد.

ووافقه الذهبي في التلخيص.

سورة لقمان عليه السلام

مكية.

قال ابن الجوزي: في قول الأكثرين[1].

وقال أبو عمرو الداني والجعبري: (قال ابن عباس)[2]: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة. وقال عطاء: إلا آيتين[3].

وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة الشريفة أتته أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد إنك تقول: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾[4]، أتعنينا أم قومك؟. قال: كلا قد عنيت. قالوا: إنك تتلو: أنا قد أوتينا التوراة وفيها

---

(١) زاد المسير ٧/٣١٤ .

(٢) زيادة عن البيان للداني .

(٣) البيان للداني : ورقة ٦٤ .

(٤) سورة الاسراء : آية ٨٥ .

بيان كل شيء؟.. فقال ﷺ: هي في علم الله قليل. فأنزل الله عز وجل: ﴿ ولو[1] أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾[2].

قال الداني: إلى آخر الآيتين[2].

وقال الجعبري: إلى آخر الثلاث.

وعزا أبو حيان كونها ثلاثاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما[3].

وقال ابن الجوزي: وعن الحسن أنه قال: مكية إلا آية نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾[4]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان، انتهى[5].

وهو غير مسلم في الصلاة، فإنها فرضت في مكة[6].

---

(١) الآية : ٢٧ .

(٢) البيان للداني : ورقة ٦٤ .

(٣) البحر المحيط ١٨٣/٧ . وكذا عزاه الداني إلى ابن عباس في البيان .

(٤) الآية : ٤ .

(٥) زاد المسير ٣١٤/٧ .

(٦) وهذا أشهر من أن يخفى على أحد . فقد استفاضت الروايات الدالة على أن النبي ﷺ وهو بمكة كان يصلي عند البيت جهاراً ، وكان المسلمون يصلون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وحادث الاسراء الذي فرضت فيه الصلاة كان بمكة ، وفي القرآن المكي آيات كثيرة تعد المصلين بالخير ، وتتوعد التاركين لها بالعذاب والشر ، فمن ذلك :
قول الله تعالى في سورة المعارج : ﴿ إن الانسان خلق هلوعاً ، اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ . وقوله : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك في جنات مُكْرَمُونَ ﴾ .
وفي سورة القلم : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ وفي سورة المدثر : ﴿ ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين ﴾ .
وفي سورة المزمل من أولها إلى آخرها ما يشهد بذلك .

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون، في المدنيين والمكي، وأربع في الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ الم ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ مخلصين له الدين ﴾[2]، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة، وليس معدوداً بإجماع، موضع ﴿ في الدنيا معروفاً ﴾[3] وعكسه موضع: ﴿ لصوت الحمير ﴾[4].

ورويها: ظن مرد[5].

مقصودها

ومقصودها: إثبات الحكمة للكتاب، اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله.

وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك[6].

---

(١) آية : ١

(٢) آية : ٣٢ .

(٣) آية : ١٥ .

(٤) آية : ١٩ .

(٥) الدال : ﴿ فان الله غني حميد ﴾ الآية : ١٢ .
والظاء : ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ الآية : ٢٤ .

(٦) سورة لقمان مكية ، ومقصودها : معالجة موضوع العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن حقيقتها ، وهي تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده ، وشكر آلائه ونعمه ، وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق ، وجزاء عادل .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى النسائي، وابن ماجه، بإسناد - قال النووي في شرح المهذب: حسن[1] - عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ

= وقد عرضت السورة تلك القضية بأسلوب يستدعي التدبر لأسلوب القرآن العجيب في مخاطبة الأفئدة والقلوب . فقد أقامت الحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله رب العالمين ، وذكرت الكثير من دلائل القدرة في هـذا الكون العجيب ، في سمـائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، ونهاره وليله ، وفي جباله وبحاره ، وأمواجه وأمطاره ، ونباته وأشجاره ، وفي سائر ما يشاهده المرء من دلائل الوحدانية ومظاهر القدرة ، معلنة للمشركين والمعرضين : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ .

كما ذكرت قصة لقمان ، وهو رجل آتاه الله الحكمة ، وقد اختاره الله ليعرض على لسانه قضية التوحيد ، وقضية الآخرة ، وما يتبع هذا وذاك من الأعمال الصالحة ، وبيان أن شكر الله واجب على العباد ، وبيان أن الشكر رصيد مذخور ينفع الشارك وحده ، وأما الله فهو محمود لذاته لا ينفعه شكر الشاكرين ولا يضره كفر الكافرين .

وتجيء قضية التوحيد على لسان لقمان في سياق وَعْظِهِ لابنه : ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم ﴾ ، وهي عظة بريئة من الاتهام ، فما يريد الوالد لولده الا الخير ، ولا يكون الوالد لولده إلا ناصحاً ، وها لقمان ينهى ولده عن الشرك ، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم . وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد ﷺ على مجتمع قريش فيأبى ويعارض ، ويجادل ويعاند ، ظاناً أن محمداً يريد من وراء ذلك سلطاناً ، أو ينتزع منهم مالاً أو جاهاً ، فما القول ولقمان يعرضها على ولده ، والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة . وبعيدة من كل تهمة .

ثم يجيء التوكيد لتلك النصيحة في سياق الوصية بالوالدين في قوله تعالى : ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ .

ثم تختم السورة بالتحذير من هول يوم الحساب ، وبيان احـاطة علم الله بسـائر الأشياء ، وأنه الخبير بكل ما في السموات والأرض ، ما ظهر منه وما بطن .

راجع : الظلال ٥/٢٧٨٠ وما بعدها .

(١) المجموع لنووي ٣/٣٨٢ ط / المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية[١] بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات[٢].

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمهن إلا الله؛ إن الله عنده علم الساعة [٣].

وروى أحمد والبزار ـ ورجال أحمد رجال الصحيح ـ عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير[٤].

---

(١) قال السندي في شرح سنن النسائي ١٦٣/٢ : أي يقرأ بحيث نسمع الآية من جملة ما قرأ ، وهذا يدل على أن الجهر القليل في السرية لا يضر ، وعلى أن الجمع بين الجهر والسر لا يكره . اهـ .

(٢) سنن النسائي : كتاب الافتتاح ، باب القراءة في الظهر ١٦٣/٢ .
وسنن ابن ماجة : كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الجهر بالآية أحياناً في صلاة الظهر والعصر ٢٧١/١ حديث رقم ٨٣٠ .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء ٣٠/٢ ، وكتاب التفسير ، سورة لقمان ١٤٤/٦ . وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ ٩٣/٩ عن عبدالله ابن عمر .
وصحيح مسلم : كتاب الايمان ، باب أشراط الساعة ١٦٤/١ عن أبي هريرة .

(٤) مسند الامام أحمد ٣٥٣/٥ .
وأخرجه عن عبدالله بن عمر ٢٤/٢ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٢٢ .
ولفظه : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله . . . الحديث .
و٨٥/٢ بلفظ : أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس . . الحديث .

سورة السجدة

وتسمى أيضاً: الم تنزيل، والمضاجع، والمنقسمة، والمنجية.

مكية.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: قال ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء: إلا ثلاث آيات منها، نزلت بالمدينة في علي رضي الله عنه، والوليد بن عتبة[١]، وكان بينهما كلام، فقال الوليد لعلي رضي الله عنه: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد[٢] منك للكتيبة، فقال له علي رضي الله عنه: أسكت فإنك فاسق، فأنزل الله عز وجل فيهما: ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً** ﴾[٣]، إلى آخر الآيات الثلاث[٤].

(١) هو الوليد بن عتبة بن ربيعة، قتله علي يوم بدر، وكذلك قتل أبوه عتبة يومئذ على يد علي وحمزة.

راجع: سيرة ابن هشام ٢/٦٢٥.

(٢) في أسباب النزول للواحدي ص ٣٦٨: وأملأ.

(٣) الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

(٤) البيان لأبي عمرو: الورقة ٦٤.

وقال الجعبري: إلى: ﴿ **تكذبون** ﴾[1]، انتهى.

وهذا النقل فيه نظر، فإن علياً رضي الله عنه لم ينقل من طريق صحيح أنه اجتمع بالوليد بعد أن هاجر، إلا ساعة المبارزة ببدر، فإن كان قال له ذلك حينئذ، وإلا فمتى؟.

وقال ابن الجوزي: هي مكية بإجماعهم.

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها: ﴿ **أفمن كان مؤمناً** ﴾.

وقال مقاتل: فيها آية مدنية، هي قوله تعالى: ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾، الآية.

وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها: ﴿ **وتتجافى جنوبهم** ﴾، انتهى[2].

عدد آياتها

وآيها عشرون وتسع في البصري، وثلاثون في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **الم** ﴾[3]، عدها الكوفي وحده.

﴿ **لفي خلق جديد** ﴾[4] لم يعدها الكوفي والبصري، وعدها الباقون.

---

(١) الآية: ٢٠.
(٢) زاد المسير ٦/٣٣٢.
(٣) آية: ١.
(٤) آية: ١٠.

وليس فيها شيء مما يشبه الفواصل، وفيها عكسه، وهو ما يشبه الوسط وهو آية ثلاثة مواضع:

﴿ من طين ﴾[1]، ﴿ يستوون ﴾[2]، ﴿ اسرائيل ﴾[3].

ورويها: ملن[4].

مقصودها

ومقصودها: إنذار الكفار بهذا الكتاب، السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار، واسمها «السجدة» منطبق على ذلك بما دعت إليه ايتها من الأخبار، وترك الاستكبار.

وكذا تسميتها بالمضاجع، وتسميتها بـ﴿ ألم تنزيل ﴾ مشيراً إلى تأمل جميع السورة، فهو في غاية الوضوح في مقصودها، وتسميتها بالمنقسمة أيضاً، دال عليه من جهة: أنها انقسمت للاعاذة من عذاب القبر، الذي هو مقدمة عذاب النار[5].

وكذا المنجية: فإن مَنْ قَبِلَ الانذار، نجا من النار[6].

---

(١) آية: ٧.

(٢) آية: ١٨.

(٣) آية: ٢٣.

(٤) الميم: ﴿ الم ﴾ الآية: ١.

: ﴿ العزيز الرحيم ﴾ الآية: ٦.

اللام: ﴿ وجعلناه هدى لبني اسرائيل ﴾ الآية: ٢٣.

(٥) وأيضاً: سميت منقسمة لما دلت عليه من جعل الناس فريقين: فساق في النار، ومؤمنون في الجنة. ويدل عليه قوله تعالى فيها: ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون. وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾.

(٦) سورة السجدة مكية، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة وتجعل منها =

= مادتها الأصلية ، وموضوعها الأساسي ، ويمضي السياق في عرض تلك القضية في عدة مقاطع مترابطة :

تبدأ السورة ـ أولاً ـ بالأحرف المقطعة « الم » تنبيهاً إلى أن القرآن في تنزله من جنس هذه الأحرف ، ونفي الريب عن كونه وحياً من الله رب العالمين .

وهذه هي القضية الأولى من قضايا العقيدة : وهي قضية الوحي وصدق الرسول ﷺ في التبليغ عن الله عز وجل : ﴿ الم ،تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ .

ثم تعرض السورة قضية الألوهية ، ودلائل القدرة والوحدانية ماثلة في صفحة هذا الوجود : في خلق السموات والأرض وما بينهما وفي الهيمنة على هذا الكون ، ورفع الأمر إلى الله في اليوم الآخر ثم نشأة الانسان وأطوار خلقه : خلقاً من بعد خلق . وما وهبه الله من السمع والبصر والادراك .

ثم تعرض قضية البعث والجزاء، وشك المشركين في تلك القضية وانكارهم لوقوعها ، والرد على هذا الشك بصيغة الجزم واليقين : ﴿ وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجوعون ﴾ .

ولتأكيد هذه القضية في نفوس المرتابين والمنكرين يجيء في ثنايا السورة مشهد من مشاهد القيامة تعرض فيه صورة حية لأولئك المكابرين ، وهم يعلنون يقينهم بيوم الحساب :

﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون ﴾ .

وبجانب هذه الصورة الكئيبة ، تجيء صورة موحية ، تعرض فيها ما أعد الله للمؤمنين الساجدين العابدين :

﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ .

وبجانب هذا وذاك ترد اشارة سريعة إلى قصة موسى ، وفيها الايحاء والتسلية ، والتمسك بالصبر في سبيل الدعوة ونجاحها .

ثم تختم السورة بحكاية قول المشركين :

﴿ مَتَى هذا الفتح ﴾ أي متى يوم البعث الذي يتحقق فيه الوعيد ؟. وتوجيه الرسول ﷺ إلى الاعراض عنهم ، وتركهم الى مصيرهم المحتوم .

راجع : الظلال ٢٨٠٣/٥ .

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي في الجامع، والنسائي في اليوم والليلة، والدارمي وعبد بن حميد في المسند، والطبراني فيما انتخبه عليه ابن مردويه، والبيهقي في الدعوات، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: الۤمۤ تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك[1].

ورواه مُسدد، وقال بعده: وقال طاووس: فضلتا على كل سورة من القرآن بستين حسنة[2].

وفي جامع الأصول عن الترمذى: بسبعين حسنة[3].

وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة، الۤمۤ تنزيل السجدة.

وروى أبو عبيد عن أبي خيثمة، قال: قلت لأبي الزبير[4]: أسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يذكر: أن رسول الله ﷺ كان لا ينام، حتى

---

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٢٣٩/٤ حديث رقم ٣٠٥٤.
وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٥/٢.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤١٢/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) ورواه الدارمي بهذا اللفظ ٤٥٥/٢: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك.

(٣) جامع الأصول لابن الأثير ٤٩٥/٨ حديث رقم ٦٢٧٧.
وصحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك ٢٣٩/٤ حديث رقم ٣٠٥٦.

(٤) هو محمد بن مسلم بن تدرس ـ بفتح التاء المثناة وضم الدال المهملة ـ الأسدي المكي، يدلس عن جابر وابن عباس وعائشة، وثقه ابن معين والنسائي، وضعفه أبو حاتم، وأبو زرعة. مات سنة ١٢٨ هـ.
راجع: تذكرة الحفاظ ١٢٥/١، الخلاصة ص ٣٥٨، طبقات الحفاظ ص ٥٠.

يقرأ: ألم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك؟. فقال: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثنيه صفوان: أو ابن صفوان[١].

شكٌ أبو خيثمة.

وروى أبو عبيد من طريق عاصم بن أبي النجود عن المسيب بن رافع[٢] أن النبي ﷺ قال: تجيء ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان، تظل صاحبها، تقول: لا سبيل عليك، لا سبيل عليك[٣].

ولمسلم وأبي عبيد في الفضائل، وأبي داود، والترمذي، والنسائي وعبد الرزاق في جامعه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: آلم، تنزيل السجدة، وهَلْ أتَى على الإنسان[٤].

---

(١) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٤٠.
وقال الحافظ ابن كثير ٣/٤٥٦ : تفرد به أحمد.

(٢) هو أبو العلال بن رافع الأسدي، الضرير، الكوفي، سمع من أم حبيبة وجابر بن سمرة مرسلاً. قال ابن معين: لم يسمع من صحابي الا من البراء وعامر بن عبدة. مات سنة ١٠٥ هـ. ﷺ
راجع: الخلاصة ص ٣٧٧.

(٣) المسيب بن رافع لم يسمع من رسول الله ﷺ، فالحديث مرسل، وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة ثبت في القراءة غير ضابط في الحديث، وقال الذهبي: صدوق يهم.

(٤) صححح ملم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٧ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ١/٣٨٦ حديث رقم ١٠٧٤.
وسنن النسائي: كتاب الافتتاح، باب ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ٢/١٥٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الجمعة، باب ما جاء في ما يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ٢/١٦ حديث رقم ٥١٩.
ومصنف عبدالرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٧ حديث رقم ٢٧٢٨.

وفي روايـة: وفي صـلاة الجمعـة، سـورة الجمعـة، وإذا جاءك المنافقون[١].

وللشيخين، والدارمي، وعبد الرزاق، عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله في صلاة الصبح. ولفظه: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة بألم تنزيل السجدة في الركعة الأولى، وفي الثانية: هل أتى على الإنسان[٢].

وروى عبد الرزاق في جامعه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة. وسبح اسم ربك الأعلى، وفي صلاة الصبح يوم الجمعة: ألم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك[٣].

وسر ذلك: أن في كل من السجدة والملك والإنسان ذكر ابتداء الخلق والبعث، والجنة، والنار، فهي مذكرة بخلق آدم عليه السلام فيه[٤] وقيام الساعة فيه[٥]، إلى غير ذلك من أحوال الآخرة[٦].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٨ وأبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في صلاة يوم الجمعة ١/٣٨٦ حديث رقم ١٠٧٥.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ٢/٥.
وصحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٦/١٦٨. وسنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة ١/٣٦٢.
ومصنف عبدالرزاق: كتاب الجمعة، باب القراءة في يوم الجمعة ٣/١٨١ حديث رقم ٥٢٣٦.

(٣) مصنف عبدالرزاق: كتاب الجمعة، باب القراءة في يوم الجمعة ٣/١٨١ حديث رقم ٥٢٣٨.

(٤) في هامش الأصل: الضمير في «فيه» عائد على يوم الجمعة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة ٦/١٤١، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة.
وأخرجه مالك في الموطأ ١/١٠٨. وأبو داود في سننه ١/٣٧٧.

(٦) قال النووي في شرح مسلم ٦/١٦٦: والحكمة في قراءة الجمعة: اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك من أحكامها، وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على=

وللدارمي عن خالد بن معدان مرسلاً: أن النبي ﷺ قال: اقرأوا المنجية، وهي: ﴿ألم تنزيل﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها وما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له، فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة[1].

وله عن خالد أيضاً: أنها تجادل عن صاحبها في القبر، تقول: إن كنت في كتابك فشفعني فيه، وإن لم أكن من كتابك فامحني، وأنها تكون كالطير، تجعل جناحها عليه فتشفع له، فتمنعه من عذاب القبر.

وقال في تبارك مثله، فكان خالد لا يبيت حتى يقرأها[2].

وينبغي أن يعلم: أن نسبة مثل هذا الكلام إلى القرآن، أو بعضه غير مشكلة، لأنه يمكن ـ والله أعلم ـ أن يجعل الله تعالى للألفاظ التي يقرؤها القارىء صوراً تعرف بها، ويطلق عليها اسم القرآن على سبيل المجاز أو الاشتراك، لدلالتها عليه، كما أنه سبحانه مكننا في هذه الدار من تصوير ذلك الكتاب، ويطلق على تلك الصور ذلك، كما قال النبي ﷺ: ﴿**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**﴾[3]، ويجعل الله لتلك الصورة قوة النطق، ولله تعالى القدرة البالغة، فهو على كل شيء قدير.

وللدارمي ـ أيضاً ـ عن كعب رحمه الله، قال: من قرأ «تنزيل» السجدة

= التوكل والذكر وغير ذلك، وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم، وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد، لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها، اهـ.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٤.

(٢) سنن الدارمي: الموضع السابق.

(٣) تقدم تخريجه والتعليق عليه.

وتبارك، كتب له سبعون حسنة، وحط عنه بهما سبعون سيئة، ورفع له بهما سبعون درجة (١).

ولعبد الرزاق في جامعه، عن أبي مجلز (٢)، أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر، ثم قام، فيرون أنه قرأ الم تنزيل، وهو يصلي بأصحابه رضي الله عنهم (٣).

ورواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر، ثم قام فركع فرأوا أنه قرأ: الم تنزيل السجدة (٤).

ولعبد الرزاق عن ابن جريج: أخبرني عطاء، أن رجلين فيما مضى كان يلزم أحدهما تبارك، فجادلت عنه حتى نجا، وأما صاحب السجدة الصغرى،

---

(١) سنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٤/٢ .

(٢) هو أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي ، نزيل خراسان ، سمع من ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك ، وغيرهم ، وكان ثقة في الرواية . مات سنة ١٠٠ ، وقيل سنة ١٠١ هـ .

راجع : طبقات القراء ٣٦٢/٢ .

(٣) مصنف عبدالرزاق : كتاب الصلاة ، باب القراءة في الظهر ١٠٥/٢ حديث رقم ٢٦٧٨ .

وهو هكذا مرسل ، ولكنه موصول في الرواية الثانية ، لأنه من حديث ابن عمر .

(٤) مسند الإمام أحمد ٨٣/٢ .

وسنن أبي داود : كتا الصلاة ، باب القراءة في صلاة الظهر والعصر ٢١٤/١ حديث رقم ٨٠٧ .

والمستدرك للحاكم ٢٢١/١ . وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الذهبي في التلخيص : على شرطهما .

قال الحاكم : وهو سنة صحيحة غريبة : أن الإمام يسجد فيما يسر بالقراءة مثل سجوده فيما يعلن ، اهـ .

فتنقسم في قبره قسمين، قسم عند رأسه، وقسم عند رجليه، حتى نجا، فسميت المنقسمة[١].

وله عن يحيى بن أبي كثير قال: أمر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، أن يقرأوا: الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك، فإنها تعدل كل آية منها سبعين آية من غيرهما، ومن قرأهما بعد العشاء الآخرة كانتا له مثلها في ليلة القدر[٢].

ولأبي عبيد عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يقول في تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك قال: فيهما فضل ستين درجة على غيرهما من سور القرآن[٣].

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وجعلناه هدى لبني اسرائيل** ﴾[٤] قال: جعل موسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فلا تكن في مرية من لقاءه** ﴾[٥] من لقاء موسى ربه عز وجل.

قال الهيثمي: ورجاله رجال لصحيح[٦].

---

(١) المصنف: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٢/٣٨١ حديث رقم ٦٠٢٩.

(٢) مصنف عبدالرزاق: كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٨٢ حديث رقم ٦٠٣٥.

(٣) وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في قراءة ﴿ الم تنزيل وتبارك ﴾ ١٠/٤٢٤.

والدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٢/٤٥٤.

كلاهما عن طاووس.

(٤) الآية: ٢٣.

(٥) الآية: ٢٣.

(٦) مجمع الزوائد ٧/٩٠.

سورة الأحزاب

مدنية إجماعاً.

وآيها سبعون وثلاث في جميع العدد، ليس فيها اختلاف في إجمال ولا تفصيل.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضع واحد، ﴿ **إلى أوليائكم معروفاً** ﴾[1].

ورويها أحد عشر حرفاً «فمد له رزق بظن»[2].

---

(١) آية : ٦ .

(٢) الباء : ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ الآية : ٣٩ .

: ﴿ وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ الآية : ٥٢ .

والدال : ﴿ زلزالا شديدا ﴾ الآية : ١١ .

: ﴿ إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ الآية : ٥٥ .

: ﴿ وقولوا قولاً سديدا ﴾ الآية : ٧٠ .

مقصودها

ومقصودها: الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله، فهو يعلم من يشاء[1]، وإن كان ضعيفاً، ويردى من يريد وإن كان قوياً، فلا يهتمن الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره، ولا خوف منه في عظيم شره، وخفى مكره[2].

وتسميتها بالأحزاب أوضح دليل على ذلك، بتأمل القصة التي أشارت إليها، ودلت عليها[3].

والزاي : ﴿ وكان الله قوياً عزيزا ﴾ الآية : ٢٥ .
والظاء : ﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا ﴾ الآية : ٢٧ .
والفاء : ﴿ وقلن قولاً معروفا ﴾ الآية : ٣٢ .
والقاف : ﴿ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا ﴾ الآية : ٢٦ .
والهاء : ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ الآية : ٦٩ .
وباقي أحرف الروي مكررة في السورة .

(١) في د : ما .

(٢) عبارة ركيكة .

(٣) سورة الأحزاب مدنية ، تتناول الجانب التشريعي في حياة المسلمين شأنها في ذلك شأن سائر السور المدنية ، فشرعت من الأحكام ما يكفل للمجتمع المسلم سعادته واستقراره ، وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة ، ويمكن تلخيص ما تناولته السورة فيما يلي :
١ ـ ابطال عادة الظهار ـ وهو أن يحلف الرجل على زوجته بأنها عليه كظهر أمه ، فتحرم عليه حرمة أمه ـ وهي عادة جاهلية توارثوها جيلاً عن جيل ، ثم يجيء بعد ذلك ابطال عادة التبني ، والغاء ما يترتب عليه من آثار ، وسبق كل هذا الغاء عقيدتهم أن للرجل قلبين في جوفه : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهم أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ .
٢ ـ التذكير بنعمة الله على المؤمنين بنصرهم على الكفار الذين تآلبوا عليهم في غزوة =

فضلها

وأما فضلها: فروى صاحب الفردوس عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: لكل شيء قائمة، وقائمة القرآن سورة الأحزاب.

وروى أبو داود، والترمذي وقال: حسن، والنسائي، وابن ماجة والحاكم، والبيهقي في الدعوات ـ قال النووي: بالأسانيد الصحيحة[1] ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأرسله بالحق بشيراً

= الأحزاب وبني قريظة، وتصوير ذلك تصويراً حياً، في مشاهد متعاقبة، تبين الحوار بين الأفراد والجماعات، وما كان من مشاعر المسلمين في ذاك الوقت العصيب، وما كان من مواقف المنافقين المثبطين، وبيان أن النصر انما هو من عند الله ولأوليائه المخلصين.

٣ـ تناولت السورة البيت النبوي بشيء من التفصيل، وما يلزم حياله من آداب ينبغي التزامها، فتجيء حادثة تخيير النبي ﷺ لأزواجه اللاتي طالبنه بالتوسعة في النفقة عليهن بعد ما وسع الله عليه وعلى المسلمين من فيء بني قريظة وما قبله من غنائم، ثم قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، الذي كان تأكيداً عملياً لابطال عادة التبني وبيان حقيقة العلاقة بين رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين: ﴿ ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾.

وكذلك تنظيم الحياة الزوجية للنبي ﷺ، وبيان ما يحل له من النساء وما لا يحل له منهن.

وكذلك مسألة تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي ﷺ وزوجاته، في حياته وبعد وفاته. وبجانب ذلك يجيء بيان جزاء من يؤذي رسول الله ﷺ في زوجاته وبيوته ومشاعره.

وفي ثنايا الحديث عن ذلك كله يجيء حكم المرأة المطلقة قبل الدخول، وبيان أن لا عدة عليها.

(١) الأذكار للنووي ص ٢٥٠ باب ما يقوله عند عقد النكاح.

ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً[١].

وفي رواية للبيهقي، ثم يقرأ الثلاث آيات: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** ﴾[٢]، إلى آخر الآية، ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾[٣]، ثم يقرأ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾[٤] ثم تتكلم بحاجتك[٥].

وخَرَّجَهُ مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً[٦].

وخرَّجه مسلم من حديث جرير رضي الله عنه، وفيه آية الحشر: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾[٧].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس ١/٢٨٧. حديث رقم ١٠٩٧، وكتاب النكاح: باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٩ حديث رقم ٢١١٩.
وجامع الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح ٢/٢٨٥ حديث رقم ١١١١.
وسنن النسائي: كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة ٣/١٠٤، وكتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ٦/٨٩.
وسنن ابن ماجة: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح ١/٦٠٩ حديث رقم ١٨٩٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) سورة النساء: آية ١.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٧٠ ـ ٧١.

(٥) وأخرجه أبو داود: كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٨ حديث رقم ٢١١٨.
وأخرجه النسائي: كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة ٣/١٠٥.

(٦) صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ ٦/١٥٦.

(٧) سورة الحشر: آية ١٨.

وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن رجلاً خطب عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله[1].

تقدم في سورة النحل لهذا الحديث طريق أخرى عند مسلم[2].

وروى عبد الرزاق في جامعة عن زر قال: قال أبي بن كعب رضي الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب صلاة الجمعة وخطبتها ٦/١٥٩ قال الإمام النووي في شرح مسلم ٦/١٥٩ : قال القاضي وجماعة من العلماء : إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه ، كما قال ﷺ في الحديث الآخر : « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان » .

والصواب : أن سبب النهي : أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز ، ولهذا ثبت في الصحيح ، أن رسول الله ﷺ كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ليفهم . وأما قول الأولين فيضعف بأشياء منها : أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » وغيره من الأحاديث . وانما ثنى الضمير ههنا ، لأنه ليس خطبة وعظ ، وانما هو تعليم حُكْم ، فكلما قَلَّ لفظه كان أقرب إلى حفظه ، بخلاف خطبة الوعظ فإنه ليس المراد حفظها ، وانما يراد الاتعاظ بها ، ومما يؤيد هذا ما ثبت في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيرا بين يدي الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصها فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً . اهـ .

وأجاب السيوطي في شرح سنن النسائي بأجوبة أخرى ، من بينها كلام النووي الذي نقلته ، فراجعه ٦/٩٠ ـ ٩١ .

(٢) راجع :

عنه: كأين[1] تقرأون سورة الأحزاب؟. قلت: بضعاً وثمانين آية، قال: لقد كنا نقرؤها مع رسول الله ﷺ نحو سورة البقرة، أو هي أكبر ولقد كنا نقرأ فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم »[2].

وروى أبو عبيد في الفضائل، ولفظه: قال لي أبي بن كعب: يا زرّ كأيّن تعد ـ أو قال: كأيّن تقرأ ـ سورة الأحزاب؟. قلنا: اثنتين وسبعين، أو ثلاثاً وسبعين آية. فقال: إن كانت لتعدل سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، (قلت: وما آية الرجم)[3]؟. قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم »[4].

ويأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في سورة «لم يكن» حديث عن أبي موسى رضي الله عنه، أنه نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت.

وروى الطبراني بأسانيد ـ قال الهيثمي: ورجال بعضها رجال الصحيح[5] ـ عن قتادة رحمه الله قال: خطب النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وهي بنت عمته، وهو يريدها لزيد رضي الله عنه فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد رضي الله عنه أبت. فأنزل الله تعالى: ﴿ وما

---

(١) أي : كم تقرأون .

(٢) مصنفف عبدالرزاق : كتاب النكاح ، باب الرجم والاحصان ٣٢٩/٧ . حديث رقم ١٣٣٦٣ .

وروواه البيهقي في السنن ٢١١/٨ .

والحاكم في المستدرك ٤١٥/٢ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد . ووافقه الذهبي .

(٣) ما بين الحاصرين سابقاً من : د .

(٤) هذه رواية عبدالرزاق في المصنف ٣٢٩/٧ .

(٥) مجمع الزوائد ٩٢/٧ .

كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[1] فَرضيَتْ وسَلَّمَتْ.

وروى الطبراني في الكبير، وأحمد ـ قال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم وهو مضطرب الحديث، وبقية رجالها رجال الصحيح[2] ـ عن عبد الله بن قيس[3] رضي الله عنه قال:

صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، ثم قال: على مكانكم أثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: إن الله أمرني أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً، ثم تخلل إلى النساء فقال: إن الله أمرني أن آمركم أن تتقين الله وأن تقلن قولاً سديداً[4]

---

(١) الآية: ٣٧.

(٢) مجمع الزوائد ٧/٩٤.

(٣) هو أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم، من ولد الأشعر بن أدد، أسلم قديماً، ولكنه لم يهاجر إلى الحبشة واستعمله النبي ﷺ على بعض بلاد اليمن كعدن وزبيد، وكان أحد الحكمين في صفين، ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن. واختلف في تاريخ وفاته، والأكثرون على أنه توفي سنة ٤٤ هـ بداره بالكوفة. وقيل بمكة.

راجع: الاصابة ٢/٣٥١.

الاستيعاب على هامش الاصابة ٢/٣٦٣.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٣٩١، ٤١٣.

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/٥٢١: أن ابن أبي حاتم أخرجه في تفسيره من حديث ليث بن أبي سليم أيضاً.

سورة سبأ

مكية إجماعاً.

وقال الأصفهاني تبعاً لابن الجوزي[1]: وقال الضحاك وابن السائب ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿ **ويرى الذين أوتوا العلم** ﴾ الآية[2].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وأيها خمسون وخمس آيات في الشامي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿ **عن يمين وشمال** ﴾[3] عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، أربعة مواضع:

---

(١) زاد المسير ٦/٤٣١.

(٢) الآية: ٦.

(٣) الآية: ١٥.

﴿ معاجزين ﴾ موضعان[1]. ﴿ كالجواب ﴾[2]. ﴿ وبين ما يشتهون ﴾[3]. وعكسه موضع:

﴿ قَبْلَكَ مِنْ نذير ﴾[4].

ورويها: ظن لمدبر[5].

مقصودها

ومقصودها: أن الدار الآخرة التي أشار إليها آخر الأحزاب بالعذاب والمغفرة، بعد أن أعلم أن الناس يسئلون عنها، كائنة لا ريب في إتيانها، لما في ذلك من الحكمة وله عليه من القدرة.

ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة - لاسيما عند العرب - على قدرته سبحانه على الإيجاد والإعدام، للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال، والتصرف بالحكمة في الإعطاء والمنع ابتداء وجزاء لمن شكر، أو كفر[6].

---

(١) الآية: ٥، والآية: ٣٨.

(٢) الآية: ١٣.

(٣) الآية٥٤. (٤) الآية: ٤٤.

(٥) الظاء: «وربك على كل شيء حفيظ» الآية: ٢١ واللام: «وشيء من سدر قليل» الآية: ١٦. وباقي حروف الروى مكررة بكثرة في السورة.

(٦) هذه السورة مكية. ومقصودها الأصلي: موضوعات العقيدة الرئيسية: «التوحيد والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث». والى جوار هذه الأصول تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة، وبيان أن الإيمان والعمل الصالح هما أساس الحكم والجزاء عند الله عز وجل، وأنه لا توجد قوة تمنع من بطش الله وما من شفاعة عنده إلا باذنه.

والتركيز الأكبر في السورة يدور حول قضية البعث والجزاء، وتتكرر الإشارة في السورة حول تلك القضية بطرق متنوعة وأساليب شتى. مثل:

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة، قل: بلى وربي لتأتينكم...﴾.

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم. والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾. =

. . . .

= ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد، أفتري على الله كذباً أم به جنة، بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾. ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين. قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾.

وفي موضوع التوحيد، تبدأ السورة بقول الله تعالى:

﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير﴾.

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟. قالوا: الحق وهو العلي الكبير﴾.

وفي موضوع الوحي والرسالة يأتي قوله تعالى:

﴿وقال الذين كفروا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه....﴾.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾.

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وفي موضوع تصحيح المفاهيم الخاطئة يأتي قوله تعالى:

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا بما أرسلتم به كافرون، وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنوا﴾.

وفي أثناء السياق يأتي ضرب الأمثلة بقصص بعض الأنبياء لإيضاح تلك الحقيقة. ففي قصة آل داود الشاكرين، بيان الشكر على نعم الله عز وجل. وفي قصة سبأ بيان حال أولئك الجاحدين الذين بطروا وكفروا، فحل بهم من البلاء والضيق ما حل.

يراجع الظلال ٥/٢٨٨٨.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿ **جاء[1] الحقُّ وزهق الباطلُ، إن البَاطِلَ كان زَهُوقاً** ﴾ ﴿[2] **جاء الحق وما يُبدىءُ الباطلُ وما يُعيدُ** ﴾[3].

وفي السِّيَر: أن الأصنام كانت مشدودة بالرصاص، وأنه ما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي[4]:

وفي الأصنــام معتبـر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا[5]

وروى أحمد في المسند، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو، أرجل، أم امرأة، أم

---

(١) سورة الإسراء: اية ٨١.

(٢) سورة سبأ: آية ٤٩.

(٣) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر ١٠٨/٣، وكتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ٥٢/٥، وكتاب التفسير، سورة الاسراء، باب وقل جاء الحق وزهق الباطل ٢٢٨/٥.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ١٣٣/١٢.

(٤) هو تميم بن أسد ـ وقيل: أسيد. بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ـ بن عبد العزي الخزاعي، أسلم وصحب النبي ﷺ قبل فتح مكة.
راجع: الاصابة ١٨٥/١. الاستيعاب على هامش الاصابة ١٨٧/١.

(٥) سيرة ابن هشام ٤١٧/٣.
قال الحافظ ابن حجر في الاصابة ١٨٥/١: ورواه ابن مندة من وجه آخر وقال: هذا حديث غريب، انفرد به يعقوب بن محمد الزهري.
قلت: ويعقوب ـ هذا ـ هو أبو يوسف الزهري المدني، المتوفي سنة ٢٢٣ ضعيف الرواية. بل قال الساجي: منكر الحديث.
وذكره الذهبي في «المغني في الضعفاء» ٧٥٩/٢ وقال: ضعفه أبو زرعة وغيره وهو الحق، فما هو بحجة. (وراجع الميزان ٤٥٤/٤).

أرض؟. قال: بل هو رجل[١] ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وسكن الشام منهم أربعة. فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وأما الشاميون: فلخم: وجذام، وعـاملة، وغسان[٢].

قال الهيثمي: وفي سندهـا ابن لهيعة وفيـه ضعف، وبقية رجـالهما ثقات[٣].

ورواه الطبراني من طريق أخرى فيهـا شيخ الـطبراني[٤] لم يعـرفه الهيثمي، وبقية السند رجال الصحيح[٥].

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره ٣/٥٣١: قال علماء النسب منهم محمد بن اسحاق: اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبى في العرب، اهـ.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣١٦.

وأخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب سورة سبأ ٥/٣٩ حديث رقم ٣٢٧٥. وقال: هذا حديث غريب حسن.

وأبو داود في سننه: كتاب الحروف والقراءات ٤/٣٤ حديث رقم ٣٩٨٨ وسكت عنه.

كلاهما عن فروة بن مسيك الغطيفي قال: أتيت النبيّ ﷺ، وفيه أنه الرجل الذي سأل.

وفي سندهما أبو سبرة عبد الله بن عابس النخعي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن معين: لا أعرفه (الميزان ٤/٥٢٨).

والحديث في مختصر السنن للحافظ المنذري ٦/٨، وسكت عنه.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٢٣ من طريق أخرى عن عروة ـ أيضاً ـ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في التلخيص.

ورواه من طريق ثانية، ولم يعقب عليه.

وقد استقصى طرقه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٢٠، وذكر رواية مسندة إلى تميم الداري عند ابن عبد البر، وأشار الى أن الحديث في مجموع طرقه حسن.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٩٤.

(٤) هو علي بن الحسن بن صالح الصائغ، كما قال الهيثمي.

وترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/١٨٠ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره الذهبي في الميزان ٣/١٢٢ وقال: كان يضع الحديث على الشيوخ.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١٤.

وروى عبيد الله بن محمد العَيْشِي[1] في جزءيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لكلِّ قَبِيلٍ[2] من الجن مقعد من السماء يستمعون فيه الوحي، وكان الوحي إذا نزل، (سمع)[3] له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان ـ قال العيشي: يعني على الحجر ـ فلا ينزل على سماء إلا صُعقوا: «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم[4] قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق[5] وهو العلي الكبير»[6]. ثم يقال: يكون العام كذا، ويكون العام كذا، فتسمع الجن ذلك (فتخبر به الكهنة، فتخبر)[7] الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، فلما بعث رسول الله ﷺ دحروا. فقالت العرب: هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً وجعل صاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الشاة يذبح كل يوم شاة، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب: يا أيها الناس عليكم أموالكم، فإنه لم يهلك من في السماء، وإن هذا ليس بانتشار، أليس ترون معالمكم من النجوم كما هي؟ فقال إبليس: لقد حدث اليوم حدث، ائتوني من تربة الأرض، فاتوه من تربة كل أرض، فجعل يشمها، حتى أتى من تربة مكة، فشمها فقال: من ههنا حدث الحدث، فنظروا فإذا النبي ﷺ قد بعث.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر، التميمي البصري، المعروف بالعيشى والعائش وبابن عائشة، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة. روى عن حماد بن سلمة وجماعة. وروى عنه أحمد وأبو زرعة، والأثرم والبغوي، وخلق لا يحصون، وكان ديناً سخياً، محبباً الى الناس، ثقة صدوقاً. مات سنة ٢٢٨ في رمضان.
راجع: تهذيب التهذيب ٧/٧٦. والخلاصة ٢٥٣.

(٢) قال في اللسان ١١/٥٤: القبيل: الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً.

(٣) ساقطة من د.

(٤) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٥/٦١: «فزع عن قلوبهم»: كشف عنها الفزع.

(٥) أي قالوا: قال الحق.

(٦) الآية: ٢٣ من السورة.

(٧) ما بين الحاصرين ساقط من د.

وروى الطبراني في الكبير عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح[1] ـ قال الهيثمي: وقد وثق، وتُكُلِّم فيه بغير قادح، وبقية رجاله ثقات[2] ـ عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله أن يوحي بأمره، تكلم بالوحي، أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل عليه السلام، فيكلمهم الله من وحيه بما أراد فينتهي به جبريل على الملائكة عليهم السلام، كلما مر بسماء سأله أهلها، ماذا قال ربنا يا جبريل؟ قال الحق وهو العلي الكبير، فيقول كلهم مثل ما قال جبريل عليه السلام، فينتهي به جبريل حيث أمر من السماء والأرض[3].

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عثمان بن صالح السهمي المصري، المتوفي سنة ٢٢٨.
قال الذهبي في الميزان ٣٩٦/٤: هو صدوق إن شاء الله.
وقال ابن أبي حاتم ١٧٥/٩: كتبت عنه وكتب عنه أبي، وتكلموا فيه.
وراجع الخلاصة ٤٢٦.

(٢) مجمع الزوائد ٩٥/٧.

(٣) حديث النواس بن سمعان أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢٠٣. من طريق نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد، وكلهم ثقات.
وأخرجه ابن أبي حاتم وابن خزيمة (تفسير ابن كثير ٥٣٧/٣).
وأصل حديث النواس في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، وابن عباس، وابن مسعود. أخرجه البخاري: كتاب التفسير، سورة الحجر ٢٢١/٥. وسورة سبأ، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم ٢٨/٦. وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم ١٩٤/٨. وأخرجه في كتاب خلق أفعال العباد ص ٩٩ ـ ١١٠.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٢٢٥/١٤.
وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في القرآن ٢٣٥/٤ حديث رقم ٤٧٣٨.
والترمذي: كتاب التفسير، باب سورة سبأ ٤٠/٥ حديث رقم ٣٢٧٦، ٣٢٧٧.
وابن ماجة: المقدمة، باب فيما أنكرته الجهمية ٦٩/١ حديث ١٩٤.

سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة.

مكية إجماعاً.

عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها

وآيها أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقين.

اختلافها سبع آيات:

﴿ **لهم عذاب شديد** ﴾[1] وهو الأول، عدها البصري والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **بخلق جديد** ﴾[2]، ﴿ **والأعمى والبصير** ﴾[3] لم يعدهن ثلاثتهن[4]، وعدهن الباقون.

(١) الآية: ٧.

(٢) الآية: ١٦.

(٣) الآية: ١٩.

(٤) لم يذكر إلا اثنين فقط، وسها عن ذكر الثالث، وهو قوله تعالى: ﴿ولا النور﴾ الآية: ٢٠ كما ذكره أبو عمرو الداني في البيان: ورقة ٦٤.

﴿ مَنْ في القبور ﴾[1] لم يعدها الشامي وحده.

﴿ أن تزولا ﴾[2] عدها البصري وحده.

﴿ لسنة الله تبديلا ﴾[3] عدها المدني الأخير والبصري والشامي. ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، ثلاثة مواضع:

﴿لهم عذاب شديد﴾[4] وهو الثاني، ﴿جدد بيض﴾[5]، ﴿وجاءكم النذير ﴾[6].

ورويها: زد برغل[7].

مقصودها

ومقصودها: إثبتا القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها تمام القدرة على البعث، الذي عنه يكون أتم الإبقاءين بالفعل دائماً أبداً بلا انقطاع، ولا زوال أصلاً، ولا اندفاع، في دار المقامة التي أذهب سبحانه عنها الحزن والنصب واللغوب. ودار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم.

ولاسم السورة «فاطر» أتم مناسبة لمقصودها، لأنه لا شيء يعدل ما في

---

(١) الآية: ٢٢.

(٢) الآية: ٤١.

(٣) الآية: ٤٣.

(٤) الآية: ١٠.

(٥) الآية: ٢٧.

(٦) الآية: ٣٧.

(٧) الباء: «ولا يمسنا فيها لغوب ٣٥». والزاي: ﴿وما لك على الله بعزيز ١٧﴾. واللام: ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً ٤٣﴾. وباقي حروف الروي مكرر في السورة.

الجنة من تجدد[1] الخلق، فإنه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة، وكذا النار، كلما نضجت جلودهم بدَّلناهم جلوداً غيرها.

وكذا تسميتها بالملائكة[2] بأنهم يُبْدَعُون خلقاً جديداً، كل واحد منهم على صورته التي أراد الله كونه عليها، لا يزاد فيها، ولا ينقص، كلما أراد الله ذلك من غير سبب أصلاً غير إرادته المطابقة لقدرته سبحانه، وعز شأنه من غير تدريج بسبب توليد ولا غيره، فكل واحد منهم نوع برأسه، وهم من الكثرة على وجه لا يحاط به. وما يعلم جنود ربك إلا هو[3].

---

(١) في د: تجديد.

(٢) وجه تسميتها بالملائكة: أنها السورة التي وصفت الملائكة بما يختص بشكلهم وهيئتهم الظاهرة، بخلاف ما ورد عنهم في السور الأخرى، التي بينت وظيفتهم، ووصفتهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وبأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(٣) سورة فاطر مكية النزول، فقد نزلت في مكة قبل هجرة النبي ﷺ الى المدينة ولذا فهي تسير في فلك السور المكية التي يرجع أغلبها إلى المقصد الأول من رسالة كل رسول، وهو القضية الكبرى، والأولى؛ من الدعوة إلى توحيد الله، واقامة البراهين الدالة على وجوده، وهدم قواعد الشرك والوثنية، والحث على تطهير القلوب من الرذائل، والتجلي بمكارم الأخلاق.

فقد تحدثت السورة الكريمة في البدء عن الخالق المبدع، الذي فطر الأكوان وخلق الملائكة والانس والجان، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور في صفحات هذا الكون، بالأرض تحيا بعد موتها بنزول الغيث عليها وبخروج الزروع والفواكه والثمار، وبتعاقب الليل والنهار، وأطوار خلق الإنسان، وفي إيلاج الليل في النهار وغير ذلك من دلائل القدرة والوحدانية.

ثم تحدثت السورة عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر، وضربت لهما الأمثال بالأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور,

كما تحدثت عن دلائل القدرة في اختلاف أنواع الثمار، وفي سائر المخلوقات من البشر والدواب والأنعام، وفي اختلاف أشكال الجبال والأحجار، وتنوعها ما بين أبيض وأسود واحمر وكلها ناطقة بعظمة الواحد القهار.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في الفضائل، عن عامر بن عبد قيس قال: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتُهُنَّ، ما أبالي ما أصبح عليه وأمسي: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[١]، ﴿وإن يَمْسَسْكَ الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رَادَّ لفضله﴾[٢]، ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[٣*]. ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[٤].

وروى أبو يعلى - بإسناد قال المنذري: صحيح[٥] - والحاكم وقال:

= وفي خلال السياق تتحدث السورة عن ميراث هذه الأمة لأشرف الرسالات السماوية بإنزال الكتاب المجيد الجامع لفضائل كتب الله، ثم انقسام الأمة الى ثلاثة أنواع: المقتصد والمسيء، والسابق بالخيرات.

وختمت السورة ببيان حلم الله ورحمته الى جانب قوته وقدرته، ويؤكد أن إمهال الناس عن حلم ورحمة لا يؤثر في دِقَّة الحساب وعدل الجزاء في النهاية:

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم، فإن الله كان بعباده بصيراً﴾.

وهكذا ترى أن موضوع السورة هو الجانب العقائدي الذي تعرضه السور المكية بطرق مختلفة، وتأثيرات متنوعة.

وسميت السورة: سورة فاطر: دلالة على الإبداع والاختراع على غير مثال سابق، ولما فيه من التصرير الدقيق المشير الى عظمة ذي الجلال وباهر قدرته، وعجيب صنعته، فهو الذي خلق الملائكة، وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب.

الظلال ٥/٢٩١٨. صفوة التفاسير ١٣/٢٣.

(١) الآية ٢ من سورة فاطر.

(٢) الآية: ١٠٧ من سورة يونس.

(٣) الآية: ٧ من سورة الطلاق.

(٤) الآية: ٦ من سورة هود.

(٥) كتاب الترغيب والترهيب ١/٤١٥.

صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أوى الرجل إلى فراشه ابتدره مَلَكٌ وشيطان، فيقول المَـلَكُ: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، [فإن ذكر الله ثم نام، بات المَلَكُ يكلؤه، فإذا استيقظ قال المَلَكُ: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر][1]، فإن قال: الحمد لله الذي رد عليَّ نفسي ولم يمتها في منامها، ﴿ **الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾[2] إلى آخر الآية، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[3] ـ وزاد الحاكم: الحمد لله الذي يحى الموتى وهو على كل شيء قدير ـ فإن وقع عن سريره فمات، دخل الجنة[4].

---

(١) ما بين المربعين ساقط من د.

(٢) الآية: ٤١ من سورة فاطر.

(٣) إشارة الى الآية رقم ٦٥ من سورة الحج.

(٤) المستدرك: كتاب الدعاء، باب الذكر عند الاضطجاع والدعاء عند اليقظة ١/٥٤٨.

سورة يس

مكية.

وتسمى ـ أيضاً ـ: القلب، والدافعة، والقاضية، والمُعِمَّة.

قال ابن الجوزي: قاله ـ أي إنها مكيـة ـ[1] ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أنهما قالا: إنها مكية إلا آية منها:

﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾[2].

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أنها مدنية. وقال: وليس بالمشهور[3].

---

(١) في م: قاله ابن عباس، أي إنها مكية، قاله ابن عباس.

(٢) الآية: ٤٥.

(٣) زاد المسير ٧/٣.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، واثنتان في عدد الباقين.

اختلافها آية:

﴿ يس ﴾[١]، عدها الكوفي وحده.

وفيها مما يشبه الفواصل[٢]، ولم يُعَدَّ بإجماع، موضع:

﴿ رجل يسعى ﴾[٣].

وعكسه اثنان:

﴿ من العيون ﴾[٤]، ﴿ فيكون ﴾[٥].

ورويها: نم.

مقصودها

ومقصودها: إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، المفاض فيه من جهة المَلِكِ، وقلب جميع الحقائق[٦]، وبها قوامها للمرسل بها، الذي هو خالصة[٧] المرسلين، الذين هم قلب الموجودات كلها، ذوات ومعادن، إلى أهل مكة أم القرى وقلب الأرض[٨]، وهم قريش قلب العرب، الذين هم قلب الناس،

---

(١) الآية: ١.

(٢) قال أبو عمرو الداني: ليس فيها مما يشبه الفواصل شيء. البيان: ورقة ٦٥.

(٣) الآية: ٢٠.

(٤) الآية: ٢٤.

(٥) الآية: ٨٢.

(٦) في د: الخلائق.

(٧) في د: خاصة.

(٨) في بحث للدكتور حسين كمال الدين أحمد أستاذ الهندسة المدنية بجامعة القاهرة: تبين بالحساب الدقيق لخطوط الطول والعرض الأرضية أن مكة المكرمة مركز الأرض بمعنى

بصلاحهم صلاحهم كلهم، وبفسادهم فسادهم، فلذلك كان من حولها جميع أهل الأرض.

وجل فائدة الرسالة: إثبات الوحدانية للعزيز الرحيم، ذي الجلال والإكرام، والإنذار بيوم الجمع، الذي به ـ مع ستره عن العيان، الذي هو من خواص القلب ـ صلاح الخلق فهو قلب الأكوان، وبه الصلاح أو الفساد للإنسان.

وعلى ذلك تنطبق معاني أسمائها: يس، والقلب، والدافعة، والقاضية، والمُعِمَّة.

لأن من اعتقد الرسالة كفته جميع مهمة، ودفعت عنه سائر ملمة، وقضت له بكل خير، وأعطته بكل كل مراد. وكل من هذا له أتم نظر إلى القلب، كما لا يخفى.

والمعمة: الشاملة بالخير والبركة.

قال في القاموس: عمهم بالعطية، وهو مِعَمٌّ خير[1]، يعم[2] خيره[3].

ومن المعلوم: أن القلب كذلك.

وأما يس: فمشير إلى سر كونها قلب المشير إلى البعث، الذي هو من

= أنها تتوسط القارات الخمس كالنقطة في وسط الدائرة. فهي المركز الذي تحيط به الأرض من كل اتجاه بالتساوي في جميع الجهات.

وصدق الله العظيم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

﴿لتنذر أم القرى ومن حولها.....﴾.

راجع: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن رئاسة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية: العدد الثاني من المجلد الأول، ربيع أول ١٣٩٦ ﻫ.

(١) ضبطه في القاموس بكسر الميم، وفتح العين.

(٢) في القاموس: يعم بخيره.

(٣) القاموس المحيط ١٥٦/٤.

أجل مقاصدها الذي يكون به صلاح القلب، الذي به قبول ما ذكر. وذلك أنه لما كان قلب كل شيء أَبْطَنَ ما فيه وأَنْفَسَ وكان قلبُ الإنسان غائباً عن الإحساس، وكان مودعاً من المعاني الجليلة، والإدراكات الخفية والجلية، ما يكون للبدن سبباً في إصلاحه أو إسعاده، وكانت الساعة من عالم الغيب وفيها انكشاف الأمور، والوقوف على حقائق المقدور، وبملاحظتها في إصلاح أسبابها تكون الشقاوة السرمدية.

وكانت قد بينت في هذه السورة بيانا لم يكن في غيرها، بما وقع من التصريح في قلبها الذي هو وسطها ـ بنفختيها المميتة لكل من في الأرض، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون، والباعثة «فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون»، والتصريح بالمعاد الجثماني والاستدلال عليه بالدليل، الذي نقل أن أبا نصر الفارابي[1] ـ الذي وُسِم بأنه المعلم الثاني ـ كان يقول: وددت لو أن هذا العالم الرباني ـ يشير إلى المعلم الأول أرسطو[2]

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طوخان ـ وقيل: ابن طرخان بن أوزلغ الفارابي، حكيم رياضي، طبيب موسيقى، عارف باللغات: التركية والفارسية، واليونانية والسريانية. ولد في فاراب سنة ٢٦٠، وأتقن العربية، وسافر الى مصر. وتوفي بدمشق في رجب سنة ٣٣٩.
راجع: سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٣ البداية والنهاية ١١/٢٢٤. شذرات الذهب ٢٠/٣٥٠.

(٢) هو أرسطو بن نيقو ماخوس المقدوني، ولد في حدود سنة ٣٨٤ ق. م. في مدينة أسطاغيرا احدى مدن مقدونيا، وكان أبوه طبيباً للملك أمينتاس جد الاسكندر الأكبر ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره انتقل الى أثينا باليونان فأخذ عن أفلاطون، ولازمه مدة كبيرة من حياته، وكان أرسطو حاد الذكاء، واسع المعرفة، محيطاً بعلوم عصره. وألف في المنطق والشعر والخطابة، وعلوم الطبيعة، والرياضة، والنبات والحيوان. والفلك والطب. وله كتاب موضوعه «العلم الإلهي» يحوي أربع عشرة مقالة، واعتقد بأن الله هو الموجود الأول، والمبدأ الأعلى الذي لا علة له‌ومات أرسطو في حوالي سنة ٣٢٢ ق.م.
راجع: دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية ص ٤٣ ـ ٧٤ دكتور عبد الشمالي ط بيروت ١٩٧٩ الطبعة الخامسة.
والفلسفة اليونانية ص ١٨١ للدكتور كريم متي. مطبعة الإرشاد ببغداد سنة ١٩٧١.

ـ وقف على هذا القياس الجلى، حتى أعلم ما يقول فيه، ويتلو قوله تعالى: ﴿ **قال من يُحي العظام وهي رميم قل يُحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[1].

وترتيب القياس أن يقال: الله أنشأ العظام، وأحياها أول مرة، وكل من أنشأ شيئاً وأحياه أول مرة، فهو قادر على إنشائه وإحيائه ثاني مرة، ينتج: أن الله قادر على إنشاء العظام وإحيائها بعد إفنائها[2].

فلما اختصت[3] بذلك عن باقي القرآن، كانت قلباً لـه، كما قـال النبي ﷺ، على ما سيأتي في الفضائل.

هذا ما هداني الله ـ وله الحمد ـ إليه، من بيان السر في كونها قلباً. ثم رأيت البرهان النسفي قال في تفسيره في آخر السورة، بعد أن ذكر الحديث في تسمية النبي ﷺ لها قلباً: قال الغزالي فيه: إن ذلك ـ أي كونها قلباً ـ لأن الايمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر متقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك. واستحسنه الإمام المحقق فخر الدين الرازي.

ويمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين.

فابتدأها ببيان الرسالة بقوله: «﴿ **إنك لمن المرسلين** ﴾[4] ودليله: ما قدمه عليها بقوله: ﴿ **والقرآن الحكيم** ﴾[5]، وما أخره عنها بقوله: ﴿ **لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم** ﴾[6] وأنهاها ببيان الوحدانية والحشر.

---

(١) الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) قياس من الشكل الأول.
(٣) في د: فاختصر.
(٤) الآية: ٣.
(٥) الآية: ٢.
(٦) الآية: ٦.

فقوله: ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾[1] إشارة إلى التوحيد.

وقوله: ﴿ وإليه ترجعون ﴾[1]، إشارة إلى الحشر.

وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها. ومن حصل من هذا القرآن، هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان.

وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة.

فلما كان فيها أعمال القلب لا غير، سماها قلباً، ولهذا ورد عنه ﷺ قراءتها عند رأس من دنى منه الموت، لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة، والأعضاء ساقطة المنة لكن القلب يكون قد أقبل على الله (تعالى)[2]، ورجع عن كل ما سواه، فيقرأ عند رأسه ما يزداد به قوة في قلبه، فيشتد تصديقه بالأصول الثلاثة.

انتهى وفيه بعض تصرف.

وقوله: إن وظيفتي اللسان والأركان ليس في هذه السورة منهما شيء، ربما يعكس عليه قوله تعالى: **﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني ﴾**[3]، **﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ﴾**[4]، **﴿ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾**[5].

هذا، وقد استمد من هذا الصريح في أمر الحشر، كل ما انبث في القرآن من ذكر الآخرة الذي بمراعاته واتقانه، يكون صلاح جميع الأحوال، في

---

(١) الآية: ٨٣.

(٢) ما بين القوسين ساقط من د.

(٣) الآية: ٢٢.

(٤) الآية: ٤٧.

(٥) الآية: ٦١.

الدارين، وبإهماله ونسيانه يكون فسادها فيهما.

هذا ما شاركت به غيرها مما جمعته من جميع معانيه المجموعة في الفاتحة من الأسماء الحسنى: الله، والرب، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين، الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، والأمر بالعبادة بسلوك الصراط المستقيم، وتفصيل أهل النعيم، وأهل الجحيم، وإثبات الأصول الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمناً: الوحدانية، والحشر، والرسالة، التي هي قلب الوجود، وبها صلاحه، وهي ممدة لكل روح يكون به حياةٌ هنيئة، وهي مبدأ الصلاح، كما أن البعث غايته وأن الخاتم لها إنسان عين الموجوادات وقلبها[1]، فأثبت له ذلك على أصرح وجه وآكده.

ومع جمع ما افتتحت به السورة من الحزوف المقطعة، المنشورة أول السور، عماداً للقرآن وشحذا للأذهان، لصنفي المنقوطة أو العاطلة، ووصفى المجهورة والمهموسة.

ولما كان القلب من الإنسان المقصود بالذات من الأكوان، في نحو ثلث بدنه من جهة رأسه وكانت الياء في نحو ذلك من حروف أبجد، فإنها العاشرة منها. والسين بذلك المحل من حروف أ ب ت ث، فإنها الثانية عشرة منها وعَلاَ هَذَانِ الحرافانِ بما فيهما من الجهر عن غاية الضعف، ونزر بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة، إشارة إلى أن القلب الصحيح هو الزجاجي الشفاف، الجامع بين الصلابة والرقة، الذي علا بصلابته عن رقة الماء، الذي لا تثبت فيه صورة ونزل بلطافته عن قساوة الحجر، الذي لا يكاد ينطبع فيه شيء إلا بغاية الجهد، فكان جامعاً بين الصلابة والرقة متهيئاً لأن تنطبع فيه الصور وتثبت، ليكون قابلاً مفيداً، فيكون متخلقاً من صفات مُوجَدِهٍ بالقدرة والاختيار، اللذين دلت عليهما سورة الملائكة، وبمعرفة الخير فيجتلبه والشر فيجتنبه، فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق في صانعه.

(١) يعني: سيدنا محمدا ﷺ.

وكانت المجهورة أقوى، فقدمت الياء لجهرها، وكانتا بعد الاختلاف بالجهر والهمس قد اتفقتا في الانفتاح والرخاوة والاشتغال، إشـارة إلى أن القلب لا يصلح - كما تقدم - مع الصلابة التي هي في معنى الجهر، إلا بالإخبات، الذي هو في معنى الهمس، وبالنزول عن غاية الصلابة إلى حَدِّ الرخاوة، لئلا يكون حجرياً قاسياً، وبأن يكون مشتغلاً، ليكون إلى ربه - بتواضعه وبُعْدِه عن النفور والاستكبار[1] - سائراً واصلاً وزادت الصفير الذي فيه شدة وانتشار وقوة بضعفها عن الياء بالهمس فتعادلتا. ودل صفيرها على النفخ في الصور، الذي صرحت به هذه السورة.

ودل جهر الياء على قوته، ودل كونها من حروف النداء على خروجه عن الحد في شدته، حتى تبدو عنه تلك الآثار، المخلية للديار، المفنية للصغار والكبار، ثم الباعثة لهم من جميع الأقطار إجابة لدعوة الواحد القهار.

وكان مخرجها من اللسان، الذي هو قلب المخارج الثلاثة، لتوسطه وكثرة منافعه في ذلك، وكانت الياء من وسطه، والسين من طرفه، وكان هذان المخرجان - مع كونهما وسطا - مداراً لأكثر الحروف.

هذا مع مالهما من الأسرار، التي تدق عن تصور الأفكار.

قال تعالى: ﴿ يس ﴾.

وإن أريد يا إنسان[2] فهو قلب الموجودات كلها، وخالصها، وسرها، ولبابها.

وإن أريد: يا سيد، فهو خلاصة من سادهم.

---

(١) في د: الاستكثار.

(٢) هذا وما بعده يشير الى اعتقاد المؤلف بأن «يس» اسم للنبي ﷺ، وهـو غير صحيح، ومناقض لما ذكره قبل ذلك من كونها من الحروف المقطعة، ومحاولته الربط بين صفات هذه الحروف وبين مضمون السورة وما تدل عليه من القضايا الكبرى كالتوحيد، والرسالة، والبعث.

وإن أريد: يا رجل فهو خلاصة البشر.

وإن أريد: يا محمد، فهو خلاصة الرجال، الذين هم لباب البشر، الذين هم سر الأحياء الذين هم عين الموجودات، فهو خلاصة الخلاصة، وخيار الخيار، وإنسان العين، وعين القلب.

وكأن من قال معناه: يا محمد، نظر إلى الاتحاد في عدد حروف اسمه ﷺ، بالنظر إلى المِيمَيْنْ في المشددة، وعدد اسمى الحرفين.

ولا يخفى أن الهمزة في اسم الياء ألف ثانية، فمبلغ عددها اثنا عشر.

ثم إنه لما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره ﷺ، لأنه أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً، فكانوا في الحقيقة إنما هم ممهدون لشرعه، وكأن سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق، وكأن قد جعل سبحانه من المكارم أن لا يكلم الناس إلا بما يسع عقولهم، وكانت عدة المرسلين عليهم السلام، كما في حديث أبي أمامة الباهلي عن أبي ذر رضي الله عنهما، عند أحمد في المسند ثلاثمائة وخمسة عشر[١].

وفيه: أن الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً[٢].

وهو في الطبراني الكبير، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فذكر عدد الرسل فقط.

و(لما)[٣] كانت عقول العرب لا تسع بوجه أول الدعوة قبل الإيمان، أنهم منه، أقسم سبحانه ظاهراً أنه منهم، ورمز الأصفياء باطناً إلى أنهم منه، بجعلهم عدد أسماء حروف اسمه «محمد» الذي رمز إليه بالحرفين أول السورة.

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٢) مسند الإمام أحمد: الموضع السابق.
(٣) ليست بالأصل.

فكأنه قال: إنك يا ياسين[1] ـ الذي تأويله محمد، الذي عدد أسماء حروفه بعدِّهم ـ لأصلهم. فصار رمزاً في رمز، وكنزاً نفيساً تحت كنز، وسراً من سر، وخفاء من وراء ستر، وهو ألذ في مناداة الأحباب، من صريح الخطاب [2].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود[3]، والنسائي[4]، وابن ماجة، وأبو يعلى الموصلي والإمام أحمد في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والطبراني، عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: البقرة سنام القرآن ـ الحديث كما مضى في البقرة، إلى أن قال: ـ ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرؤوها على موتاكم[5].

وأخرجه البيهقي في الشعب عن معقل رضي الله عنه، ولفظه: من قرأ

---

(١) هذا تأكيد من المؤلف لما أشار اليه سابقاً من أن «يس» من أسماء النبي ﷺ أو هو نداء بمعنى: يا محمد. وهذا خطأ صريح يحتاج في إثباته الى دليل صحيح.

(٢) ما ذكره المؤلف من أول الكلام على صفات الحروف يعد خروجاً عن المقصود، وتركاً للب الموضوع، ودوراناً حوله بما لا صلة له به أصلاً، وما كان أغناه عن ذلك وهذه الطريقة سلكها في كثير من السور المبدوءة بأحرف مقطعة.

وأما ما ذكره من أن السورة تشير الى الأصول العقائدية الثلاثة، وهي: التوحيد، والرسالة، والبعث. فهو خلاصة ما اشتملت عليه، وهو مقصودها الأصلي.

(٣) في د: «أبو عبيد» ولعله الصواب، لأن الحديث بهذا اللفظ غير موجود في سنن أبي داود.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥٦٣/٣: رواه النسائي في عمل اليوم والليلة.

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٦/٥.

وسنن ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض إذا أحضر ٤٦٦/١ حديث رقم ١٤٤٨.

قال الهيثمي ٣١١/٦: فيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح.

يس ابتغاء وجه الله، غفر له ما تقدم من ذنبه، فاقرأوها عند موتاكم.

ورواه أبو داود في السنن، والبيهقي في الدعوات عنه، ولفظهما: اقرأوا على موتاكم يَس[1].

ورواه أبو عبيد ولفظه: اقرأوها على موتاكم. يعني: يس.

قال شيخنا البوصيري: وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البزار في مسنده[2].

ولأحمد. وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة وابن حبان، والحاكم عن معقل بن يسار ـ أيضاً ـ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: اقرأوا على موتاكم يس[3].

وروى ابن رجب في كتابه «الاستغناء بالقرآن» عن أسد بن وداعة[4] قال: لما حضر غضيف بن الحارث[5] رضي الله عنه ـ الموت، حضره إخوانه،

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت ٣/١٩١ حديث رقم٣١٢١.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٦٣: أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار: حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد ـ هو ابن الحباب ـ حدثنا حميد ـ هو المكي مولى آل علقمة ـ عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس. ثم قال ـ أي البزار ـ: لا نعلم رواه الا زيد عن حميد. اهـ.

قلت: وحميد، ابن عبد الرحمن. قال الذهبي في الميزان ١/٦١٣: مجهول.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٦.

وسنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت ٣/١٩١ حديث رقم ٣١٢١.

والمستدرك: كتاب فضائل القرآن. باب ذكر فضائل سور وآي متفرقة ١/٥٦٥.

قال الذهبي: رفعه ابن المبارك. ووقفه يحي.

(٤) أسد بن وداعة، شامي، تابعي، كان يسب عليا رضي الله عنه.

راجع الميزان ١/٢٠٧. والمغني في الضعفاء ١/٧٦.

(٥) هو غضيف بن الجارث بن تيم ـ وقيل: زنيم ـ السَّكوني، أبو أسماء الحمصي، روى عن عمر وبلال، وثقة العجلي وابن سعد، مات في خلافة مروان. (الخلاصة ٣٠٧).

فقال: هل فيكم من يقرأ سورة يس؟. قال رجل من القوم: نعم. قال: اقرأ ورتل وأنصتوا. فقرأ ورتل واستمع القوم، فلما بلغ: ﴿ **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾[1]، خرجت نفسه.

وللترمذي وقال: غريب[2]، والدارمي، عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات[3].

زاد في رواية: دون يس.

وعند الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في ليلة الجمعة، غفر له.

ورواه أبو يعلى ولفظه: من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له[4].

ورواه الطبراني من رواية الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: من قرأ يس في يوم أو ليلة ابتغاء وجه الله، غفر له[5].

---

(١) آية: ٨٣ من السورة.

(٢) نص عبارة الترمذي هكذا: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة الا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، اهـ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في يس ٤/٢٢٧ حديث رقم ٣٠٤٨. وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٢/٤٥٦.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٥٦٣: إسناده جيد.

(٥) المعجم الصغير للطبراني ١/١٤٩.

قال الهيثمي ٧/٩٧: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه أغلب بن تميم وهو ضعيف، اهـ.

ورواه أبو نعيم في الحلية ٢/١٥٩ في ترجمة الحسن من وجه آخر وقال: هذا حديث رواه عن الحسن عدة من التابعين، منهم يونس بن عبيد، ومحمد بن جحادة.

ولفظه. عند أبي نعيم: من قرأ يس في ليلةٍ التماسَ وجه الله غُفر له.

(ورواه الدارمي من هذه الطريق[1]، ولفظه: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة)[2].

ورواه أبو يعلى والطيالسي بهذا اللفظ، عن ابي هريرة - أيضاً - رضي الله عنه[3].

وللطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من دام على قراءة يس كل ليلة، ثم مات، مات شهيداً[4].

وعند مالك، وابن السني، وابن حبان في صحيحه، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له[5].

وتقدم في براءة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[6].

وفي طه مرسل عن شهر بن حوشب كذلك[7].

وروى أحمد بن منيع عن أمامة، عن أبي بن كعب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر له. ومن قرأ يس فكأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة. ومن قرأ يس وهو في سكرات الموت،

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٢/٤٥٧.

(٢) ما بين الحاضرين ساقط من د.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٢/٢٣.

(٤) معجم الطبراني الصغير ٢/٨٨.

قال الهيثمي ٧/٩٧: رواه الطبراني في الصغير، وفيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذاب.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٢٥١ حديث رقم ٦٧٩.

ولم أعثر عليه في موطأ الإمام مالك.

(٦) راجع: ج ٢/٢٠٠.

(٧) راجع: ج ٢/٣٣٠.

جاء رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة حتى يسقيه وهو على فراشه حتى يموت ريان، ويبعث ريان(١).

وروى الإمام أحمد في المسند عن سماك بن حرب عن رجل من أهل البادية ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى خلف النبي ﷺ، فسمعه يقرأ في صلاة الفجر ق والقرآن المجيد ويس والقرآن الحكيم(٢).

وللدارمي عن عطاء بن أبي رباح قال: بلغني: أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس في صدر النهار، قضيت حوائجه(٣).

ورواه أبو الشيخ ابن حيان عن ابن عباس، والبراء بن عازب، رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ: ومن قرأها في صدر النهار، وقدمها بين يدي حاجته قضيت.

ورواه القاضي أبو عبد الله المحاملي في الخامس من أماليه عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من جعل يس أمام حاجته قضيت له.

---

(١) حديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن: سورة سورة، موضوع باتفاق أهل العلم وضعه أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، وفرّقه علي السور أبو اسحاق التغلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه في ذلك أبو الحسن الواحدي وممن اقتدى به الزمخشري في الكشاف، والبيضاوي في تفسيره.
راجع: اللآلىء للسيوطي ١/١١٨ وتذكرة الموضوعات للفتنى ص ٨٢. والميزان للذهبي ٢٧٩.

(٢) الفتح الرباني «ترتيب مسند الإمام أحمد» كتاب الصلاة ٣/٢٣١ حديث رقم ٥٨٥.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١١٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، اهـ. وأما الجهل باسم الصحابي فإنه لا يضر، للإجماع على أن الصحابة عدول.

(٣) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل يس ٢/٤٥٧.
قال الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/٥٦٣: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة، أنها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

وذكر ابن هشام في السيرة في مقدمة الهجرة، اجتماع قريش في دار الندوة، ومعهم إبليس في هيئة شيخ نجدي للمشاورة فيما يصنعونه برسول الله ﷺ، وأن أبا جهل أشار بأن يقتلوه، وصوب رأيه الشيخ النجدي.

ثم قال: قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: اجتمعوا له ـ يعني ليقتلوه ـ وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال ـ وهو على بابه ـ: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ريح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، قال: وخرج عليه رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك أنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من: ﴿**يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم ـ إلى قوله ـ: وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾[1]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل، إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟. قالوا محمداً. قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، فما ترون ما بكم؟.

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعونه[2]، فيرون علياً على الفراش متسجياً بِبُرْدِ رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى

---

(١) آية: ٩.

(٢) في د: يطلعون.

أصبحوا، فقام علي عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صَدَقَنَا الذي حَدَّثَنَا[1].

وللدارمي عن الحسن رحمه الله قال: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، ومرضاة الله غفر له، وقال: إنها تعدل القرآن كله[2].

وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت؛ من قرأ يس حين يصبح، أعطى يسر يومه حتى يمسى ومن قرأها في صدر ليلة، أعطى يسر ليلته حتى يصبح[3].

وروى الأصبهاني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة، غفر له:

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت رجلاً يحدث: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس ومن قرأها فإنها تعدل القرآن، أو قال: تعدل قراءة القرآن كله، ومن قرأ «قل يا أيها الكافرون» فإنها تعدل ربع القرآن، وإذا زلزلت شطر القرآن[4].

ولأبي بكر الشافعي في الجزء السابع من «الغيلانيات»، عن عبد الله بن سمحج الجني، رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من مريض تقرأ عنده يس، إلا مات ريان، وأدخل قبره ريان، وحشر يوم القيامة ريان.

هكذا في نسختي: ابن سمحج.

(وفي[5] «تجريد الصحابة» للحافظ شمس الدين الذهبي: أنه كان

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ١/٤٨٣.

(٢) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل يس ٢/٣٢٨ حديث رقم ٣٤١٨.

(٣) سنن الدارمي: الموضع السابق، يث رقم ٣٤٢٢.

(٤) مصنف عبد الرزاق: كتاب فضائل القرآن باب تعليم القرآن وفضله ٣/٣٧٢ حديث رقم ٦٠٠٩.

(٥) ما بين الحاصرين ساقط من د.

اسمه سمجح)[1] فسماه النبي ﷺ عبد الله.

وكذا ذكره شيخنا في كتاب «الإصابة»[2]، وضعف عبد الله بن الحسين المصيصي شيخ الطبراني[3]، أحد رواة الحديث.

وفي الفردوس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: سورة يس، تدعى في التوراة: المعمة[4].

---

(١) تجريد أسماء الصحابة ١/٢٣٨ ترجمة رقم ٢٤٩٩.

(٢) الإصابة ٢/٧٦، ٧٧.

(٣) نص كلامه في الإصابة ٢/٧٧: ذكره ابن حبان في «الضعفاء» فقال: يقلب الأخبار ويسرقها، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، اهـ.
وذكره الذهبي في الميزان ٢/٤٠٨. والمغني في الضعفاء ١/٣٣٥.

(٤) قال السيوطي في اللآلىء ١/١٢١: باطل، الجُدْعَاني متروك.
والجدعاني - هذا - هو: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي الجدعاني أبو غرارة زوج جبرة الخزاعية، قال البخاري: منكر الحديث (المغني ٢/٦٠٤، والميزان ٣/٦١٩).
وأما أبوه عبد الرحمن فقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن معين ضعيف (المغني ٢/٣٧٦).
وفي السند سليمان بن مرقاع الجندعي - يروي عنه الجدعاني - قال العقيلي: منكر الحديث. (الميزان ٢/٢٢٢ والمغني ١/٢٢٨٣.
وروى هذا الحديث عن أنس مرفوعاً من طريق محمد بن عبد بن عامر السمرقندي، قال الذهبي في المغني ٢/٦١٠: كان يضع الحديث.
وقال في الميزان ٣/٦٣٣: قال الدار قطني: كان يكذب ويضع الحديث.
وتمام الحديث - كما أورده السيوطي في اللآلىء -: «قيل: يا رسول الله وما المعمة؟. قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع أهاويل الآخرة، وتدعي القاضية والدافعة، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفة ألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت منه كل غل وداء».
ففي متن الحديث - كما ترى - مبالغات تشهد بوضعه.

ولأبي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: من قرأ في ليلة؛ ألم تنزيل السجدة، ويس، واقتربت الساعة، وتبارك، كن له حرزاً من الشيطان وشركه، ورفعه الله في الدرجات يوم القيامة.

وروى البزار من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي ـ قال الهيثمي: وهو ضعيف[١] ـ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قول الله تعالى: ﴿ **سلام قولاً من رَبٍّ رحيم** ﴾. قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، لا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه (حتى يحتجب عنهم)[٢] ويبقى نوره في ديارهم[٣].

هذا وجَعْلُ هذه السورة مرة كالقرآن يتلوه في الليلة مرة واحدة، وتارةً كالقرآن عشر مرات، وأخرى كالقرآن ثنتي عشرة مرة، لا تعارض فيه، ولله الحمد، بل هو بالنظر إليه بحسب جهات متنوعة.

فالأول ناظر إلى: أن قلب الشيء لما كان هو المصرف له ولا يمكن عادة تفكره بدونه كان عديلاً له بدون قلب.

والثاني وهو العشر، ناظر إلى: أن القلب كالشيء من غير قلب عشر مرات، لأن منافع البدن وهي أعوان القلب، تابعة للقلب، ولما كان يعدم تمام الانتفاع بعدم واحدة منها، عد الباقي عَدَماً. وبتلك المنافع يكون تمام المعارف، التي هي المقصودة منه. وهي قسمان: أعيان، ومعان.

(١) مجمع الزوائد ٩٨/٧.

(٢) زيادة عن تفسير ابن كثير.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه: المقدمة، باب فيما أنكرته الجهمية ٦٥/١ حديث رقم ١٨٤. وفيه عبد الله بن عبيد الله أبو عاصم العباداني، قال الذهبي الذهبي في الميزان ٤٥٨/٢: واه، وهو واعظ زاهد، إلا أنه قدري. وقال في المغنى ٧٩٣/٢: يأتي بالعجائب.

الدماغ، والرئة، والكبد والطحال، والكليتان، والحواس الخمس الظاهرة، فإن في كل حاسة الدية كاملة.

أو يقال: إن ذلك بالنظر إلى الحواس الظاهرة والباطنة (من غير نظر إلى الأعيان، وللثالثة بالنظر إلى الحواس العشر الظاهرة والباطنة)[١] واليدين وللرجلين، فتلك اثنتا عشرة، لأن اليدين والرجلين عضوان فقط، ولهذا قوبلا بديتين[٢]. ومهما نقص من هذه الأشياء. نقص من بيان المدركات بحسبه.

فكأن سورة يس مع القرآن بدونها بهذه المنزلة في البيان، والله أعلم.

وروى الحافظ ابن رجب في كتابه «الاستغناء بالقرآن» من طريق أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون[٣]، عن مُجَّاعة بن الزبير[٤]، قال: دخلت على حمزة الزيات فوجدته يبكي، فقلت: ما يبكيك؟. فقال: فكيف لا أبكي وقد رأيت ربي تبارك وتعالى الليلة في منامي، كأني عُرضت على الله، ؛ فقال لي: يا حمزة اقرأ القرآن كما علمتك، فوثبت قائماً، فقال لي: يا حمزة اجلس فإني أحب أهل القرآن. ثم قال لي: يا حمزة اقرأ، فقرأت حتى بلغت سورة طه فقلت: طوى وأنا اخترتك» فقال: بين طوى وأنا اخترناك. ثم قال لي:

---

(١) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٢) في د: قوّما بديتين.

(٣) هو أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون ـ أو له غين معجمة، وفي وسطه باء موحدة ـ ابن المبارك الحلبي، نزيل مصر، قال ابن الجزري: أستاذ ماهر كبير كامل، محرر ضابط، ثقة خيّر، صالح ديِّن، اهـ، ولد بحلب سنة ٣٠٩، وانتقل إلى مصر فأقام بها وألف كتابه «الإرشاد في القراءات السبع»، وكانت وفاته بمصر في جمادي الأولى سنة ٣٨٩ عن ثمانين سنة.

راجع: طبقات القراء ١/٤٧٠، والنشر ١/٧٩.

(٤) هو مُجَّاعة بن الزبير، روى عن محمد بن سيرين وقتادة، وعنه شعبة وعبد الصمد التنوري قال شعبة: كان صوّاما قوّاماً، وقال أحمد: لم يكن به بأس في نفسه. وقال الدار قطني: ضعيف.

راجع: الميزان ٣/٤٣٧، والمغني في الضعفاء ٢/٥٤٢.

اقرأ، فقرأت حتى بلغت سورة يس، فقلت: «تنزيل العزيز الرحيم». فقال: جل وعز: قل: «تنزيل العزيز الرحيم»، يا حمزة كذا قرأت، وكذا أقرأت حملة العرش، وكذا يقرؤه المقربون، ومضى في الأعراف منـام له حسن أيضاً[1].

(١) راجع ص .

سورة الصافات

وتسمى: الزينة[١].

مكية كلها إجماعاً. قاله ابن الجوزي[٢].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها مائة وثمانون وآية في البصرى، وأبي جعفر من المدني، وآيتان في عدد الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿ **وما كانوا يعبدون** ﴾[٣]. لم يعدها البصرى وحده.

﴿ **وإن كان ليقولوا** ﴾[٤] وه الثاني، لم يعدها أبو جعفر، وعدها الباقون. وشيبة من المدنيين.

---

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿إنّا زَيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾.

(٢) زاد المسير ٦/٤٤.

(٣) آية: ٢٢.

(٤) آية: ١٦٧.

وفيها مما يشبه الفواصل. وليس معدوداً بإجماع، ستة مواضع:
﴿ المـلأ الأعلى ﴾[1]، ﴿ أم من خلقنا ﴾[2]، ﴿ مـاذا ترى ﴾[3].
﴿ ما تؤمر ﴾[4]. ﴿ وعلى إسحاق ﴾[5]. ﴿ وبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً ﴾[6].
وعكسه ثلاثة:
﴿ وتَـلَّهُ لـلجبـيـن ﴾[7]. ﴿ يـا إبـراهـيـم ﴾[8]. ﴿ كـيـف تحكمون ﴾[9].
ورويها سبعة أحرف: فقد منبر.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على آخر يس؛ من التنزه[10] عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوحدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هـو المعنى الذي أشـار إليه تسميتهـا بالصـافات. لأنالصف يلزم منه الوحدة في الحشر. باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة.

مع أن المراد منه هنا[11]: الاتحاد في التنزيه ﴿[12] وإنا لنحن الصافُّون،

(١) آية: ٨.
(٢) آية: ١١.
(٣) آية: ١٠٢.
(٤) آية: ١٠٢.
(٥) آية: ١١٣.
(٦) آية: ١٥٨.
(٧) آية: ١٠٣.
(٨) آية: ١٠٤.
(٩) آية: ١٥٥.
(١٠) في د: التنزيه.
(١١) في د: هنا منه.
(١٢) الآيتان: ١٦٥، ١٦٦ من السورة.

وإنا لنحن المسبحون﴾[1].

(١) سورة الصافات سورة مكية، وأول أهدافها بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله، ولكنها تركز على صورة معينة من صور الشرك كانت سائدة في البيئة العربية آنذاك، وتقف أمام هذه الصورة وقفات طويلة متأنية، تكشف عن زيفها، وعرض دلائل بطلانها، وهذه الصورة هي: زعم المشركين أن هناك قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وهذه القرابة قائمة على التزاوج أو ما يشبهه ونتيجة لهذا التزاوج ولدت الملائكة. ثم زعمهم: أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله عز وجل. ولما كانت هذه الأسطورة الشركية هي الموضوع البارز الذي تعالجه السورة فإنها بدأت بالحديث عن طوائف الملائكة: «والصافات صفا، فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً».

ثم يتلوه حديث عن الشياطين المردة، وتعرضهم للرجم بالشهب الثاقبة كي لا يقربوا من الملأ الأعلى، ولا يتسمعون لما يدور فيه.

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحوراً ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾.

وفي ثنايا السورة يجيء تشبيه ثمار شجرة الزقوم التي يأكلها الظالمون في جهنم، يجيء تشبيه ثمارها برؤوس الشياطين:

﴿أذَلك خير نزلا أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾.

وفي نهاية السورة تأتي الحملة المباشرة على تلك الأسطورة الكاذبة:

﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون.

إلا إنهم من إفكهم ليقولون، ولد الله وإنهم لكاذبون، أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون، أفلا تذكرون، أم لكم سلطان مبين، فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون، سبحان الله عما يصفون﴾.

والى جانب علاج تلك الصورة الخاصة من صور الشرك في المجتمع الجاهلي، تناولت السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السورة المكية. فعرضت لصفة الوحدانية:

﴿إن الهكم لواحد. رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾.

ثم تناولت قضية البعث والحساب والجزاء: ﴿وقالوا إنْ هذا إلا سحر مبين، إءذا

فضائلها

وأما فضائلها: فتقدم في الأعراف حديث في فضل عشر آيات من أولها[١].

وزوى صاحب الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس والصافات ليلة الجمعة، ثم سأل الله تعالى، أعطاه سؤله.

وفي الترغيب بصيغة «روى» عند الطبراني، عن عبد الله بن أرقم[٢]، عن أبيه رضي الله عنه قال: من قال دبر كل صلاة: سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»، فقال اكتال بالجريب الأوفى من الأجر[٣].

والجريب ـ بفتح الجيم، وآخره موحدة ـ: مكيال ضخم، هو بمقدار أردبين، وذلك أربعة أخماس وسق، والوسق: ستون صاعاً، والصاع: أربعة أمداد، والمد: رطل وثلث، وهو ملء كفى الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده وبه سمي مدا.

= متناوكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون، أو ءاباؤنا الأولون، قُلْ نعم وأنتم داخرون ﴾.
ثم عرضت لقضية الوحي والرسالة: ﴿أءنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون، بل جاء بالحق وصدّق المرسلين﴾.
وبجانب هذا وذاك تعرض سلسلة من قصص المرسلين: نوح وابراهيم وبنيه، وموسى وهارون، والياس ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله ونصره لرسله، وأخذه من المكذبين بالعذاب والتنكيل: ﴿ولقد ضل قبلهم أكصر الأولي، ولقد أرسلنا فيهم منذرين، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلّا عباد الله المخلصين﴾.
راجع الظلال ٥/٢٩٨٠.

(١) راجع ٢/١٨١.

(٢) هو عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، أسلم يوم الفتح، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر، وولاه عمر بيت المال، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه (الإصابة ٢/٢٦٥).

(٣) الترغيب للحافظ المنذري ٢/٤٥٤ وسكت عليه.
وذكره الحافظ ابن كثير ٤/٢٥ وسكت عليه أيضاً.

قال صاحب القاموس: وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً[1].

ولابن السني في اليوم والليلة، وعبد بن حميد في المسند، والبيهقي في الدعوات، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من صلاته لا أدري قبل أن يسلم أو بعده، يقول:

ولفظ البيهقي قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف.

ولفظ عبد: كان رسول الله ﷺ يقول دبر الصلاة، لا أدري قبل التسليم، أو بعد التسليم.

وفي روايته: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاة قال: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[2].

وروى عبد الرزاق في تفسيره وأبو نعيم في الحلية، والبغوي في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه، أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[3].

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح إلى الشَّعْبِي مرسلاً بهذا اللفظ قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن يكتال بالمكيال[4] الأوفى من

(١) القاموس المحيط ٣٤٩/١.

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني ص ٥٤ حديث رقم ١١٧.
وفي سنده سفيان بن وكيع أبو محمد الرواسي، ضعفه أبو زرعة، وابن أبي حاتم. «الميزان ١٧٣/٢».
وفيه أبو هارون العبدي عمارة بن جوين، التابعي، المتوفي سنة ١٣٤، خارجي شيعي كان يروي عن أبي سعيد ما ليس من حديثه.
الميزان ١٧٣/٣.

(٣) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ١٧٦/٧.

(٤) في د: بالكيل.

الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه، أو حين يريد أن يقوم: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[١].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٢٥ من طريق أبي حاتم.
وفي سنده شبابة بن سوار المدائني، كان مرجئاً. قال الذهبي: وشبابة يحتج به في كتب الإسلام، ثقة.

سورة ص

وتسمى: سورة داود.

مكية. قال الجعبري: لذكر الآلهة. وقيل: مدنية، انتهى.

فلا يغتر بقول أبي حيان: مكية بلا خلاف[1].

وكذا قال ابن الجوزي: مكية بإجماعهم[2].

عدد آياتها وفواصلها

وآيها ـ قال الإمام أبو عمرو الداني ـ: ثمانون وخمس آيات في البصرى، وهو عدد أيوب ابن المتوكل[3]. وست في عدد المدنيين والمكي والشامي،

(١) البحر المحيط ٧/٣٨٢ وليس فيه: «بلا خلاف».

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٧/٩٦.

(٣) هو أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري، الإمام الثقة الضابط، له اختيار تبع فيه الأثر قرأ على الكسائي ويعقوب الحضرمي. توفي سنة ٢٠٠.
طبقات القراء ١/١٧٢: الترجمة رقم ٨٠٨.

وعاصم الجحدري وثمان في الكوفي.

اختلافها ثلاث آيات:

﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾[1] عدها الكوفي وحده.

﴿ كل بناء وغواص ﴾[2]، لم يعدها البصري، وعدها الباقون.

﴿ والحقَّ أقول ﴾[3]. عدها الكوفي وعاصم الجحدري من البصري، ولم يعدها الباقون.

ولا أيوب بن المتوكل من البصري.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً باجماع، أربعة مواضع:

﴿ من ذكرى ﴾[4]، ﴿ قوم نوح وعاد ﴾[5]، ﴿ وقوم لوط ﴾[6]، ﴿ لداود وسليمان ﴾[7].

ورويها عشرة أحرف: قطرب، صد، من، ولج[8].

مقصودها

ومقصودها: بيان ما ذكر في آخر الصافات، من أن جند الله هم الغالبون، وإن رُئي أنهم ضعفاء، وإن تأخر نصرهم غلبة، أخرها لهم سلامة

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ٣٧.

(٣) آية: ٨٤.

(٤) آية: ٨.

(٥) آية: ١٢.

(٦) آية: ١٣.

(٧) آية: ٣٠.

(٨) الجيم: «وآخر من شكله أزواج ٥٨».

والصاد: «ولات حين مناص ٣ «،» والشياطين كل بناء وغواص ٣٧».

والطاء: واهدوهم الى سواء الصراط ٢٢».

واللام: «قال فالحق والحق أقول ٨٤».

للفريقين، لأنه سبحانه واحد لكونه محيطاً بصفات الكمال.

ومن الحكمة البالغة: جعلهم ـ أولا ـ ضعفاء، لأن نصرهم حينذاك أدل على القدرة فإنهم لو كانوا أقوياء، لأسند النصر إلى قوتهم، لا إلى قدرة ربهم سبحانه.

وعلى ذلك دلت تسميتها بص، لأن مخرجه من طرف اللسان وبين أصول الثنيتين السفليين وله من الصفات: الهمس، والرخاوة، والإطباق، والاستعلاء والصفير. ولأن ماله من الصفات العالية أثر من ضدها وأفخم، وأعلى وأضخم. ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن لهم على أيديهم هلاك، بل ابتلوا وعوفوا، وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس(١).

وإلى هذا المقصد الإشارة بما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من أن معناه: الله صادق فيما وعد، أو صَادَ محمد قلوب الخلق واستمالها.

وتسمى سورة داود عليه السلام، كما قاله ابن الجوزي(٢).

ولا شك أن حاله ﷺ أدل أحوال من فيها من الأنبياء على هذا المقصد لما كان فيه من الضعف أو لا، والملك آخراً، مع ما في ذلك من الإشارة إلى جعل نبينا ﷺ خليفة الله في عباده، وأنه وأتباعه يملكون جميع الأرض، بطولها والعرض، إلى أن يكون ذلك على يد أعظم هذه الأمة عيسى بن مريم،

---

(١) يعني بهم: داود وسليمان، وأيوب واسماعيل، واليسع وذو الكفل، عليهم الصلاة والسلام.
(٢) زاد المسير ٧/٩٦.

الذي هو من نسل داود[1] عليهما السلام[2].

فضائلها

وأما فضائلها: فروى البخاري، وأبو داود، والترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مجاهداً قال له: أأسجد في ص؟. فقرأ: ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان ـ حتى أتى ـ: فبهداهم اقتده** ﴾[3]. فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم[4].

(١) لأن مريم بنت عمران أم عيسى المسيح. ينتهي نسبها الى سليمان بن داود، عليهم السلام. وقد ساق نسبها الحافظ ابن كثير في البداية ٥٦/٢ من طريقين بينهما اختلاف يسير. ثم قال: ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام. اهـ. الا أن المرحوم عبد الوهاب النجار ينقل في كتابه «قصص الأنبياء» عن إنجيل متي وانجيل لوقا: أن نسب المسيح يبدأ بأنه المسيح بن يوسف النجار، حتى ينتهي به الى داود عليه السلام، ويسكت على هذا النقل ويذكر له بعض المؤيدات، وهذا النسب الذي نقله من أوله ظاهر الخطأ، للقطع بأن عيسى عليه السلام لا أب له وإنما هو نفخة من روح الله عز وجل.
راجع: قصص الأنبياء ص ٣٧٣.

(٢) سورة ص مكية، تعالج من موضوعات السور المكية قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة، وتظهر موقف المشركين وما أظهروه من الدهش والإستغراب عندما دعاهم النبي ﷺ إلى توحيد الله، وأخبارهم بقصة الوحي، واختيار الله له رسولاً:
﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عُجاب. وانطلق الملأ منهم: أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾. وتعرض السورة طرفاً من قصص الأنبياء: وداود وسليمان وأيوب، وغيرهم من الأنبياء، تسلية للنبي ﷺ وليصبر على أذى قومه: ﴿أصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾.
كما تعرض السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يصور النعيم الذي ينتظر المتقين والجحيم الذي ينتظر المكذبين.

(٣) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٩٠.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب واذكر عبدنا داود ١٣٥/٤. وكتاب التفسير، سورة الأنعام ١٩٤/٥، وسورة ص ٣١/٦.

وفي رواية عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها[1].

وفي رواية للنسائي: أنه قال: إن النبي ﷺ سجد في ص، وقال: سجدها داود عليه السلام توبة، ونسجدها شكراً[2].

ولأبي داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة ص وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة (نزل فسجد، وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغ السجدة)[3]، تيسر[4] الناس للسجود، فقال رسول الله ﷺ إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تيسرتم[5] (للسجود)[6]، فنزل فسجد، وسجدوا[7].

ومعنى «تَيَسَّرْتُمْ»: من اليسر، ضد العسر[8]، (تهيأتم)[9].

و(هو) معنى قوله في رواية أخرى: «تَشَزَّنْتُم» بمثناة فوقانية، ثم شين معجمة، ثم زاي ثم نون[10].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب سجود القرآن ٢/٣٦.
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ٢/٥٩ حديث رقم ١٤٠٩.
وصحيح الترمذي: كتاب الصلاة باب ما جاء في السجدة في ص ٢/٤٥.

(٢) سنن النسائي: كتاب الإفتتاح، باب سجود القرآن ٢/١٥٩.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٥٢: تفرد بروايته النسائي، ورجال إسناده كلهم ثقات.

(٣) ما بين الحاصرين زيادة عن سنن أبي داود.

(٤) عند أبي داود: تشزن.

(٥) عند أبي داود: تشزنتم.

(٦) زيادة عن أبي داود.

(٧) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ٢/٥٩ حديث رقم ١٤١٠. قال ابن كثير في تفسيره ٧/٥٣: تفرد به أبو داود، واسناده على شرط الصحيح، ا ه.

(٨) ساقطة من د.

(٩) قال في النهاية ٢/٢٩٦: ومنه الحديث: «قد تيسر للقتال» أي تهيأ له واستعد.
وراجع مختار الصحاح ص ٧٤٢.

(١٠) قال في النهاية ٢/٤٧١: التشزُّن: التأهب والتهيؤ للشيء، والاستعداد له مأخوذ من غرض الشيء وجانبه، كأن المتشزن يدع الطمأنينة في جلوسه ويقعد مستوفزاً على جانب.

ورواه الدارمي في الصلاة ولفظه: قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً فقرأ ص، فلما مر بالسجدة نزل فسجد، وسجدنا معه، وقرأها مرة أخرى، فلما بلغ السجدة تيسرنا للسجود، فلما رآنا قال: إنما هي توبة نبي، ولكني أراكم قد استعددتم للسجود فنزل وسجد وسجدنا[١].

وللترمذي واللفظ له ـ وقال: غريب ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال النووي في شرح المهذب[٢]: قال الحاكم: هو حديث صحيح[٣] ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيتني وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي[٤].

وفي رواية ابن حبان: فرأيت كأني قرأت سجدة فسجدت (فسجدت الشجرة)[٥] كأنها سجدت بسجودي، فسمعتها تقول: اللهم اكتب لي بها أجراً، وحُطَّ عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسمعت رسول الله ﷺ قرأ سجدة ثم سجد. فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

ورواه أبو يعلى والطبراني عن (أبي)[٦] سعيد رضي الله عنه قال: رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة، وكأن الشجرة تقرأ ص، فلما أتت على السجدة سجدت، فقالت في سجودها: اللهم اغفر لي بها، اللهم حط بها عني وزراً، وأحدث لي بها شكراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود، فغدت لى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: أسجدت يا أبا سعيد؟ قلت: لا،

(١) سنن الدارمي: كتاب الصلاة، باب السجود في ص ١/٢٨٢ حديث رقم ١٤٧٤.
(٢) المجموع ٤/٦٤.
(٣) المستدرك ١/٢١٩ وقال: هذا حديث صحيح رواته كلهم مكيون، لم يذكرو أحد منهمبجرح.
(٤) صحيح الترمذي: كتاب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن ٢/٤٦.
(٥) زيادة عن د.
(٦) ساقطة من د.

قال: فأنت أحق بالسجود من الشجرة ثم قرأ رسول الله ﷺ سورة ص، ثم أتى على السجدة، وقال في سجوده، ما قالت الشجرة في سجودها.

قال المنذري: وفي إسناده يمان بن نصر لا أعرفه[1].

وروى الإمام أحمد ـ قال المنذري: ورواته رواة الصحيح[2] ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه رأى رؤيا أنه يكتب ص، فلما بلغ (إلى)[3] سجدتها، رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً. قال: فقصصتها على النبي ﷺ، فلم يزل يسجد بها[4].

وروى النسائي في السنن، والبيهقي في الدعوات عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تعارَّ من الليل قال: لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار[5].

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن» لابن رجب عن ابن أبي الدنيا: أنه روى عن مقاتل بن حيان[6] قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾[7]، فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها، يعني من البكاء.

---

(١) الترغيب والترهيب: كتاب قراءة القرآن، باب الترغيب في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ٢/٣٥٧.

(٢) الترغيب والترهيب ٢/٣٥٨.

(٣) ساقطة من د.

(٤) مسند الإمام أحمد ٣/٧٨، ٨٣.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧/٥٣: تفرد به أحمد.

(٥) ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٧٦/ حديث رقم ٧٦١.

(٦) هو أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي ـ بفتح النون والباء الموحدة ـ البلخي الخزاز ـ بزائين معجمتين ـ قال الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٢٧٢: صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه.

(٧) الآية: ٢٤ من سورة الصافات.
والآية كما ترى من سورة الصافات، ولا علاقة لها بسورة ص.

سورة الزمر

وتسمى: الغرف[١].

مكية. قال ابن الجوزي: رواه العوفي[٢]، وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما -

وبه قال الحسن ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد[٣].

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة: «الله نزل أحسن الحديث» الآية. وإلا ثلاثاً في وحشي قاتل حمزة[٤] رضي الله

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية...﴾ الآية.

(٢) في م: ابن العوفي. وما أثبتناه فعن ابن الجوزي.

(٣) قال الحافظ في التقريب ١٠/١٢٢: جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدي، ثم الجوفي - بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء - البصري، مشهور بكنيته، ثقة فقيه من الثالثة مات سنة ثلاث وتسعين، ويقال: ومائة.

(٤) هو حمزة بن عبد المطّلب عم النبي ﷺ، قتله وحشي في غزوة أحد بتحريض من هند بنت عتبة.

عنها: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾ الآية، إلى آخر الأيات الثلاث إلى ـ: ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾[1].

وقال مقاتل: ﴿ **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾[2]مدنية. وكذا: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾.

ذكر ذلك ابن الجوزي وغيره[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمس وسبعون فيالكوفي، وثلاث في الشامي ـ واثنتان في عدد الباقين.

اختلافها سبع آيات:

﴿ **فيه يختلفون** ﴾[4]، لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **مخلصاً له الدين** ﴾[5] الثاني، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون. والأول لا خلاف فيه، أنه رأس آية.

﴿ **له ديني** ﴾[6] عدها الكوفي، لم يعدها الباقون.

﴿ **فبشر عباد** ﴾[7] لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

﴿ **من تحتها الأنهار** ﴾[8] عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

---

(١) الآيات: ٥٣ ـ ٥٥.

(٢) الآية: ١٠.

(٣) راجع: زاد المسير لابن الجوزي ٦/١٦٠ والقرطبي ١٥/٢٣٢.

(٤) آية: ٣.

(٥) آية: ١١.

(٦) آية: ١٤.

(٧) آية: ١٧.

(٨) آية: ٢٠.

﴿ من هادٍ ﴾[1] الثاني. و ﴿ فسوف تعلمون ﴾[2]. عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون. وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، ستة مواضع:

﴿ الدين الخالص ﴾[3] ﴿ ما يشاء ﴾[4] بعده سبحانه. ﴿ بما كنتم تعملون ﴾[5]، بعده: إنه عليم، ﴿ كمة العذاب ﴾[6] ﴿ متشاكسون ﴾[7]، ﴿ وجيء بالنبيين ﴾[8].

ورويها ستة أحرف: من لبدر[9].

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل، لأنه لا يفوته شيء ويضع الأشياء في أوفق محالها.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالزمر، للإشارة بها إلى أنه سبحانه أنزل كلا من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقه أعمالهم عدلاً منه سبحانه في أهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار.

وعلى مثل ذلك دلت تسميتها بالغرف، ولا سيما مع ملاحظة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾[10].

---

(١) آية: ٣٦.

(٢) آية: ٣٩.

(٣) آية: ٣.

(٤) آية: ٤.

(٥) آية: ٧.

(٦) آية: ١٩.

(٧) آية: ٢٩.

(٨) آية: ٦٩.

(٩) اللام: «وما أنت عليهم بوكيل ٤١». وهو على كل شيء وكيل ٦٢».

(١٠) هذه السورة تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد، ومن ثم فهي ذات =

فضائلها

وأما فضائلها: فتقدم في سورة الإسراء حديث: أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر[1].

= موضوع واحد متصل من بدئها إلى ختامها، يُعرض في صور شتى. ومنذ افتتاح السورة تبرز هذه القضية الواحدة التي تعتبر المحور الأصلي للسورة:
﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين. الا لله الدين الخالص...﴾ الآيات.
وتتردد هذه القضية في ثنايا السورة على فترات متقاربة، إما نصاً، وإما مفهوماً: فأما نصاً فمثل قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾.
وأما مفهوماً فمثل قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل، هل يستويان مثلاً؟. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾.
كما تعرض السورة كيفية خلق الإنسان للإستدلال على وحدانية الله وقدرته:
﴿خلقكم من نفس واحدة، ثم جعل منها زوجها. وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون﴾.
كما تتحدث السورة عن طبيعة النفس البشرية في سرائها وضرائها:
﴿وإذا مس الإنسان ضرّ دعا ربه منيباً إليه، ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله...﴾.
ثم تختم السورة بعرض لموقف الحساب، والناس فريقان: فريق يُساق إلى الجنة، وفريق يُساق إلى النار ثم تختم بهذا الختام:
﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.
راجع: الظلال: ٥/٣٠٣٣.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/١٨٩.
والترمذي في صحيحه: كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ عند المنام ٥/١٤١ حديث رقم ٣٤٦٦. كلاهما عن عائشة رضي الله عنها، ورجاله ثقات.

وروى الطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: بأسانيد، رجال الأول رجال الصحيح غير تمام بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف[١] ـ عن أبي الضحى[٢] قال اجتمع مسروق وشتير ابن شكل [٣] في المسجد، فتقوص[٤] إليهما حلق المسجد فقال مسروق: ما أرى هؤلاء جلسوا إلينا إلا ليسمعوا منا خيراً، فإما أن تحدث عن عبدالله وأصدِّقك، وإما أن أحدث عن عبدالله وتصدِّقني. فقال: حدث يا أبا عائشة فقال مسروق: أسمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إنَّ أجمع آية في القرآن: حلال وحرام، أمر ونهي: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾[٥] إلى آخر الآيـة؟ قال: نعم. قـال: وأنا قـد سمعته. قال: فهل سمعت عبدالله بن مسعود يقول: إن أكبر آية في كتاب الله تفويضا: ﴿ ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويـرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[٦]؟. قال: نعم. قال: وأن قد سمعته. قل: فهل سمعت عبدالله بن مسعود يقول: إن أشد آية في القرآن فرحاً: ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة** ﴾[٧] إلى آخر الآية؟ قال: نعم. قال: وأنا قد سمعته.

وفي رواية: أن شتيرا هو الذي حدث وقال فيه:

حدثنا عبدالله بن مسعود: إن أعظم آية في كتاب الله: ﴿ **الله لا إله إلا**

---

(١) مجمع الزوائد ٧/٤٩، ٧/١٢٦.

(٢) هو مسلم بن صبيح ـ مُصَغَّراً ـ الهمداني، أبو الضحى، العطار الكوفي، روى عن علي وابن عباس وجماعة. وثقه ابن معين وأبو زرعة، مات سنة ١٠٠ في خلافة عمر ابن عبد العزيز. (الخلاصة ٣٧٥).

(٣) شتير بن شكل ـ بفتح الشين المعجمة والكاف ـ بن حميد، العبسي الكوفي روى عنه بلال بن يحي وأبو الضحى، كان ثقة. (الخلاصة ١٦٣).

(٤) أي جاء إليهم كل من كان بالمسجد. وراجع النهاية ٤/١٢١.

(٥) سورة النحل: آية ٩٠.

(٦) سورة الطلاق: الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٧) سورة الزمر: آية ٥٣.

هو الحي القيوم ﴾[1].

قال مسروق: صدقت.

والباقي بنحوه.

ورواه أبو عبيد في كتاب الفضائل فقال: حدثنا عمر بن عبد الرحمن، عن منصور بن المعتمر عن الشعبي قال: قال: التقى مسروق بن الأجدع وشتير بن شكل، فقال شتير لمسروق: إما أن تحدث عن عبدالله رضي الله عنه وأصدقك وإما أن أحدثك وتصدقني، فقال مسروق: حدث وأصدقك قال شتير: سمعت عبدالله يقول: ما خلق الله من سماء ولا أرض، ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة **﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾**[2] ثم قرأها حتى أتمها.

فقال مسروق: صدقت.

قال: وسمعت عبدالله رضي الله عنه يقول: ما في القرآن آية أجمع لخير ولا لشر، من آية في سورة النحل: **﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى، وبنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾**[3].

قال: صدقت.

قال: وسمعت عبدالله رضي الله عنه يقول: ما في القرآن أعظم فرحاً من آية في سورة الغرف: **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾**[4].

قال: صدقت.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٢) الآية: ٢٥٥.

(٣) الآية: ٩٠.

(٤) الآية: ٥٣.

قال: وسمعت عبدالله يقول: ما في القرآن أكثر وأكبر تفويضاً من آية في سورة النساء القصري[١]: ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً** ﴾[٢].

قال: صدقت.

قال: حدثنا عبدالله بن صالح، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن محمد بن المنكدر وصفوان بن سليم قالا: التقى ابن عباس وعبدالله بن عمرو، رضي الله عنهم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي آية في كتاب الله أرجى؟ فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾[٣].

فقال ابن عباس: لكن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال: أو لم تؤمن. قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾[٤].

قال ابن عباس: فرضي منه بقوله: بلى.

قال: فهذا لما يعترض في الصدر فيما يوسوس به الشيطان.

وروى أبو الشيخ والبيهقي، عن العباس بن[٥] عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، فهاجت ريح، فوقع ما كان فيها من ورق نخر وبقي ما كان من ورق أخضر، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) هي سورة الطلاق.

(٢) اية: ٣.

(٣) الآية: ٥٣ من السورة.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

(٥) هو أبو الفضل العباسي بن عبد المطّلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ ولد قبل رسول الله لْا بسنتين، وكانت له السقاية والعمارة في الجاهلية وحضر بيعة العقبة مع رسول الله ﷺ، وأسر يوم بدر، ثم افتدى نفسه من المسلمين، أسلم وهاجر قبيل فتح مكة، مات بالمدينة سنة ٣٢ هجرية.

راجع: الإصابة ٢/٢٦٣.

ما مثل هذه الشجرة؟. فقال القوم: الله ورسوله أعلم، فقال: مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله وقعت عنه ذنوبه، وبقيت حسناته.

وروى الطبراني في الكبي ـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد[١]: وفيه أبين بن سفيان، ضعفه الذهبي[٢]ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي بن حرب[٣] قاتل حمزة، رضي الله عنهما يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنى، يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. وأنا قد فعلت ذلك كله، فهل تجد لي من رخصة؟.

فأنزل الله تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[٤]. **فقال وحشي**: هذا **شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه فهل لي غير ذلك؟. فأنزل الله عز وجل**: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[٥]، فقال وحشي: أراني بعد ذلك في شبهة، فلا أدري أيغفر لي، أم لا، فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا**

---

(١) مجمع الزوائد ٧/١٠١.

(٢) قال في الميزان ١/٧٨: أبين بن سفيان، عن التابعين ضعيف... قال أبو جعفر: كتبت عن أبين بن سفيان، ثم حرقت ما كتبت عنه، كان مرجئاً، وقال الدارقطني: ضعيف له مناكير.

(٣) هو وحشى بن حرب، مولى جبير بن مطعم بن عدى، قتل حمزة بن عبد المطّلب يوم أحد ورجع مع المشركين إلى مكة، وظل بها حتى انتشر الإسلام فيها، ثم فر إلى الطائف وجاء على رسول الله ﷺ قادماً مع وفد الطائف فأسلم، وأمره رسول الله ﷺ أن يغيب وجهه عنه، وشارك وحشى في حرب اليمامة، وكان قتل مسيلمة على يده بنفس الحربة التي قتل بها حمزة، وشهد حرب اليرموك، ومات بحمص في خلافة عثمان.
راجع: الإصابة ٣/٥٩٤ الإستيعاب على هامش الإصابة ٣/٦٠٧.

(٤) سورة الفرقان: آية ٧٠.

(٥) الآية: ٤٨، والآية: ١١٦ من سورة النساء.

تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[1]. فقال وحشي: هذا، فجاء فأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة، أم المسلمين عامة؟. فقال: بل للمسلمين عامة[2].

قال البغوي: وروى ابن عمر رضي الله عنهما، أن هذه الآيات نزلت في عياش أبي ربيعة[3] والوليد بن الوليد[4]، ونفر من المسلمين كانوا قد

---

(١) الآية: ٥٣ من السورة.

(٢) والحق أن إسلام وحشي لم يكن على هذه الصورة التي تطفح بالتدلل والإباء، وكَأَنَّ الإسلام بضاعة رخيصة في سوق الرافضين، يشترط كل واحد لنفسه ما يشاء.

وأبسط ما يقال في هذا الحديث: إنه حديث مكذوب، وضعه أحد الكذابين بمهارة على هذا النسق المليء بالإغراء.

وقصة إسلام وحشي وردت في صحيح البخاري، في غزوة أحد، من كتاب المغازي ٥/٣٦ وليس فيها ما يدل على أن الرسول ﷺ أرسل إلى وحشي يعرض عليه الإسلام، وأن هذه الآيات نزلت فيه. وإنما فيه: أن الرجل جاء من الطائف مع الوفد الذي جاء منها بعد فتح مكة في عام الوفود، وجاء وحشي مع من جاء يلتمس عفو رسول الله ﷺ، بعد أن حثه الناس على المسير معهم، وفيه: أنه لم يمكث عند رسول الله ﷺ إلا زمناً قصيراً جداً لا يتسع إلى ذلك الحوار، وها هو وحشي يقول - كما في صحيح البخاري -: «...... وكمنتُ لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته - أي عانته - حتى خرجت من بين وركيه، فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت الى الطائف فأرسلوا الى رسول الله ﷺ رسولاً. فقيل لي: انه لا يهيج الرسل، فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال: أأنت وحش؟. قلت: نعم قال: أأنت قتلت حمزة؟. قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني. فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله. فأكافىء حمزة...» الحديث وهذا مخالف تماماً لما أورده البقاعي.

(٣) هو عياش بن أبي ربيعة - واسم أبي ربيعة: عمرو - بن المغيرة المخزومي، القرشي ابن عم خالد بن الوليد، كان من السابقين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل فأرجعه إلى مكة فحُبس، وكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت وتوفي رضي الله عنه في خلافة عمر سنة خمس عشرة. وقيل غير ذلك.

(٤) هو الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد، أسره المسلمون في =

أسلموا ثم فُتِنُوا، وكنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً[1] أبداً. فأنزل الله هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده، ثم بعثها إليهم، فأسلموا وهاجروا[2]. فأخبرهم بالذي أبكاهما.

وقال ابن رجب: وروى الجوزجاني، وابن أبي الدنيا، والطبراني، عن عباد المنقري[3]. قال: قرأت على محمد بن المنكدر آخر الزمر، فبكى الشيخ بكاء غير متباك. ثم قال: حدثني عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قرأ رسول الله ﷺ آخر الزمر وهو على المنبر، فتحرك المنبر من تحته مرتين[4].

ورواه العقيلي فقال: آخر سورة الرحمن.

قال ابن رجب: والرواية الأولى أصح.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، ﴿ **فاطر السموات والأرض، عالمالغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾[5]، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي إلى

= غزوة بدر، ولما فك أسره أعلن إسلامه، ثم فتن وحبس بمكة مع من حبس بها، ثم أدرك النبي ﷺ في عمرة القضاء.
الإصابة ٣/٦٠٣ والإستيعاب على هامش الإصابة ٣/٥٩٣.

(١) قا ابن الأثير في النهاية ٣/٢٤: الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٨/٢٥٣.

(٣) هو عباد بن ميسرة التميمي المنقري البصري المؤدب كان من العبّاد. روى عن الحسن ومحمد بن المنكدر. وروى عنه هشيم ووكيع. ضعفه أحمد وأبو داود. ويحي بن معين وذكر الذهبي: أنه ضعفوه بهذا الحديث.
راجع: الميزان ٢/٣٧٨ والخلاصة ١٨٧.

(٤) حديث ضعيف لضعف عباد المنقري.

(٥) الآية: ٤٦ من السورة.

صراط مستقيم[1].

وفي كتاب «الاستغناء بالقرآن»لابن رجب: أن أبا نعيم روى عن يحيى بن الفضل الأنيسي[2] قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر[3]، أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي، إذا اشتد بكاؤه فكثر، حتى فزع له أهله وسألوه: ما الذي أبكاه، فاستعجم[4] عليهم وتمادي في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم[5] فأخبروه، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال: يا بن أخي ما الذي أبكاك حتى رُعت أهلك؟. أفمن علة، أم ما بك؟. فقال: إنه مرت بي آية من كتاب الله. قال: وما هي؟. قال: قول الله عز وجل: ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾[6]. قال: فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهما ـ فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه، فزدته[7].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل ٥٦/٦ بشرح النووي.
وأخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ٢٠٤/١ حديث رقم ٧٦٧.

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي. روى عن طائفة كبيرة من الصحابة منهم: أبوه، وجابر، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وكان من أفاضل التابعين وثقاتهم، ومات سنة ثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين.
راجع: سير أعلام النبلاء ٣٥٣/٥، تهذيب التهذيب ٤٧٣/٩، تذكرة الحفاظ ١٢٧/١.

(٤) أي لم يقدر على الكلام.

(٥) هو أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج التمار الزاهد، روى عن سهل بن معد ومحمد بن المنكدر وسعيد بن المسيب، وروى عنه الزهري والسفيانان، وكان ثقة مكثراً في الرواية. مات سنة ١٤٠.
تذكرة الحفاظ ١٣٣/١. شذرات الذهب ٢٠٨/١، طبقات الحفاظ ٥٣.

(٦) الآية: ٤٧ من السورة.

(٧) الحلية ١٤٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٥.

سورة غافر

وتسمى: الطّول، والمؤمن.

مكية إجماعاً.

قال الزمخشري: قال الحسن: إلا قوله: ﴿ **وسبح بحمد ربك** ﴾[١] لأن الصلوات نزلت بالمدينة. انتهى[٢].

وتقدم رد مثل هذا في لقمان.

وقال ابن الجوزي والأصبهاني: وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة، وهما قوله: ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله** ﴾[٣] والتي بعدها.

وقال الزجاج: ذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة[٤].

(١) اية: ٥٥.

(٢) الكشاف ٣/٤١٢.

(٣) آية: ٥٦.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٧/٢٠٤.

وقال أبو حيان: الحواميم مكيات. قالوا: بإجماع[1].

ونقله الزمخشري وأتباعه عن ابن عباس وابن الحنفية[2]، رضي الله عنهما[3].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمانون وآيتان في البصرى، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الكوفي، وست في الشامي.

اختلافها تسع آيات:

﴿ **حم** ﴾[4] عدها الكوفي، ولميعذها الباقون.

﴿ **يوم التلاق** ﴾[5] لم يعدها الشامي، وعدها الباقون.

﴿ **يوم هم بارزون** ﴾[6]، عدها الشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ **كاظمين** ﴾[7] لم يعدها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب** ﴾[8] لم يعدها المدني الأخير والبصري، وعدها الباقون.

---

(١) البحر المحيط ٤٤٦/٧.

(٢) هو أبو القاسم ـ وقيل: عبد الله ـ محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، أخو الحسن والحسين لأبيهما، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلم الحنفية من بني حنيفة وكان عالماً كثير العلم، فاضلاً ورعاً، غاية في العبادة، محباً لأخويه الحسن والحسين. توفي سنة ٨١. وقيل: ٨٣.

راجع: شذرات الذهب ٨٩/١، تهذيب الأسماء واللغات ٨٨/١، وسير أعلام النبلاء ١١٠/٤.

(٣) الكشاف ٤١٢/٣.

(٤) آية: ١.

(٥) آية: ١٥.

(٦) آية: ١٦.

(٧) آية: ١٨.

(٨) آية: ٥٣.

﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾[1]، عدها المدني الأخير والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ والسلاسل يسحبون ﴾[2]، عدها المدني الأخير والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

﴿ في الحميم ﴾[3] عدها المدنى الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

﴿ أينما كنتم تشركون ﴾[4]، عدها الكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع تسعة مواضع:

﴿ شديد العقاب ﴾[5]، ﴿ مخلصين له الدين ﴾[6]، موضعان: الأول بعده ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ والثاني بعده ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾.

﴿ لدى الحناجر كاظمين ﴾[7]، ﴿ من حميم ولا شفيع ﴾[8]، ﴿ وهامان وقارون ﴾[9] ﴿ تولون مدبرين ﴾[10]، ﴿ يتحاجون في النار ﴾[11]، ﴿ والسلاسل ﴾[12].

---

(١) آية: ٥٨.

(٢) آية: ٧١.

(٣) آية: ٧٢.

(٤) آية: ٧٣.

(٥) آية: ٣.

(٦) آية: ١٤، وآية: ٦٥.

(٧) آية: ١٨.

(٨) آية: ١٨.

(٩) آية: ٢٤.

(١٠) آية: ٣٣.

(١١) آية: ٤٧.

(١٢) آية: ٧١.

وعكسه موضعان: ﴿ يطاع ﴾[(١)]، ﴿ يقوم الأشهاد ﴾ [(٢)].
ورويها ثمانية أحرف، يجمعها، من عقل دبّر.

مقصودها

ومقصودها: الاستدلال على آخر التي قبلها من تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كلّ ما يستحقه على سبيل العدل، فإن فاعل ذلك له العزة الكاملة، والعلم الشامل.

فمن يسلم أمره كله إليه، وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها، بقوله فإنه يخزيه، فيعذبه ويرديه.

وعلى ذلك دلت تسميتها بغافر، إشارةً إلى الآية التي فيها هذه الصفة، فإنه لا يقدر على غفران ما يشاء، لكل من يشاء، إلا كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافراً لها إلا بالغ العلم.

وكذا في المتاب والعقاب، وكذا الدلالة بتسميتها بالطول بمثل ذلك.

وبالمؤمن، فإن قصته تدل على هذا المقصد. ولا سيما أمر القيامة، الذي هو جل المقصود والمدار الأعظم، لمعرفة المعبود[(٣)].

---

(١) آية: ١٨.

(٢) الآية: ٥١.

(٣) سورة غافر مكية، وهي تعني بأمور العقيدة كسائر السور المكية، ويكاد يكون موضوع السورة البارز هو المعركة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ولهذا جاء جو السورة مشحوناً بطابع العنف والشدة، وكأنه جو معركة رهيبة يبدو فيها الطعن والنزال، ثم تسفر عن مصارع الطغاة والمكذبين. فإذا هم حطام وركام.
فقد بدأت السورة الكريمة بالإشارة بصفات الله الحسنى، وآياته العظمى، ثم عرضت لمجادلة الكافرين في آيات الله، فمع وضوح الحق وسطوعه، جادل فيه المجادلون وكابر فيه المكابرون.
وعرضت السورة لمصارع الغابرين وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلم يفلت منهم إنسان، وتحدثت عن بعض مشاهد الآخرة وأهوالها، فإذا العباد واقفون للحساب =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو عبيد في كتاب الفضائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم. أو قال الحواميم.

وروى أيضاً، عن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: إذا وقعتُ في آل حم وقعتُ في روضات دمثات(١)، أتأنَّقُ(٢) فيهن(٣).

وأيضاً عنه، أنه قال: حم ديباج القرآن(٤).

= بارزون أمام الملك الديان، يغمرهم رهبة وخشوع، وإذا القلوب لدى الحناجر تكاد لشدة الفزع والهول تنخلع، وفي ذلك الموقف الرهيب، واليوم العصيب. يلقي الإنسان جزاءه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ثم يأتي الحديث عن قصة الإيمان والطغيان، ممثلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الجبار، وتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة لم تعرض في قصة موسى من قبل. ألا وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، فإذا ابه يصدع بكلمة الحق في تلطف وحذر، ثم في صراحة ووضوح، ثم تنتهي القصة بهلاك فرعون غرقاً مع أعوانه وأنصاره، ونجاة المؤمنين.

وفي أثناء السياق تعرض السورة بعض الآيات الكونية، التي تشهد بعظمة الله وتنطق بوحدانيته وجلاله، وتمثل المؤمن والكافر بالأعمى والبصير.

راجع: الظلال ٥/٣٠٦٥.

(١) قال في النهاية ٢/١٣٢: يقال دمث المكان دمثاً: إذا لان وسهل.

(٢) في النهاية ١/٧٦: أي أعجب بهن، وأستلذ قراءتهن، وأتتبع محاسنهن. قال أبو عبيد ٤/٩٤: ومنه قيل: منظر أنيق، إذا كان حسناً معجباً.

(٣) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٤/٩٣، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٥٥٨. وذكره الزمخشري في الفائق ١/٥٢.

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب سورة حم المؤمن ٢/٤٣٧. والزمخشري في الفائق ١/٥٢. ولفظه عندهما: آل حم.

وأيضاً عن مسعر[1] أنه قال: بلغني أنَّه كُنَّ يُسمَّيْنَ العرائس[2].

ورواه الدارمي في مسنده فقال: حدثنا جعفر بن عون، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم[3] قال: إن الحواميم يسمين العرائس[4].

وقال الأصفهاني: وعن النبي ﷺ أنه قال: إن لكل شيء ثمرةً وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات مخصبات متجاورات، فمن أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم.

وروى أبو عبيد عن محمد بن قيس قال: رأى رجل في المنام سبع نسوة حسان في مكان واحد، فقال: من أنتن بارك الله فيكن؟. فقلن: إن شئت كنا لك، نحن الحواميم أو قال: آل حميم[5].

وأيضاً عن ابن سيرين: أنه كان يكره أن يقول: الحواميم [6]، ويقول: آل حميم.

قال أبو عبيد: كما يقول: هؤلاء ال فلان، كأنك أضفتهم إليه[7].

وقال ابن الجوزي في: زاد المسير: قال ابن قتيبة[8]: إن «حم» اسم

---

(١) هو مسعر بن كدام ـ بكسر الكاف ـ بن ظهيرة، المتوفي سنة ١٥٣، كان ثبتاً ثقة في الرواية. قال ابن سعد: كان مرجئاً. الخلاصة ٣٧٤.

(٢) ذكره الزمخشري في الفائق ١/٥٢.

(٣) هو جعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث الكوفي، المتوفي سنة ٢٠٦، أو ٢٠٧ وثقة أحمد وابن معين. (الخلاصة ٦٣).

(٤) سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كان ثبتاً فاضلاً، روى عن ابن مسعود، مات سنة ١٢٥. (الخلاصة١٣٣).

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٨.

(٦) غريب الحديث ٤/٩٣.

(٧) قال أبو عبيد ٤/٩٤: وأما قول العامة: «الحواميم» فليس من كلام العرب.

(٨) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٩٣.

راجع: القرطين لابن مطرف الكناني ص ٥، ٦، ٧.

والقرطين كتاب جامع بين كتابي مشكل القرآن، وغريب القرآن لابن قتيبة.

من أسماء الله تعالى، أضيفت هذه السور إليه لشرفها، فقيل: آل حميم.

قال الكميت[1]:

وجدنا لكم في آل حميم آية تأولها منا تقي ومعرب

وقد يجعل «حم» اسماً للسورة، ويدخل الإعرابَ ولا ينصرف، ومن قال هذا، قال في الجمع (٣) الحواميم. كما يقال: طس، والطوّاسين.

وقال محمد بن القاسم الأنباري[4]: العرب تقول:[5] وقع في الحواميم، وفي آل حميم. وأنشد أبو عبيدة[6]:

حلفت بالسبع اللواتي طولت[7] وبمئين بعدها قد أمئت[8]

---

(١) هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد، ينتهي نسبة ـ على بعض الأقوال ـ الى إلياس بن مصر، وهو شاعر مشهور من شعراء العصر الأموي، ولد عام ستين وسكن الكوفة، وقد اشتهر بتشيعه ومديحه لآل البيت، وله قصائده المشهورة بالهاشميات، توفي سنة ١٢٦.

راجع: طبقات فحول الشعراء ١/٣١٩. خزانة الأدب ١/٦٩.

(٢) البيت في اللسان ١/٥٨٩ مادة عرب.

(٣) في زاد المسير: ومن قال في الجميع.

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسين، الأنباري، النحوي اللغوي، كان واسع الرواية، صدوقاً فاضلاً، ديِّناً، من أهل السنة، روى عنه الدارقطني وجماعة وكان يملي من حفظه، مات سنة ٣٢٨. وقيل: سنة ٣٢٧ ببغداد.

بغية الوعاة ١/٢١٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٧٤، والبداية والنهاية ١١/١٩٦، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٤٢.

(٥) في د: العرب كما تقول.

(٦) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، مولى بني تميم، أول من صنف في الغريب أخذ عنه أبو عبيد الهروي وأبو حاتم وجماعة، وله مصنفات كثيرة تشهد بغزارة علمه وفضله. مات سنة ٢١١ على خلاف في ذلك.

بغية الوعاة ٢/٢٩٤.

(٧) هي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

(٨) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ١/٤٥: المئون: هي ما كان من سور القرآن عدد آياته مائة آية، أو تزيد عليها شيئاً، أو تنقص منها شيئاً يسيراً.

وبمثاني ثنيت فكررت[1] وبالطواسين اللواتي ثلثت[2]
وبالحواميم اللواتي سبعت[3] وبالمفصل[4] اللواتي[5] فصلت[6]

انتهى ما في زاد المسير[7].

وروى البغوي بسنده[8] عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً، فمر بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له: إن مثل الغيث الأول، مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات (الدمثات)[9] مثل آل حم في القر[10].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ الدخان كلها، وأول حم غافر، إلى: ﴿ **إليه المصير** ﴾[11]، وآية الكرسي ، حين يمسي حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسي[12].

---

(١) المراد بالمثاني: سورة الفاتحة، كما ورد في صحيح البخاري وغيره

(٢) الطواسين هي: سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

(٣) الحواميم هي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٤) ما بين الحاصرين زيادة عن زاد المسير.

(٥) المراد بالمفصل: من سورة ق الى آخر القرآن.
وقد تقدم الكلام فيه في فضائل القرآن، وسيأتي في سورة ق.

(٦) الأبيات في مجاز القرآن لأبي عبيد معمر بن المثنى ١/٧ ولم يعزها لأحد. وذكرها ابن جرير في تفسيره ١/٤٦ دون عزو أيضاً.

(٧) زاد المسير ٧/٢٠٤.

(٨) في د: في مسنده، وهو خطأ.

(٩) زيادة عن زاد المسير.

(١٠) تفسير البغوي على هامش الخازن ٦/٧٣.

(١١) آية: ١ ـ ٣.

(١٢) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة البقر ﴾آية الكرسي ٤/٢٣٢ حديث رقم ٣٠٣٩. ولم يذكر فيه «الدخان».

قال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعضهم في عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ـ يعني: أحد رواته ـ من قبل حفظه[1].

ورواه الدارمي، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: من قرأ آيةالكرسي وفاتحة المؤمن ـ إلى قوله ـ: ﴿ إليه المصير ﴾ لم ير شيئاً يكرهه حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم ير شيئاً يكرهه حتى يصبح[2].

وقال النووي رحمه الله: وروى الترمذي وابن السني بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حم المؤمن ـ إلى قوله ـ: ﴿ إليه المصير ﴾ وآية الكرسي حين يصبح، حُفظ بهـا حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بها حتى يصبح[3].

وروى أبو داود، والترمذي، والترمذي واللفظ له وقال: حسن صحيح، والنسائي، وبان ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: «وقال[4] ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»[5].

---

(١) قال في الخلاصة ٢٢٤: ضعفه ابن معين.

(٢) سنق الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٩٠.

(٣) الأ كار للنووي ص ٧٩.

والترمذي ٢٣٢/٤ حديث رقم ٣٠٣٩.

وعمل اليوم والليلة لابن السني ص ٢٥٤ حديث رقم ٦٩٢.

(٤) آية: ٦٠.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب، الدعاء ٧٦/٢ حديث رقم ١٤٧٩.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، سورة المؤمن ٥٢/٥ حديث رقم ٣٢٩٩.

وسنن ابن ماجة: كتاب الدعاء: باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢ حديث رقم ٣٨٢٨.

والمستدرك للحاكم: كتـاب الدعـاء، باب ليس شيء أكـرم على الله من الـدعاء ٤٩٠/١.

وروى أبو عبيد عن امرأة من أهل بيت عامر بن عبد قيس[1]، أن عامر بن عبد قيس رحمه الله قرأ ليلة من سورة المؤمن، فلما انتهى إلى: ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لذي الحناجر كاظمين** ﴾[2] قالت: فكظم، أي سكت مكروبا، سكوت من انسدت مجاري أنفاسه، حتى أصبح. أو قالت: فلم يزل يرددها حتى أصبح.

---

(١) هو أبو عبد الله ـ وقيل: أبو عمرو ـ التميمي العنبري، البصري، روى عن عمرو سلمان رضي الله عنهما، وروى عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما، وكان قليل الرواية. قال العجلي: كان ثقة من عباد التابعين. وتوفي ـ رحمه الله ـ في خلافة معاوية، ودفن ببيت المقدس.

راجع: سير أعلام النبلاء ١٥/٤ والحلية ٨٧/٢، وطبقات القراء ١٥٠٢/٢ والخلاصة ١٨٥، وأسد الغابة ٨٨/٣.

(٢) الآية: ١٨ من السورة.

سورة حم السجدة

وتسمى: المصابيح[1]، وفصلت.

مكية كلها إجماعاً. قاله ابن الجوزي.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمسون وآيتان في البصرى والشامي، وثلاث في المدنيين والمكي. وأربع في الكوفي. اختلافها آيتان:

﴿حم﴾ عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

﴿ عاد وثمود ﴾[3] لم يعدها البصري والشامي، وعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضعان:

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ آية ١٢.

(٢) زا المسير لابن الجوزي.

(٣) آية: ١٣.

﴿ عذاباً شديداً ﴾[1]. ﴿ هدى وشفاء ﴾[2].

ورويها عشرة أحرف: رز، طب، ظن، مض، ضد.

مقصودها

ومقصودها: الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدره، وعلماً من علمه لعباده فشرعه لهم فجاءتهم به عنه رسله.

وذلك العلم هو الحامل على الأيمان بالله، والاستقامة على طاعته، المقترن بهما النافع في وقت الشدائد، كما تقدم تصريحاً في الزمر في قوله: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[3]. وتلويحاً آخر غافر في قوله تعالى: ﴿ قالوا آمنا بالله وحده ﴾[4] الآية.

فتكون عاقبة الكشف الكلي حين يكون سبحانه سمع العالم الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر بهويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إلى آخر الحديث القدسي[5].

وعلى ذلك دل اسمها «فصلت» (بالإشارة إلى ما في الآية المذكورة فيها

---

(١) آية: ٢٧.

(٢) آية: ٤٤.

(٣) آية: ٩.

(٤) آية: ٧٤ وتمامها: ﴿وكفرنا بما كنا به مشركين﴾.

(٥) الحديث أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ١٩٠/٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه:

قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته.

هذه الكلمة من الكتاب المفصَّل لقوم يعلمون. والمصابيح بالإشارة إلياعتبار ما فيها من لطف الصنع، فتكون هدًى للباطن، كما أنها هدًى في الظاهر، والسجدة)[1] بالإشارة إلى ما فيها ايتها من الطاعة بالسجود الذي هو أقرب مقرِّب من الملك الديان، والتسبيح الذي هو (المدخل للأيمان)[2].

---

(١) ما بين المربعين ساقط من د.

(٢) هذه السورة مكية، وموضوعها الأصلي: الحقائق الأساسية للعقيدة الإسلامية: الألوهية الواحدة، والحياة الآخرة، والوحي بالرسالة، وكل ما في السورة شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها، وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق.

فعن قضية الألوهية، يأتي:

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إليَّ انما إلهكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه، وويل للمشركين﴾.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً، ذلك رب العالمين﴾.

«لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾.

﴿ويوم يناديهم أين شركائي؟. قالوا آنذاك ما منا من شهيد﴾.

وعن قضية الوحي:

﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب فاعل اننا عاملون».

﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم. ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته، أأعجمي وعربي.....

وتعرض السورة لبعض المشاهد الكونية المعروضة للأنصار، فتتحدث عن خلق السموات والأرض، وما أودعه الله في هذا الكون من عجائب وحكم. ثم تتحدث عن مصارع المكذبين، وضربت على ذلك الأمثلة بأقوى الأمم وأعتاها، وهم قوم عاد الذين بلغ بهم الطغيان الى أن يقولوا: «من أشد منا قوة»، وذكرت ما حلّ بثمود من الدمار الشامل والهلاك المبين. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الدارمي عن طاووس قال: فضلت حم السجدة وتبارك على كل سورة في القرآن بستين حسنة[1].

وروى عبد بن حميد في مسنده، والبيهقي في الدلائل، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، (قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره؟، فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحر والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفي عليّ أن كان كذلك، فأتاه[2] فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبدالله؟ فلم يجبه. قال: فيم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، فإن كنت إنما بك الرياسة، عقدنا ألويتنا لك، فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال، جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك؟. ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون حتى بلغ: ﴿ **أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾[3] فأمسك عتبةعلى فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه فأتوه فقال أبو

= وتختم السورة ببيان وعد الله للبشرية، بأن يطلعهم على بعض أسرار هذا الكون في آخر الزمان، ليستدلوا على صدق القرآن: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق...»

راجع: الظلال ٥/٣١٠٥.

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن ٢/٣٢٧ حديث رقم ٣٤١٥.

(٢) الضمير عائد على لفظ «النبي» ﷺ، والمعنى: أن عتبة هو الذي أتى النبي ﷺ.

(٣) الآية: ١٣.

جهل: والله يا عتبة ما حَسِبْنَا إلا أنك قد صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن يَكُ بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد؟. فغضب وأقسم بالله أنه لا يكلم محمداً أبداً، وقال لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته ـ فقص عليهم القصة ـ فأجابني بشي والله ما هو بسحر، ولا شعر، ولا كهانة، قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم،حم تنزل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون ـ قال يحيى: كذا قال: لقوم يعقلون ـ حتى بلغ: ﴿ **فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾[١]. فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب[٢].

وروى البيهقي في الدلائل ـ أيضاً ـ من طريق ابن اسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد[٣] مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال: حُدِّثْتُ أن عتبة ابن ربيعة ـ وكان سيداً حليماً قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منا بعضها، ويكف عنا؟. قالوا: بَلَى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم، قال فاستمع مني، قال: أفعلُ، قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً، فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها

(١) الآيات: ١ ـ ١٣.

(٢) دلائل النبوة ١/٤٤٩.

(٣) يزيد مولى بني هاشم هو:

أبو عبدالله يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي مولاهم، الكوفي، روى عن مولاه عبدالله بن الحارث، وأنس بن مالك، وجماعة، وكان شيعياً، ثقة في الرواية إلا أنه اختلط في آخر عمره فأتى بمناكير، وتوفي سنة ١٣٧.

راجع: تهذيب التهذيب ١١/٣٢٩. والخلاصة ٤٣١.

عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليها، يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، فسجد فيها ثم قال: سمعت أبا الوليد؟ قال: سمعت قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبوالوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟.

قال: ورائي: أنِّي ـ والله ـ قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب، فقد كفيتموه بغيركم، وأن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك ـ والله ـ يا أبا الوليد بلسانه؟، فقال هذا رأيي، فاصنعوا ما بدا لكم[١].

وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن الحاكم، عن جبير بن نفير، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ تلا: ﴿ **إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[٢].

فقال رسول الله ﷺ: إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني: القرآن[٣].

---

(١) دلائل النبوة ١/ ٤٥٠.

(٢) الآية: ٤١ ـ ٤٢ من السورة.

(٣) عقب عليه البيهقي بقوله: وقوله: «خرج منه» يريد أنه وجد منه بأن تكلم به وأنزله على نبيه ﷺ، وأفهمه عباده، وليس ذلك الخروج ككلامنا فإنه عز وجل صمد لا جوف له، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيراً، وإنما كلامه صفة أزلية موجودة بذاته لم يزل كان موصوفاً، ولا يزال موصوفاً به، فما أفهمه رسله وعلمهم إياه، ثم تلوه علينا وتلونا، واستعملنا موجبه ومقتضاه، فهو الذي أشار إليه الرسول ﷺ فيما روينا عنه وبالله التوفيق اهـ.

ورواه أيضاً من هذا الوجه عن جبير، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما، وقال: قال أبو عبدالله: هذا حديث صحيح الإسناد[1].

وقال البيهقي: ويحتمل أن يكون جبير رواه عنهما جميعاً، ورواه غيره عن أحمد بن حنبل، دون ذكر أبي ذر[2].

---

(١) المستدرك للحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب من ليس في جوفه من القرآن شيء كالبيت الخرب ١/٥٥٥، وكتاب التفسير ٢/٤٤١.

(٢) الأسماء والصفات ص ٢٣٦.

وزعم مصحح كتاب «الأسماء والصفات» في تعليق له: أن الحديث ضعيف، لأن مداره علي العلاء بن الحارث قال فيه البخاري: منكر الحديث.

ولكن هذا وهم من المعلق عفا الله عنه، لأن كلام البخاري إنما هو عن العلاء بن كثير وقد ساقه البخاري في ترجمة العلاء بن الحارث. والعلاء بن الحارث من الثقات فالحديث صحيح الإسناد كما ذكر البيهقي عن شيخه أبي عبد الله الحاكم.

راجع: التاريخ الكبير للبخاري ٦/٥١٤ ترجمة رقم ٣١٦١، ترجمة العلاء بن الحارث.

وراجع: تهذيب التهذيب ٣/٣. والخلاصة ٢٩٩.

سورة حم عسق

وتسمى: عسق، والشورى.

مكية.

قال ابن الجوزي وغيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقاله الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والجمهور.

وحكى عن ابن عباس وقتادة، أنهما قالا: إلا أربع آيات من قوله: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ إلى آخر الأربع[١]، فنزلن بالمدينة[٢].

وتبعه عليه أبو حيان[٣].

عدد آياتها وفواصلها

وآيها خمسون آية فيها سوى الكوفي.

(١) الآيات: ٢٣ ـ ٢٦.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٧/٢٧١.

(٣) البحر المحيط ٧/٥٠٧.

وتزيد ثلاث آيات عند الكوفي لانفراده بعدِّ ﴿حم﴾[1]، وبعدِّ ﴿عسق﴾[2] وبعدِّ ﴿كالأعلام﴾[3].

فاختلافها هذه الثلاث، انفرد بعدهن الكوفي، ولم يعدهن الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدوداً بإجماع، ستة مواضع:

﴿أن أقيموا الدين﴾[4]، ﴿كَبُر على المشركين﴾[5]، ﴿من كتاب﴾[6] ﴿طرف خفي﴾[7]، ﴿عليهم حفيظا﴾[8]، ﴿من يشاء عقيماً﴾[9].

ورويها تسعة أحرف: قدم، لصب، نزر[10].

مقصودها

ومقصودها: الاجتماع على الدين، الذي أساسه الأيمان، وأم دعائمه الصلاة، وروح أمره الألفة بالمشاورة، المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء.

---

(١) آية: ١.

(٢) آية: ٢.

(٣) آية: ٣٢.

(٤) آية: ١٣.

(٥) آية: ١٣.

(٦) آية: ١٥.

(٧) آية: ٤٥.

(٨) آية: ٤٨.

(٩) آية: ٥٠.

(١٠) القاف: «عسق ٢.

والزاي: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ١٩﴾.

والصاد: ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ٣٥﴾.

وأعظم نافع في ذلك الإنفاق، والمواساة فيما[1] في اليد، والعفو والصفح عن المسيء والإذعان للحق، والخضوع للأمر، وإن صعب وشق، وذلك كله هو الداعي إليه هذا الكتاب الذي هو روح جسد هذا الدين، المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال، وشريف الخلال بالصراط المستقيم.

وتسميتها بالشورى واضح المطابقة لذلك لما في آياتها، وكذلك بالأحرف المقطعة فإنها جامعة للمخارج الثلاثة: الحلق، والشفة، واللسان، وكذا جمعها لصنفي المنقوطة والعاطلة، ووصفي المجهورة والمهموسة.

وكذا تسميتها ببعضها، بدلالةالجزء على الكل، على أن هذه الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم، يشير إلى معنى هذا الجمع، نحو أن يقال: حكمة محمدعَلَتْ وعمت، فشفت سقام القلوب.

ويجوز أن تعتبر مفردة، فتكون إشارة إلى أسرار تملأ الأقطار، وتشرح الصدور والأفكار.

فإن نظرت إلى مخارجها، وجدتها قد حصل الابتداء فيها باد في وسط الحلق إلى اللسان باسم الحاء، وثنى بأوسط حروف الشفة وهي الميم. وحصل الرجوع إلى وسط الحلق بأقصاه من اللسان في اسم العين، وهو جامع للحلق واللسان. وقصد ثالثاً إلى اللسان بالسين، الذي هو مع كونه أوسط حروف اسمه من أدنى ما يخرج منه إلى الشفتين وهو رأسه، وله التصاق بالثنيتين السفليين، واتصال بأعلى الفم، ففيه بهذا الاعتبار «حم» ثُمَّ حصل بعد هذا الظهور بطون إلى أصل اللسان، وهو أقصاه من الشفة بالقاف.

ولاسم هذا الحرف جمع بالابتداء بأصل اللسان مع سقف الحلق، والاختتام بأصل الشفة العليا، والثنيتين السفليين.

ففي هذه الحروف ثلاثة وهي أكثرها لها نظر، بما فيها الجمع إلى

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: بما.

مقصود السورة وقد اتسق الابتداء فيها بما كان من حرفين، جمعهما مخرج بالأعلى ثم بالأدنى، إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد الظهور بطون، كما كان في أول الإسلام، حيث حصر النبي ﷺ وأقاربه في الشِّعب.

وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أنه من تحلية الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن: مَنْ زيَّن ظاهره بجميع الأعمال الصالحة، صحح الله باطنه بالمراقبة الخالصة الناصحة، على أن هذا التدلي بُشرى بأن الحال الثاني يكون أعلى من الأول، كما كان أعلى من الأول، كما كان عند الظهور من الشعب، بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة، لأن الثاني من مراتب هذه الحروف أقوى صفة مما هو أعلى منه مخرجاً، فإن الحاء لها من الصفات: الهمس والرخاوة، ولاستفال والانفتاح، والميم له[1] من الصفات: الجهر والانفتاح، والاستفال، وبين الشدة والرخاوة. والعين لها من الصفات ما للميم سواء. والسين لها من الصفات: الهمس والرخاوة، والاستفال والانفتاح، والصفير. والقاف لها من الصفات: الجهر والشدة، والانفتاح والاستعلاء، والقلقلة. فالحرفان الأخيران لكل منهما خمس صفات، فتلك عشر كاملة، أغلبها قوة، هي بمنزلة ما بعد هجرة النبي ﷺ، فإنه عشر سنين، أغلبها نصر وفتح.

والحرف الأخير منهما كله قوة، بمنزلة الخمس الأخيرة من سني الهجرة من سنة الحديبية التي هي أول الفتح، إلى سنة الوفاة، فإنها كلها فتح.

والحرف الأول من أصل حروف هذا الاسم، أكثر صفاته الضعف، ويزيد بالإمالة التي قرأ بها كثير من القراء[2].

والثاني والثالث، هما على السواء في القوة والضعف، وهما إلى القوة

---

(١) في د: لها.

(٢) قال ابن الجزري في النشر ٢/٧٠: الحاء من «حم» في السبع السور فَأَمَالَهَا محضاً حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وأبو بكر. وأَمالَهَا بين بين ورش من طريق الأزرق اهـ.

أَرْجَحَ قليلاً، وذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشِّعب.

والرابع فيه قوة وضعف، وضعفه أكثر، فإن فيه للضعف ثلاث صفات، وللقوة صفتين. وذلك كما كان حال النبي ﷺ عند آخر أمره بمكة المشرّفة حين مات الوزيران: خديجة رضي الله عنها، وعمه أبو طالب.

ولكن ربما كانت الصفتان القويتان غالبتين على الصفات الضعيفة، بما فيهما بالانتشار بالصفير، والجمع الذي[1] مضت الإشارة إليه، من الإشارة إلى ضخامة تكون باجتماع أنصار (كما وقع من بيعة الأنصار.

والخامس - وهو الأخير - كله قوة، كما وقع بعد)[2] الهجرة عند اجتماع الكلمة وظهور العظمة، كما قال ﷺ: «فلما هاجرنا انتصفنا من القوم، وكانت سجال[3] الحرب بيننا وبينهم»[4].

ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع، بعد قتال أهل الردة، بعد موته ﷺ، لا جرم، انتشر - بعد الاجتماع - أهل هذا الدين في أقطار الأرض يميناً وشمالاً فما قام لهم مخالف، ولا واقفتهم[5] أمة من الأمم على ضعف حالهم وقلتهم، وقوة غيرهم وكثرتهم، إلاَّ ومروا عليهم، فجعلوها كأمس الذاهب. وقد جمعت هذه الحروف - كما مضى - وصفي المجهورة والمهموسة، وكانت المجهورة أغلبها، إشارة إلى ظهور هذا الدين على كل دين كما حققه شاهد الوجود، وصنفا المنقوطة والعاطلة.

وكانت كلها عاطلة - إلا حرفاً واحداً - إشارة إلى أن أحسن أحوال المؤمن:

---

(١) في م: التي.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٣) قال في النهاية ٢/٣٤٤: أي مرة لنا. ومرة علينا.

(٤) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن ٢/٥٥ حديث رقم ١٣٩٣.
والإمام أحمد في المسند ٤/٩.
وقد مضى هذا الحديث مطولاً ومخرجاً ١/.

(٥) في د: وفقتهم، وكذا في نظم الدرر ١٧/٢٣٥.

أن يكون الأغلب عليه المحو، لا يرى لنفسه صفة من الصفات، بل يعدها في زمرة الأموات، وإلى أن المتحلي بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من أرباب هذا الدين، قليل جداً.

وكان المنقوط آخرها، إشارة إلى أن نهاية المراتب عند أهل الحق: الجمع بعد المحو والفرق.

وكان حرف الشفة من بين حروفها الميم، وهي ذات الدائرة المستوية الاستدارة: إشارة إلى أن لأهل هذا الدين من الاجتماع، والانطباق عليه، والإطافة به، والإسراع إليه، ما ليس لمن تقدمهم، وإلى أن لهم من القدم الراسخ في القول، المقتطع من الفم، المختتم بالشفتين ما لا يبلغه غيرهم، بحيث أنه لا نهاية له، مع حسن استنارته، بتناسب استدارته.

ثم إنك إذا بلغت نهاية الجمع في الأحرف، بأن جمعت أعداد مسمياتها، وهو مائتان وثمانية وسبعون، إلى أعداد أسمائها، وهو خمسمائة وأحد وثلاثون، بلغ تسعاً وثمانمائة سنة وفي السنة الموافقة لهذا العدد من هجرة نبينا ﷺ وُلِدت.

فكان الابتداء في أصل هذا الكتاب حينئذ بالقوة القريبة من الفعل، وسنةابتدائي فيه بالفعل وهي سنة إحدى وستين، في شعبان منها، كان سني إذ ذاك قد شارف أربعاً وخمسين سنة وهو موافق لعد حرفي «دن» أمراً من الدين، الذي هو مقصود السورة.

فكأنه برز الأمر إذ ذاك بالشروع في الكتاب، لتحصيل مقصودها، وسنة وصولي إلى هذه السورة وهي سنة إحدى وسبعين، في شعبان منها، كان سني قد شارف أربعاً وستين سنة. وهو موافق لعدد أحرف دين، الذي هو مقصود السورة.

فأنا أرجو بهذا الاتفاق الغريب، أن يكون ذلك مشيراً إلى أن الله تعالى يجمع بكتابي «نظم الدرر» الذي خصني بإلهامه، وادخرُه إلى أهل الدين جمعاً

عظيماً، جليلاً جسيماً يظهر له أثر بالغ في اجتماعهم، وحسن تأسِّيهم برؤوس نقلته واتباعهم.

ومن الآثار الجليلة في لحظ هذه الأحرف للجمع؛ أنه لما كان مقصود سورة مريم عليها السلام وصف الرحمن، المنزل لهذا القرآن، بشمول الرحمة لجميع الأكوان، وكانت هذه السورة لرحمة خاصة هي الاجتماع على هذا الدين، فكانت هذه الخاصة ثاينة لتلك العامة، ومتشعبة منها، كانت بمنزلة اليسار، وتلك بمنزلة اليمين.

فلذلك ـ والله أعلم ـ قال الأستاذ أبو الحسن الحِرَالِيّ في كتاب له في الحرف:

ولما كان ذلك ـ أي هذا الاسم ـ المجتمع من هذه الأحرف المقطعة، أول هذه السورة، مما ينسب إلى أمر الشمال، كان متى وضع على أصابع اليسار، ثم وضعت على هائجة ظلم أو جور استولى عليه بحكم إحاطة حكمة الله، وكانت خمستها مضافة إلى خمس «كهيعص» المستولية على حكمة اليمين، محيطاً ذلك بالعشر، المحيط بكل الحكمة التي مسندها الياء، الذي هو أول العشر، ومحل الاستواء بما هو عائد وحدة الألف[1].

(١) ما ذكره المؤلف تَكَلُّفٌ ظاهر لا صلة له بمقصود السورة.
والسورة إنما تعالج قضية العقيدة وتتناول أصلاً من أصولها، وهو حقيقة الوحي والرسالة حتى إنه لمن الممكن أن يقال: إنها المحور الرئيسي الذي ترتبط به السورة كلها وتأتي سائر الموضوعات فيها تبعاً لتلك الحقيقة الرئيسية فيها.
هذا مع أن السورة تتوسع في الحديث عن حقيقة الوحدانية، وتعرضها من جوانب متعددة كما أنها تتحدث عن حقيقة القيامة والإيمان بها، ويأتي ذكر الآخرة ومشاهدها في مواضع متعددة منها، وكذلك تتناول عرض صفات المؤمنين وأخلاقهم التي يمتازون بها كما تلم بقضية الرزق: بسطه وقبضه، وصفة الإنسان في السراء والضراء.
ولكن حقيقة الوحي والرسالة، وما يتصل بها، تظل مع ذلك هي الحقيقة البارزة في محيط السورة، وكأن سائر الموضوعات الأخرى مسوقة لتقرية تلك الحقيقة الأولى وتوكيدها، فتقرر وحدانية الموحي سبحانه وتعالى، ووحدة الوحي، ووحدة العقيدة، ولذا فإن السورة تبدأ بقوله تعالى: =

فضائلها

وأما فضائلها:

فروى الطبراني في الكبير ـ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح، غير شيخ الطبراني محمد بن عبدوس[١] ـ عن ميمونة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ «حم عسق»، فقال: يا ميمونة نسيتُ ما بين أولها إلى آخرها، قالت: فقرأتها فقرأها رسول الله ﷺ.

وروى الترمذي في القدر من جامعه وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في التفسير، والبغوي من طريق الإمام أحمد وهذا لفظه: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال: أتدرون ما هذان (الكتابان)[٢]؟، قلنا: لا يا رسول الله. فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في

= ﴿حم. عسق. كذلك يُوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾.

﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها.........﴾

﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب...﴾.

﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان......﴾.

﴿أم يقولون افترى على الله كذباً. فإن يشأ الله يختم على قلبك.....﴾

ثم تختم السورة كما بدأت فتتحدث عن الوحي، وتشرح حقيقته وأنواعه:

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيُوحِيَ بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم. وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، ألَا إلى الله تصير الأمور﴾.

راجع: الظلال ٣١٣٦/٥.

(١) مجمع الزوائد ١٠٢/٧.

(٢) زيادة عن البغوي.

الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون[١]، فليس بزائد فيهم، ولا بناقص، إجمال[٢] من الله عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم، قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام، إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص (منهم)[٣] إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ففيم العمل (إذن يا رسول الله)[٤]؟. فقال: اعملوا وسَدِّدوا وقاربوا[٥]، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل. ثم قال: فريق في الجنة (فضل من الله)[٦] وفريق في السعير، عدلٌ من الله عز وجل[٧].

وروى البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾[٨] الآية، بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن

---

(١) أي ملقون على الجدالة، وهي الأرض.
راجع: النهاية ١/٢٤٨.

(٢) أي عَدٌّ وإحصاء من الله، فلا نقص فيه، ولا زيادة منه.
راجع: النهاية ١/٢٩٨.

(٣) زيادة عن البغوي.

(٤) زيادة عن البغوي.

(٥) قال في النهاية ٢/٣٥٢: أي اطلبوا بأعمالكم السداد والإستقامة وهو القصد في الأمر والعدل فيه.

(٦) زيادة عن البغوي.

(٧) صحيح الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار ٣/٣٠٤ حديث رقم ٢٢٢٧.
وتفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٧/٣٥٣.
ومسند الإمام أحمد ٢/١٦٧.

(٨) الآية: ٢٧ من السورة.

النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل قال: من أهان لي وليّاً(١) فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحَرِدُ(٢)، وما تقرب إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليها وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، إن دعاني أَجَبْتُه، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله، تردُّدِي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بدَّ له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفُّه عنها لا يدخله العجب فيفسده ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانَه إلا الفقر، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك. (وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك)(٣). وذلك أني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم وإني عليم خبير(٤).

التردد له بداية ونهاية، فبدايته الجهل، وغايته اللطف والرفق.

فبدايته مما يتعالى الله سبحانه وتعالى عنه، والمراد هنا غايته، وهو أنه فعل فعل المتردد فيما يكره حبيبه ولا بد له منه، وذلك أنه يتطلف حتى يكون ذلك المفعول على أرفق الوجوه بحبيبه كمن يريد أن يسقي من يعز عليه جداً دواءً، فهو يجتهد في أقل ما يجد من الأدوية كراهة حتى إنه إن قدر أن يجعله في مشموم أو ملموس لا يجد له كراهة أصلاً، فعل(٥).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤٢/١١: المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

(٢) قال في اللسان ١٤٥/٣: يقال: حرد الرجل فهو حرد، إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وَهَمَّ به.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٤) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٣٧١/٧.
وفي سنده عمر بن سعيد، أبو حفص الدمشقي، المتوفي سنة ٢٢٥، وهو متروك.

(٥) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤٥/١١: قال الخطابي: التردد في حق الله غير جائز، والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له تأويلان: =

وهو موافق للأحاديث الآخر: «موت المؤمن بعرق الجبين»[1].

= أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه، وفاقة تنزل به، فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه، واستأثر بالبقاء لنفسه.

والثاني: أن يكون معناه: ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترددي إياهم في نفس المؤمن، كما روى في قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتَرَدُّده إليه مرة بعد أخرى.

قال: وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد، ولطفه به، وشفقته عليه. اهـ.

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ النسائي في سننه: كتاب الجنائز، باب علامة موت المؤمن ٤/٥.

والترمذي: كتاب الجنائز، باب٩ ٢/٢٢٧ حديث رقم ٩٨٧ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع ١/٤٦٧ حديث رقم ١٤٥٢.

والإمام أحمد في المسند ٥/٣٥٠، ٣٥٧، ٣٦٠.

والحاكم في المستدرك: كتاب الجنائز، باب المؤمن يموت بعرق الجبين ١/٣٦١.

وقال: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

كلهم من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

قال الترمذي ٢/٢٢٧: وفي الباب عن ابن مسعود.

والحديث ذكره السيوطي في الجامع لصغير ٢/٦٦١ حديث رقم ٩١٤٥ وحسنه.

وابن الأثير في جامع الأصول ١١/٨٧ حديث رقم ٨٥٥٧.

قال السيوطي في زهر الرُّبى ـ نقلاً عن العراقي في شرح الترمذي ـ ٤/٦:

اختلف في معنى هذا الحديث، فقيل: إن عرق الجبين يكون لما يعالج من شدة الموت وعليه يدل حديث ابن مسعود، قال أبو عبد الله القرطبي في حديث ابن مسعود «موت المؤمن بعرق الجبين»: يبقى عليه البقية من الذنوب فيجازي بها عند الموت أو يشدد عليه ليتمحص عنه ذنوبه.

وقيل: إن عرق الجبين يكون من الحياء، وذلك أن المؤمن إذا جاءته البشرى مع ما =

«من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه»[1].

فسره النبي ﷺ بأنه عند الغَرْغَرَة[2]، يرى مقعده من الجنة، فيهون ذلك عليه ما يلقى من الألم، ويُحِبُّ أن يموت ليصل إلى ما رأى من الخير

= كان قد اقترف من الذنوب، حصل له بذلك خجل واستحياء من الله تعالى، فيعرق بذلك جبينه.

قال القرطبي في التذكرة (ص ١٦): قال بعض العلماء: إنما يعرق جبينه حياء من ربه، لما اقترف من مخالفته، لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علاه، والحياء في العينين، فذاك وقت الحياء، والكافر في عمى من هذا كله، والموحّد المعذّب في شغل عن هذا بالعذاب الذي قد حلّ به وإنما العرق الذي يظهر لمن حلت به الرحمة، فإنه ليس من وليٍّ ولا صديق ولا بَرٍّ، إلا وهو مستح من ربه مع البشري والكرامات.

قال العراقي: ويحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه اهـ. بتصرف.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٨/ ٩٠.

ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ١٧/ ٩.

والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٢/ ٢٦٤ حديث رقم ١٠٧٢، ١٠٧٣.

والنسائي: كتاب الجنائز، باب في من أحب لقاء الله ٤/ ١٠.

كلهم من حديث عبادة بن الصامت وعائشة وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري.

(٢) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟. فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه.

وفي رواية له عن شريح بن هانيء أنه قال لعائشة: سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثاً إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ. وما ذاك؟. قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره الله لقاء الله، كره الله لقاءه، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت، فقالت: =

(مثل)[1] ما يجد الشهيد من ألم القتل، إلا ما يجد غيره من ألم القرصة.

وإذا علم هذا وحفظ، دفع كل إشكال يمكن أن يورد في هذا المقام، والله أعلم.

وهذه اللفظة التي أزيل إشكالها، وحل ـ ولله الحمد ـ عقالها، رواها البخاري في الرقاق من صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته[2].

وهذا الحديث انفرد به البخاري، وهو وإن كان من رواية خالد بن مخلد القطواني[3] وقد قال الإمام أحمد: إن له مناكير. فهذا الحديث ليس منها، كما قال شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر، في مقدمة شرح

= قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتَشَنَّجت الأصابع، فعند ذلك مَنْ أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(١) ليست بالأصل، وزدتها لأن السياق يقتضيها.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع ١٩٠/٧.
ولهذا الحديث طرق أخرى عند البيهقي وابن أبي الدنيا، وأبي نعيم والطبراني، وغيرهم أشار إليها الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٤١/١١، وذكر أن جميعها لا يخلو من ضعف، ولكن بمجموعها يتقوى الحديث، وتدل على أن له أصلاً.

(٣) هو أبو الهيثم خالد بن مخلد القطوان ـ بفتح القاف والطاء، نسبة إلى قطوان من بلاد الكوفة ـ المتوفي سنة ٢١٣. قال ابن سعد: منكر الحديث، مفرط في التشيّع.
راجع: الميزان ٦٤٠/١. والتقريب ٢١٨/١، والخلاصة ١٠٢، والجرح والتعديل ٣٥٤/٣.

البخاري: إن أبا أحمد بن عدي[1] تتبعها وأوردها في كامله، وليس فيها شيء مما أخرجه البخاري. قال: وروى له الباقون، سوى أبي داود[2].

وروى البغوي، والإمام أحمد، وأبو يعلى - قال الهيثمي: وفيه أزهر بن راشد[3] وهو ضعيف -[4] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله، حدثنا بها رسول الله ﷺ؟، ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[5]، وسأفسرها لك يا علي، ما أصابكم من مرض، أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، والله عز وجل أكرم من أن يثني عليكم - وفي رواية أحمد: عليهم - العقوبة في الآخرة، وما عفى الله عنه في الدنيا، فالله أجل من أن يعود بعد عفوه»[6].

ونقله ابن رجب من تفسير سفيان بن عيينة عنه بلفظ: ألا أخبركم بأرجى آية؟. والباقي بنحوه.

وروى الترمذي، واللفظ له وقال: حسن[7]، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في الزهد، عن أبي

---

(١) هو المعروف بابن القطان، الحافظ الثقة المتقن، صاحب كتاب «الكامل في الجرح والتعديل»، المتوفي سنة ٣٦٥. وتقدمت ترجمته.
وراجع: تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٠. شذرات الذهب ٣/٥١. طبقات الحفاظ ٣٨٠.

(٢) المقدمة ص ٣٩٨ ط دار الكتاب الجديد.

(٣) هو أزهر بن راشد الكاهلي، يروي عن الخضر بن القواس. كلاهما مجهول.
راجع: الميزان ١/١٧١ الترجمة رقم ٦٩٤. ١/٦٥٥ الترجمة رقم ٢٥١٥.

(٤) مجمع الزوائد: ٧/١٠٤.

(٥) اية: ٣٠ من السورة.

(٦) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٧/٣٧٣ من طريق الأزهر بن راشد أيضاً.
ومسند الإمام أحمد ١/٨٥.

(٧) في صحيح الترمذي: حسن غريب.

هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: **﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾**[1] الآية، ثم قال: يقول الله عز وجل: ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غني، وأسد فقرك، وإن لا تفعل، ملأت صدرك شغلاً، ولم أسد فقرك[2].

---

(١) الآية: ٢٠ من السورة.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ١٤ ٤/٥٧ حديث رقم ٢٥٨٤.
وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الهم في الدنيا ٢/١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٧.
والمستدرك للحاكم: كتاب التفسير، باب سورة حم عسق ٢/٤٤٣.
ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٥٨.

سورة الزخرف

مكية.

قال ابن الجوزي: بإجماعهم [١].

قال: وقال مقاتل: هي مكية إلا آية، قوله: ﴿واسأل من أرسلنا﴾[٢].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثمان وثمانون في الشامي، وتسع في الباقين.

اختلافها آيتان:

﴿حم﴾[٣] عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

---

(١) زاد المسير ٧/٣٠١.

(٢) الآية: ٤٥.

(٣) الآية: ١.

﴿ فإنه سيهدين ﴾[1] لم يعدها الكوفي والشامي، وعدها الباقون.
وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يُعَدُّ بإجماع، موضع:
﴿ عن السبيل ﴾[2].
وعكسه موضعان:
﴿ مقرنين ﴾[3]، ﴿ قرين ﴾[4].
ورويها ثلاثة أحرف: ملن[5].

مقصودها

ومقصودها: البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة، حتى يكونوا أعلى الأمم شأناً، لأن هدايتهم بأمر لدنى هو من غريب الغريب، الذي هو للخواص، فهو في الرتبة الثانية من الغرابة، وأن ذلك أمر لا بد لهم منه، وإن اشتدت نفرتهم منه، وإعراضهم عنه.

قال تعالى شاهداً لذلك: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾[6]، أي تكونون أهلاً لأن يسألكم العلماء من جميع الأمم عن دقائق الأحكام والحكم[7]، وحتى تكونوا أهلاً للجنة لما[8] قال تعالى:

---

(١) الآية: ٢٧.
(٢) الآية: ٣٧.
(٣) الآية: ١٣.
(٤) الآية: ٣٦.
(٥) اللام: ﴿وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل﴾ الآية: ٥٩.
والميم والنون مكرران في السورة بكثرة.
(٦) الآية: ٤٤.
(٧) وقال الحافظ ابن كثير ٤/١٢٩: «وسوف تسئلون» أي هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به، والإستجابة له.
وراجع: نظم الدرر ١٧/٤٣٧ ط الهند.
(٨) كذا بالأصل. ولعل الصواب: كما قال.

﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾[1]. وغير ذلك من الدلالات في آيات هذه السورة، كما يشهده أهل البصائر.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالزخرف، كما في آيتها، من أنه لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، ولكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم، فأفقر بعضهم وأكثر بؤسهم وضرهم وفرَّق أمرهم، ليسهل ردهم[2] عن الكفر الذي أدتهم إليه طبائعهم ونقائصهم، لما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان، إلى ما يرونه من مجالس العرفان، واجتماع كلمة الدين والأيمان، ولذة الخضوع للملك الديان، فيخضع لهم الملوك والأعيان، ويصير لهم الفرقان على جميع أهل العصيان[3].

(١) الآية ٧١.

(٢) في الأصل: زادهم. والتصويب عن نظم الدرر.

(٣) تدﷺر سورة الزخرف حول تصحيح الانحرافات العقائدية، ورد النفوس إلى الفطرة الأولى. فقد كانت الوثنية الجاهلية تقول: إن في هذه الأنعام التي سخرها الله للعباد نصيباً لله، ونصيباً لآلهتهم المزعومة، كما قص الله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، فقالوا هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم. . . . .﴾.

وكانت لهم في الأنعام أساطير وخرافات ناشئة من صميم عقيدتهم المنحرفة، فكانت هناك أنواع من الأنعام يحرم ركوبها، وأنعام يحرم أكلها، وغير ذلك: «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون، وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء. . .».

ففي سورة الزخرف تصحيح لتلك الإنحرافات، وإعلام المشركين أن هذه الأنعام من خلق الله جلت قدرته، وقد خلقها الله وسخرها للبشر ليشركوا الله على ما رزقهم من نعمه، لا ليجعلوا له شركاء، ويشرعوا لأنفسه في الأنعام مالم يأذن به الله: ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾.

وكانت الوثنية في الجاهلية تقول: إن الملائكة بنات الله، ومع أنهم يكرهون أن تولد لهم البنات، فإنهم كانوا يختارون لله البنات، ويعبدونهم من دون الله، ويقولون: إننا نعبدهم بمشيئة الله ولو شاء الله ما عبدناهم. =

....

= وفي هذه السورة يُظْهِر القرآن تهافت منطقهم، ويبين أن هذا الزعم خرافة لا تستند إلى حقيقة: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين، أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين، وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم، أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم، مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون، أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون؟، بل قالو: إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾.

ولما قيل لهم: إنكم تعبدون أصناماً وأشجاراً، وأن كل ما يعبد من دون الله هو وعابدوه في النار، حرفوا الكلام واتخذوا منه مادة للجدل، وقالوا: فما بال عيسى وقد عبده قومه، أهو أيضاً في النار؟. ثم قالوا: إن الأصنام تماثيل للملائكة، والملائكة بنات الله، فنحن في عبادتنا لهم خير من النصارى في عبادتهم لعيسى وهو بشر له ما للبشر من الطبيعة: »«ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منكه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو؟. ما ضربوه لك إلا جدلاًبل هم خصمون، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل».

ولما اعترضوا على نزول القرآن على محمد الفقير اليتيم، بين الله حكمة اختيار الله لرسوله وفساد القيم الزائفة التي أعمتهم وأضلتهم، وبيان القيم الحقيقية التي ينبغي أن توضع في الإعتبار «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون، وزخرفاً، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين».

وفي خلال تلك الرحلة التي تصحح عقيدة القوم، وتبين زيف ما هم عليه، تجيء قصة موسى مع فرعون، وفيها يبدو فرعون معتزا مغتراً بما فيه من فساد، وكيف كان مصرعه بسبب انحرافه، وكيف كان انتصار الفئة المؤمنة من بني اسرائيل.

فالسورة تهدف إلى علاج الإنحرافات الإعتقادية، وبيان زيف القيم الوثنية التي كان عليها المشركون. راجع: الظلال ٥/٣١٧٤ وما بعدها.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أبو داود، والترمذي، والنسائي - قال النووي في الأذكار: بالأسانيد الصحيحة[1] - والبيهقي في الدعوات، عن علي بن ربيعة قال: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم[2] قال: ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾[3] ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات - قال البيهقي ثم قال: سبحان الله، يعني ثلاث مرات - ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك، إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب[4] إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلتُ ثم ضحك فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال: (رب)[5] اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري[6].

وقال البيهقي: قال: علم عبدي أنه لا رب له غيري.

ورواه البغوي في التفسير، وفي روايته: فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: «سبحان الذي سخر

---

(١) الأذكار ص ١٩٧.

(٢) في الأصل: «قال البيهقي: ثم قال ولا معنى لجملة (قال البيهقي)»، لأن لفظ الحديث هو هكذا عند أبي داود والترمذي.

(٣) الآيتان: ١٣ - ١٤ من السورة.

(٤) في د: الذنب.

(٥) زيادة عن الترمذي.

(٦) سنن أبي داود: كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا ركب ٣/٤٣ حديث رقم ٢٦٠٢.

وصحيح الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ركب دابة ٥/١٦٤ حديث رقم ٣٥١١ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً، وكبر ثلاثاً[1].

وروى البيهقي في الدعوات عن عبدالله بن ربيعة أيضاً قال: خرج علي رضي الله عنه من باب القصر، فوضع رجله في غرز السرج فقال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال:

الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر، ورزقنا من الطيبات، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا سبحان الذي سخر لنا وهذا ما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وسبح ثلاثاً، وحد ثلاثاً ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ[2] صنع. ثم قال: (رب اغفر لي لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع)[3]. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

والعجب - كما مضى في التردد[4] - له بداية هي الجهل، ونهاية هي الإكرام، وهي المراد هنا، فإن الإنسان إذا أعجبه شيء فعله (من)[5] يحبه، أكرمه غاية الإكرام، والله (تعالى)[6] الموفق.

ولمسلم في المناسك، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان إذ استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»[7].

---

(١) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ٣٨٩/٧.

(٢) ما بين الحاصرين ساقط من د.

(٣) ساقط من د.

(٤) راجع: ص ٨٠.

(٥) ساقطة من د.

(٦) زيادة عن د.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته ١١٠/٩.

سورة الدخان

مكية كلها إجماعاً.

قال ابن الجوزي[١]: وقال الزمخشري[٢]، وأبو حيان[٣]، قيل: إلا قوله: إنَّا كاشفوا العذاب[٤].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها خمسون وتسع في الكوفي، وسبع في البصرى، وست فيما عداهما.

اختلافها أربع آيات:

(١) كلام ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٣٦ هكذا: «وهي مكية كلها بإجماعهم» فليس في كلامه استثناء الآية المذكورة.

(٢) الكشاف ٣/٤٩٩.

(٣) البحر المحيط ٨/٣٢.

(٤) الآية: ١٥.

﴿ حم ﴾[١] عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.
﴿ إن هؤلاء ليقولون ﴾[٢]، عدها الكوفي أيضاً، ولم يعدها الباقون.
﴿ إن شجرة الزقوم ﴾[٣]، لم يعدَّها المدني الأخير والمكي، وعدها الباقون.
﴿ في البطون ﴾[٤]، لم يعدها المدني الأول والمكي والشامي، وعدها الباقون.
وفيها مما يشبه الفواصل، وليس معدوداً بإجماع، موضعان:
﴿ يحي ويميت ﴾[٥]، ﴿ بني اسرائيل ﴾[٦].
ورويها حرفان: من.

مقصودها

ومقصودها: الإنذار بالهلكة لمن (لم)[٧] يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة.

وعلى ذلك دل اسمها «الدخان» إذا تؤملت آياته، فإنه تعالى هددهم بآيتان[٨]. العذاب لهم من جهة السماء، في صورة الدخان.

وهددهم بالانتقام منهم بالبطشة الكبرى لكذبهم، ووسوء منقلبهم ومرتكبهم[٩].

---

(١) الآية: ١.
(٢) الآية: ٣٤.
(٣) الآية: ٤٣.
(٤) الآية: ٤٥.
(٥) الآية: ٨.
(٦) الآية: ٣٠.
(٧) ساقط من د.
(٨) كذا في د، و م بخط المؤلف.
(٩) موضوع هذه السورة: قضية التوحيد، والبعث، والرسالة. =

فضائلها

وأما فضائلها: فروى الترمذي وقال: غريب. والدارقطني، والبغوي في التفسير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ حم الدخان، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك[1].

= وهي تبدأ بالحديث عن القرآن، وتنزيله في ليلة مباركة، رحمة من الله بعباده، وإنذاراً وتحذيراً لهم، ثم تعريف الناس بربهم وبوحدانيته، فهو رب السموات والأرض، المحي المميت.

ثم تذكر شأن القوم في مكة وأنهم في لهو وشك ولعب، لا يكادون يبالون بما يعرض عليهم: «بل هم في شك يلعبون». ومعاجلتهم بالتهديد بوقوع العذاب جزاء شكهم ولعبهم: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ ﴿يوم نبطش الكيرى انا منتقمون﴾.

ثم تعرض لطرف من قصة موسى مع فرعون وقومه، لما دعاهم موسى إلى الإيمان بالله، وناداهم قائلاً: أن أدوا إليَّ عباد الله إني لكم رسول أمين، وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين﴾. فأبوا أن يسمعوا، وأعرضوا عن دعوة الله مستكبرين، فكان مصرعهم في ذل وهوان، بعد عز واستعلاء: ﴿كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السموات والأرض وما كانوا منظرين﴾.

وفي خلال السياق يأتي تكذيبهم بالبعث والحياة الآخرة: ﴿إن هؤلاء ليقولون إن هن إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين، فآتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾. ويأتي الـرد عليهم: ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون﴾.

ثم تعرض السورة جزاء المؤمنين، وما هم فيه من النعيم، ثم تختم بالحديث عن القرآن كما بدأت به: فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون. وبالتهديد لهم: «فارتقب إنهم مرتقبون». راجع: الظلال ٥/٣٢٠٦.

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، بباب ما جاء في حم الـدخان ٤/٢٣٧ حديث رقم ٣٠٥٥٠.

وتفسير البغوي على هامش ابن كثير ٧/ ٤٣٩.

وفي سندهما عمر بن راشد أبي خثعم اليمامي، وكنيته أبو حفص، رواه عن يحي بن =

وفي رواية للترمذي: من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة، غفر له [1].

وفي رواية للدارقطني: من قرأ يس في ليلة، أصبح مغفوراً له، ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له.

ورواه الأصبهاني في ترغيبه، والقاضي أبو عبد الله المحاملي في الثاني عشر من فوائده ولفظه: «من صلى بسورة الدخان في ليلة، بات يستغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح».

وروى الدارمي عن عبدالله بن عيسى [2] قال: أخبرت أنه من قرأ حم

= أبي كثير. قال أحمد: أحاديثه عن يحي مناكير. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن ثقات الأئمة، لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه.

وترجم له الذهبي في الميزان ١٩٣/٣ ترجمة رقم ٦١٠١، والمغنى في الضعفاء ٤٦٦/٢. ترجمة رقم ٤٤٥٦، وضعفه بهذا الحديث.

والحديث ذكره السيوطي في موضوعاته ١٢١/١ وقال: عمر يضع الحديث والفتنى في تذكرة الموضوعات ٧٩. وذكر أنه موضوع بعمر أيضاً.

(١) صحيح الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في حم الدخان ٢٣٨/٤ حديث رقم ٣٠٥١.

وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٨٠، والسيوطي ١٢٢/١ من رواية الترمذي والبيهقي وابن الضريس.

وافقه هشام بن زياد أبو المقدام البصري، منكر الحديث، يروي الأحاديث الموضوعة وينسبها الى الثقات، وقد ترجم له الذهبي في الميزان ٢٩٨/٤، والمغني في الضعفاء ٢/٠ظ..

والحديث رواه ابن أبي داود من طريق محمد بن زكريا. وقال السيوطي في اللآلىء ١٢١/١: حديث باطل، محمد بن زكريا يضع.

ثم إن في الحديث انقطاعاً، لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، قال الترمذي ٢٣٨/٤: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.

(٢) هو عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، المتوفي سنة ١٣٥ وكان ثقة ثبتا في الرواية، وترجم له البخاري ولم يوثقه ولم يجرحه.

راجع: تهذيب التهذيب ٣٥٢/٥. والتاريخ الكبير ١٦٤/٥.

الدخان ليلة الجمعة إيماناً وتصديقاً، أصبح مغفوراً له[1].

وله أيضاً عن يحي بن الحارث ـ هو الذماري ـ[2] عن أبي رافع[3] قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين[4].

وله حكم الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي.

وللطبراني والأصبهاني، عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، بنى الله له بيتاً في الجنة[5].

وتقدم في التوبة حديث علي رضي الله عنه في فضلها[6].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٧.

(٢) هو أبو عمرو يحي بن الحارث الذماري ـ نسبة إلى ذمار قرية باليمن ـ الدمشقي الغساني، إمام الجامع الأموي، وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، عدوه في التابعين فقد لقي بن الأسقع ورى عنه وقرأ عليه، وثقه ابن معين وأبو حاتم وأبو داود. ومات سنة ١٤٥.

راجع: الخلاصة ٤٢٢. طبقات القراء ٢/٣٦٧.

(٣) هو أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وقد اختلف في اسمه على عشرة أقوال وأشهرها: أن اسمه أسلم، شهد عزوة أحد وما بعدها، له ثمانية وستون حديثاً انفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، مات في مقتل عثمان رضي الله عنهما.

راجع الإصابة ٤/٦٨. والإستيعاب على هامش الإصابة ٤/٧٠، والخلاصة ٤٤٩.

سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات ٢/٤٥٧.

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١٦٨: رواه الطبراني في الكبير، وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف جداً.

(٦) راجع ص.

سورة الجاثية

وتسمى الشريعة(١).

مكية إجماعاً.

وقال ابن الجوزي: رواه العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد ومقاتل وقتادة والجمهور.

وحكى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: هي مكية إلا آية، وهي قوله: ﴿ قل للذين(٢) آمنوا يغفروا ﴾(٣).

وتبعه على ذلك الأصفهاني.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وسبع في الكوفي، وست في عدد الباقين.

---

(١) لقوله تعالى فيها: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فأتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾، الآية ١٨.

(٢) الآية: ١٤.

(٣) زاد المسير ٧/٣٥٤.

اختلافها آية واحدة:

﴿ حم ﴾ [1] عدها الكوفي، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفاصلة موضع:

﴿ أهواء الذين ﴾ [2].

ورويها حرفان: ﴿ من ﴾، كالتي قبلها سواء.

مقصودها

ومقصودها: الدلالة على أن منزل هذا الكتاب ـ كما دل عليه ما في الدخان ـ ذو العزة لا يغلبه شيء، وهو يغلب كل شيء، والحكمة لأنه لم يصنع شيئاً إلا في أحكم مواضعه، فعلم أنه المختص بالكبرياء، فوضع شرعاً هو في غاية الاستقامة، لا تستقل العقول بإدراكه، أمر فيه ونهى، ورغب ورهب، ثم بطن حتى إنه لا يعرف، وظهر حتى إنه لا يجهل.

فمن المكلفين من حكم عقله وجانب هواه، فشهد جلاله، فسمع وأطاع، ومنهم من اتبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ.

فاقتضت الحكمة ـ ولا بد ـ أن يجمع سبحانه الخلق، ويظهر كل الظهور، ويدين عباده ليشهد رحمته المطيع، وكبرياءه العاصي المضيع، وينشر العدل، ويظهر الفضل، (ويتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه يوم الفصل) [3].

وعلى ذلك دل اسمها «الشريعة».

---

(١) الآية: ١.

(٢) الآية: ١٨.

(٣) ما بين الحاصرين ساقط من د.

واسمها «الجاثية» واضح الدلالة فيه، إذا تؤمل كل من آيتيها، والله الهادي [١].

فضائلها

وأما فضائلها: فاختصاصها بما اختص الله به من الكبـرياء ﴿ **ولـه الكبرياء في السموات والأرض** ﴾ [٢].

روى مسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة، رضي الله عنهما، وأبو داود، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **يقول الله**

---

(١) سورة الجاثية مكية، وقد تناولت العقيدة الإسلامية في إطارها الواسع ﴿الإيمان بالله ووحدانيته، والإيمان بالقرآن، والإيمان بالآخرة والبعث والجزاء﴾.

ويكاد يكون المحور الذي تدور حوله السورة هو إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله عز وجل ـ فالسورة تبدأ بالحديث عن القرآن ومصدره وهو الله العزيز في ملكه، الحكيم في خلقه.

ثم ذكرت الآيات الكونية المبثوثة في هذا العالم الفسيح، ففي السموات آيات، وفي الأرض آيات، وفي خلق البشر وسائر الأنعام والمخلوقات آيات، وفي تعاقب الليل والنهار، وتسخير الرياح والأمطار آيات، وكلها شواهد ناطقة بعظمـة الله وجلالـه وقدرته وكبريائه.

ثم تحدثت عن المكذبين بالقرآن، الذين يسمعون آيات الله فلا يزدادون إلا طغياناً واستكباراً، وذكرت ما أعد الله لهم من عذاب الجحيم.

وتحدثت السورة عن إكرام الله لبني اسرائيل بشتى أنواع التكريم، ومقابلتهم ذلك الفضل والإحسان بالجحود والعصيان، وذكرت موقف الطغـاة المجرمـين من دعوة الرسل الكـرام وبينت أنه لا يتسـاوى في عدل الله وحكمتـه أن يجعل المجـرمين كالمحسنين، وأن يكون الأشرار في الثواب كالأبرار، ثم بينت سبب ضلال المشركين، وهو إجرامهم واتخاذهم الهوى إلهاً ومعبوداً.

وختمت السورة بذكر الجزاء العادل يوم الدين، حيث ينقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. راجع: صفوة التفاسير ١٥/ ٦٩.

(٢) الآية: ٣٧ من السورة.

عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، أدخلته النار[1].

وفي رواية: عذبته.

وفي رواية: قصمته.

ولأبي عبيد عن تيمم الداري رضي الله عنه أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلى، فافتتح السورة التي يذكر فيها الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا[2] السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[3]، فلم يزل يرددها حتى أصبح[4].

وروى البيهقي عن الخليل بن مره[5]، **أن النبي ﷺ** قال: **الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع، تجيء كل حميم تقف على باب من هذه الأبواب فتقول: اللهم لا يدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤ ني.**

ثم قال: هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع.

---

(1) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر ١٦/١٧٣.
وسنن أبي داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٤/٥٩ حديث رقم ٤٠٩٠.
وسنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع ٢/٩٧ حديث رقم ٤١٧٤ عن أبي هريرة. وحديث رقم ٤١٧٥ عن ابن عباس.

(2) قال الحافظ ابن كثير ٤/١٥٠: أي عملوها وكسبوها.

(3) الآية: ٢١ من السورة.

(4) ورواه الطبراني من حديث شعبة عن عمر بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق.
راجع: تفسير ابن كثير ٤/١٥٠.

(5) هو الخليل بن مرة الضبعي ـ بضم الضاد المعجمة ـ البصري الرقي، المتوفى سنة ١٦٠.
قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدى: ليس بمتروك.
راجع: الخلاصة ١٠٧. والميزان ١/٦٦٧. والمغني للضعفاء ١/٢١٤.

سورة الأحقاف

مكية.

قال النجم النسفي: إلا قوله: ﴿ **والذي قال لوالديه** ﴾ الآيتين[١]، فإنهما نزلتا بالمدينة.

وقال أبو حيّان: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**قل أرأيتم إن كان من عند الله**﴾[٢]. و ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم**﴾[٣] الآيتان مدنيتان[٤].

وقال ابن الجوزي: وروى العوفي وابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مكية. وبه قال الحسن ومجاهد، وعكرمة وقتادة، والجمهور.

وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: فيها آية مدنية: ﴿ **قل أرأيتم**

(١) الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٢) الآية: ١٠.

(٣) الآية: ٣٥.

(٤) البحر المحيط ٨/٥٤.

إن كان من عند الله﴾[١].

وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله** ﴾[١]، ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**»[٢]، نزلتا بالمدينة[٣].

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وخمس في الكوفي، وأربع في عدد الباقين.

اختلافها كالتي قبلها: ﴿ **حم** ﴾[٤]، عدها الكوفي دون غيره.

وفيها مما يشبه الفواصل ولم يعد بإجماع، موضعان: ﴿ **عذاب الهون** ﴾[٥]، ﴿ **ما يوعدون** ﴾[٦].

ورويها ثلاثة أحرف: نمر[٧].

مقصودها

ومقصودها: إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة، اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف، بما وقع الصدق في الوعد به، من إهلاك المكذبين، وأنه لا يمنع من شيء من ذلك مانع، لأنه لا شريك له، فهو المستحق للإفراد بالعبادة.

وعلى ذلك دلت تسميتها بالأحقاف، بما دلت عليه قصة قوم هود عليه

---

(١) الآية: ١٠.

(٢) الآية: ٣٥.

(٣) زاد المسير ٧/٣٦٨.

(٤) الآية: ١.

(٥) الآية: ٢٠.

(٦) الآية: ٣٥.

(٧) الراء روى قوله: ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾. الآية: ٣٣. والباقي مكرر في السورة.

السلام، من التوحيد وإنذارهم بالعذاب دنيا وأخرى، ومن إهلاكهم، وعدم إغناء ما عبدوه عنهم، ودفنهم تحت أحقافهم، بما تحقق من إعراضهم وخلافهم، ومباعدتهم للحكمة في عبادتهم حجراً، وإنكارهم أن يكون النبي بشراً، فسلبت أرواحهم بالريح العقيم، ودمرت أشباحهم بالعذاب الأليم. فدل ذلك قطعاً على أنه العزيز الحكيم[1].

---

(١) سورة الأحقاف مكية، وهي تعالج قضايا العقيدة، وهي: الإيمان بوحدانية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود، والإيمان بالوحي والرسالة، وأن محمداً ﷺ رسول سبقته الرسل، أوحى إليه بالقرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب.

وتنكر السورة ما كان عليه القرم في قريش من الشرك بالله، وهو سلوك لا يقوم على دليل ولا يستند إلى قول صحيح، ولا مأثور من العلم: ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض، أم لهم شرك في السموات، ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾.

كما تذكر سوء استقبالهم لرسول الله ﷺ لما جاءهم بالحق من عند الله وقولهم: «هذا سحر مبين». ويلقن الله رسوله الرد عليهم بقوله: ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً، هو أعلم بما تفيضون فيه، كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم، قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن أتبع إلا ما يوحي إليَّ، وما أنا إلا نذير مبين﴾.

وفي خلال السياق تذكر السورة مصرع قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هوداً عليه السلام، واستعجلوا العذاب من الله، وفي قصتهم عظة وعبرة لمن كان له قلب، وتذكير لأهل مكة بما كان عليه قوم هود من الشدة وقوة البأس: «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون».

وفي الختام يوجه الله رسوله إلى الصبر تأسياً بإخوانه من الرسل، ولا يستعجل لهم العذاب: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم...﴾.

راجع: الظلال ٣٥٤/٦.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى أحمد باسنادين ـ قال الهيثمي:[١] رجال أحدهما ثقات[٢] ـ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة (من الثلاثين)[٣] من آل حم ـ يعني: الأحقاف ـ قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت[٤] الثلاثين[٥].

وروى الطبراني ـ قال الهيثمي: برجال الصحيح ـ[٦] عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود أروني إثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه، فأسكتوا فما أجابه منهم أحد[٧]. ثم رد عليهم فلم يجبه أحد (ثم ثلّث فلم يجبه أحد)[٨]، فقال: أبيتم؟. فوالله لأنا الحاشر، وأنا العلقب، وأنا المقفى، آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل. فقال ذاك الرجل: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟. قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب، ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد[٩] أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم

(١) مجمع الزوائد ١٠٥/٧.
(٢) فيدد: ورجال أحدهما رجال الصحيح». والصواب أثبتناه لموافقته لمجمع الزوائد.
(٣) زيادة عن مسند أحمد.
(٤) في الأصل: «ثلاثين»، والتصويب عن المسند.
(٥) مسند الإمام أحمد ٤٠١/١، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٢. والحديث في المسند أطول مما هنا.
(٦) مجمع الزوائد ١٠٦/٧.
(٧) في د: واحد منهم.
(٨) ما بين الحاصرين ساقط من الأصل، وزدناه عن مجمع الزوائد.
(٩) في مجمع الزوائد: أشهد بالله أنه.

ردوا عليه وقالوا فيه شراً. فقال رسول الله ﷺ: كذبتم لن يقبل منكم قولكم. قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وابن سلام. فأنزل الله تعالى: ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[1] انتهى.

ويجمع بين هذا فيما يفهم: أن هذا أول إسلامه، وبين ما في الصحيح: أنه كان في منزل النبي ﷺ بأنه أسلم في بيته ﷺ، فدعا أقاربه من اليهود وهم من بني قينقاع، فقالوا فيه ما قالوه، ثم أراد أن يرى النبي ﷺ كرامته في غير قومه، فذهب إلى طائفة أخرى في الحال قبل أن يعلموا بإسلامه، فدخل إليهم ودخل النبي ﷺ في أثره، فكان ما تقدم.

ومعنى حط الغضب عن جميع اليهود بإسلام اثني عشر: إن إسلام أولئك يستلزم إسلام بقية اليهود كما ذكر في حديث آخر، والله تعالى الموفق.

وروى أبو عمرو الداني في كتاب «البيان بعدد آي القرآن» من طريق أبي بكر بن عياش[2]، عن عاصم، عن زر، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت لرجل: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني ـ وفي رواية، فقرأ ـ خلاف ما أقرأني رسول الله ﷺ وقلت لآخر: أقرئني من الأحقاف ثلاثين آية، فأقرأني خلاف ما أقرأني الأول، فأتيت بهما إلى

---

(١) الآية: ١٠ من السورة.

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي، الحناط ـ بالحاء المهملة ونون بعدها ألف وآخره طاء مهملة، وفي بعض المراجع: الخياط، وهو خلاف المشهور ـ وقد اختلف في اسمه، والصحيح أن اسمه كنيته، كان من ثقات الرواة ديِّناً ورعاً، روى عن أبيه، وعن حميد الطويل، وغيرهما، وروى عنه أحمد وابن معين، وعبد الله ابن المبارك. توفي سنة ١٩٣.

راجع: تذكرة الحفاظ ١/٢٦٥، طبقات ابن سعد ٦/٢٦٩، طبقات القراء ١/٣٢٥ معرفة القراء ١/١١٠. الخلاصة ٤٤٥. طبقات الحفاظ ١١٣.

النبي ﷺ، فغضب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه جالس، فقال علي: قال لكم: اقرأوا كما علمتم[1].

وللطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن أحمد، بن لبيد البيروتي[2]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ **حتى إذا بلغ أشده** ﴾[3] قال: ثلاث وثلاثون سنةوهو الذي رفع عليه عيسى بن مريم (عليه السلام)[4].

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه صدقة بن يزيد، وثقة أبو زرعة، وأبو حاتم، وضعفه أحمد وجماعة[5]، وبقية رجاله ثقات[6].

---

(١) البيان: ورقة ٦.
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣) الآية: ١٥ من السورة.
(٤) ساقطة من د.
(٥) قال الذهبي في الميزان ٢/٣١٣: وقال ابن عدى: هو إلى الضعف أقرب، وقال ابن حبان: لا يجوز الإشتغال بحديثه ولا الإحتجاج به. وقال البخاري: منكر الحديث اهـ.
وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ٤/٢٩٥، الترجمة رقم ٢٨٨٢، والجرح والتعديل ٤/٤٣١ ترجمة رقم ١٨٩٣. والمغني في الضعفاء ١/٣٠٨ ترجمة رقم ٢٨٧٨.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٠٦.

سورة محمد ﷺ

وتسمى: القتال، والذين كفروا.

مدنية.

وقال النجم النسفي: مكية، ويقال: مدنية وهو الصحيح، انتهى[١].

ويقال: فيها آية مدنية نزلت على النبي ﷺ حين خرج إلى الغار في ابتداء الهجرة، وجعل ينظر إلى مكة[٢]، وهي: ﴿ **وكأين من قرية** ﴾[٣] الآية.

---

(١) وممن قطع بمدنيتها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/١٧٢. والبغوي في تفسيره على هامش الخازن ٦/١٤٤. وأبو حيان في البحر المحيط ٨/٦٨. وأبو عمرو والداني في البيان: ورقة ٦٩.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/١٧٥: قال ابن أبي حاتم: ذكر أبي عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حنش، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار وأتاه، فالتفت إلى مكة وقال: أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ اهـ.

(٣) الآية: ١٣.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها ثلاثون وثمان في الكوفي، وتسع في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البصرى. اختلافها آيتان:

﴿أوزارهـــا﴾ [1]، لم يعدَّها الكوفي، وعدها الباقون.

﴿ للشاربين ﴾[2]، عدها البصري، ولم يعدها الباقون.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد باجماع، تسعة مواضـع: ﴿ فضر الـــرقـاب ﴾[3]، ﴿ بعضكم ببعض ﴾ [3]، ﴿ تنصــروا الله ينصـركم ﴾ [4] ﴿ فتعسـا لهم ﴾[5] ﴿ الـذين من قبلهم ﴾[6]، ﴿ دمَّـر الله عليهم ﴾ [6]. ﴿ قال آنفاً ﴾ [7]، ﴿لأريناكهم﴾[8]، ﴿ بسيماهم ﴾ [8].

رويها حرفان: مل. اللام: ﴿ أقفالها ﴾ [9]، ﴿ أمثالها ﴾ [10]

وقيل: الميم كاف، أو هما مضمومتان[11].

مقصودها

ومقصودها: التقدم إلى المؤمنين في حفظ حظيرة الدين، بإدامة الجهاد

---

(١) الآية: ٤.

(٢) الآية: ١٥.

(٣) الآية: ٤.

(٤) الآية: ٧.

(٥) الآية: ٨.

(٦) الآية: ١٠.

(٧) الآية: ١٦.

(٨) الآية: ٣٠.

(٩) الآية: ٢٤.

(١٠) الآية: ١٠

(١١) هكذا عبارة الشيخ.

للكفار، حتى يلزموهم[1] الصغار، أو يبطلوا ضلالهم، كما أضل الله أعمالهم، لا سيما أهل الردة الذين فسقوا عن محيط الدين إلى أودية الضلال المبين، والتزام هذا الخلق الشريف، إلى أن تضع الحرب أوزارها، بإسلام أهل الأرض كلهم، بنزول عيسى عليه السلام.

وعلى ذلك دل اسمها «الذين كفروا» لأن من المعلوم: أن من صدك عن سبيلك قاتلته (وأنك)[2] إن لم تقاتله كنت مثله.

واسمها «محمد» واضح في ذلك، لأن الجهاد كان خلقه ﷺ، إلى أن توفاه الله تعالى، وهو نبي الملحمة، لأنه لا يكون حمد، وثم نوع ذم، كما تقدم تحقيقه في سورة فاطر وفي سبأ والفاتحة. ومتى كان كَفٌّ عن أعداء الله، كان ذم.

وأوضح أسمائها في هذا المقصد: «القتال»، فإن من المعلوم: أنه لأهل الضلال[3].

---

(١) في د: يلزمهم.

(٢) ساقطة من د.

(٣) سورة محمد ﷺ، سورة مدنية تناولت أحكام القتال والأسرى، والغنائم وأحوال المنافقين. والمحور التي تدور عليه السورة وتهدف إلى تأصيله، هو موضوع الجهاد في سبيل الله.
وقد بدأت السورة بدءاً عجيباً، بإعلان حرب سافرة على أعداء الله وأعداء رسوله من الكفار الذين حاربوا الإسلام ووقفوا في وجهه بكل سبيل: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾. ثم أمرت المؤمنين بقتال الكافرين، وحصدهم بالسيوف في ميادين الجهاد، لكي تطهر الأرض من رجسهم، ولكي لا تبقى لهم شوكة ولا قوة، ثم دعت إلى إذلالهم بالأسر ونحوه: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق. . .﴾.
ثم بينت للمؤمنين أن طريق العزة والمنعة، إنما يكون بالتمسك بكتاب الله، ونصرة دينه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.
وتحدثت بإسهاب عن المنافقين، وبيان صفاتهم، باعتبارهم خطراً داهماً على الإسلام والمسلمين فكشفت عن مخازيهم ومساوئهم، لكي يحذر المؤمنون خبثهم وكيدهم: =

فضائلها

وأما ما ورد فيها، ففي آية الساعة:

ما روى الترمذي، وأبو يعلى، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ما ينتظر أحدكم، إلا غِنىً مُطغياً، أو فقراً منسياً، أو هرماً مفنداً[(١)]، أو موتاً مجهزاً[(٢)]، أو الدجال، والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر[(٣)].

ومن فضائلها: ما خصت به من سبب الترقي في مصاعد الكمال،

= ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾. ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول...﴾

ثم ختمت السورة بدعوة المؤمنين إلى الجهاد في سبيل الله، وعدم الوهن والضعف أمام قوى الشر والبغي، وحذرت من الدعوة إلى الصلح مع الأعداء، حرصاً على الحياة والبقاء فإن الحياة الدنيا زائلة فانية، وما عند الله خير وأبقى:

﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ الآيات.

وهكذا ختمت السورة بما بدأت به، وهو الدعوة إلى الجهاد، والتحريض على القتال في سبيل الله، وبذلك يتناسق البدء مع الختام أيما التئام.

(١) قال في النهاية ٣/٤٧٤: الفند في الأصل: الكذب. وأفند: تكلم بالفند، ثم قالوا للشيخ اذا هرم: قد أفند. لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، اهـ.

(٢) قال في جامع الأصول ١١/١٤: موت مجهز: أي سريع عَجِلٌ.

(٣) صحيح الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٣/٣٧٨ حديث رقم ٢٤٠٨ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز ابن هارون، اهـ.

ومحرز ـ ويقال: محرّر براءين مهملتين بوزن محمد ـ هو ابن هارون بن عبد الله بن الهدير الشامي القرشي المدني. قال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال أبو حاتم: يروي ثلاثة أحاديث مناكير.

راجع: الجرح والتعديل ٨/٣٤٥، والميزان ٢/٤٤٣، والمغني في الضعفاء، ٢/٥٤٤. الخلاصة ٣٧٠.

بالأمر بالاستغفار، في قوله تعالى: ﴿ **واستغفر لذنبك** ﴾[1] زيادة في الشرف.

روى مسلم في الدعوات وأبو داود في الصلاة، والنسائي في اليوم والليلة، عن الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنه لَيُغانُّ[2] على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة[3].

يعني: أنه ﷺ إذا ارتقى من مقام كامل، إلى مقام أكمل منه، رأى أن الأول بالنسبة إلى الثاني ذاغَينْ فيستغفر منه، فيرتقي إلى أكمل منه، وهكذا، والله أعلم.

وروى البغوي بسنده عن هشام بن عروة، عن أبيه - قال ابن رجب والدارقطني في أفراده: بإسناد ضعيف - عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وهذا لفظ عروة قال: تلا رسول الله ﷺ: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[4] فقال شاب من اليمن: بل على قلوب أقفالها، حتى يكون الله يفتحها، أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولى فاستعان به[5].

وروى أبو نعيم عن ابراهيم بن الأشعث[6]، أن فضيل بن عياض قرأ

---

(١) الآية: ١٩ من السورة.

(٢) الغين - بالغين المعجمة والنون في وسطها ياء تحتية، أو الغيم، بالميم في آخره -: ما يتغشى القلب من الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان يديم، عليه ﷺ فإذا افتر عنه أو غفل، عد ذلك ذنباً واستغفر منه.

راجع: شرح مسلم للنووي ١٧/٢٣. وجامع الأصول ٤/٣٨٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه ١٧/٢٣.

وسنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في الإستغفار ٢/٨٤ حديث رقم ١٥١٥.

(٤) الآية: ٢٤ من السورة.

(٥) تفسير البغوي على هامش الخازن ٦/١٥٢.

(٦) هو خادم الفضيل، ضعيف في الرواية.

راجع ترجمته في الميزان ١/٢٠ ترجمة رقم ٤٤.

سورة محمد، فشرع يبكي ويردد هذه الآية: ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾[1]. وجعل يقول: إن بلوت أخبارنا (فضحتنا وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا)[2] أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي[3].

---

(١) الآية: ٣١ من السورة.

(٢) ما بين الحاصرين زيادة عن الحلية.

(٣) الحلية لأبي نعيم ٨/١١١.

سورة الفتح

مدنية كلها إجماعاً.

نزلت على النبي ﷺ وهو راجع من عمرة الحديبية.

عدد آياتها وما يشبه الفواصل فيها

وآيها تسع وعشرون، ثلاثون إلا واحدة، بلا خلاف.

وفيها مما يشبه الفواصل، ولم يعد[1] بإجماع، سبعة مواضع: ﴿ ﴿ بأس شديد ﴾[2]، ﴿ أو يسلمون ﴾[3]، ﴿ آية للمؤمنين ﴾[4]، ﴿ وعلى المؤمنين ﴾[5] ﴿ آمنين ﴾[6]، ﴿ ومقصرِّين ﴾[6]، ﴿ لا تخافون ﴾[6].

(١) في د: يعدها.
(٢) الآية: ١٦.
(٣) الآية: ١٦.
(٤) الآية: ٢٠.
(٥) الآية: ٢٦.
(٦) الآية: ٢٧.

ورويها سبعة أحرف: لمزن برد[1].

مقصودها

ومقصودها: اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما. وما تفرع عنه من.إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة، وفتوح جميع البلاد، الذي يجمعه[2] كله إظهار (هذا)[3] الدين على الدين كله.

وهذا كله في غاية الظهور، بما نطق به ابتداؤها وأثناؤها، في مواضع منها: ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾[4].

وانتهاؤها: ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾[5]، محمد رسول الله ـ إلى قوله: ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾[6]. أي بالفتح الأعظم، وما دونه من الفتوحات.

﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة** ﴾[7]. كما كان للرسول ﷺ.

---

(١) الباء: «وأثابهم فتحاً قريباً﴾ الآية: ١٨.
﴿من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ الآية: ٢٧.
الدال: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ الآية: ٢٨.
الزاي: ﴿نصراً عزيزاً﴾ الآية: ٣.
النون: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ الآية: ١.
وباقي حروف الروى مكرر في السورة بكثرة.

(٢) في د: يظهره.

(٣) زيادة عن د.

(٤) الآية: ٢٧.

(٥) الآية: ٢٨.

(٦) الآية: ٢٩.

(٧) الآية: ٢٩.

﴿ **وأجراً عظيماً** ﴾[1] كذلك بسائر الفتوحات، وما حوت من الغنائم، ثم الثواب الجزيل على ذلك في دار الجزاء.

ومن عجائب هذه السورة: أنها تسع وعشرون آية، وقد جمعت حروف المعجم وهي تسع وعشرون حرفاً، في آخر آية فيها، وهي: ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[2] إلى آخرها، إثر قوله تعالى: ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[3].

ولم تجتمع هذه الحروف في آية إلا في هذه، وفي آية في أواخر سورة التوحيد «آل عمران» إشارة إلى علو التوحيد على كل كفر، كما أشارت إليه الآية التي قبلها، وأشير في آية آل عمران إلى تمادي الوقت، كما ذكر في أصل هذا الكتاب.

وأشير في هذه إلى قربه.

وذلك أنه لما كانت هذه العمرة التي نزلت فيها هذه السورة، وهي عمرة الحديبية، قد حصل[4] لهم فيها كسر، لرجوعهم قبل وصولهم إلى قصدهم، ولم يكن ذلك بسبب خلل أتى من قِبَلِهم، كما كانت في غزوة أحد، بشرهم سبحانه فيما في هذه السورة، من البشائر الظاهرة تصريحاً وبما في هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحاً، إلى[5] أن أمرهم لا بد من تمامه وخفوق ألويته وأعلامه.

وافتتحها بميم محمد المضمومة، وختمها بميم «عظيما» المنصوبة، إشارة

---

(١) الآية: ٢٩.

(٢) الآية: ٢٨.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ الآية ١٥٤.

(٤) في د: يحصل.

(٥) في د: إلا.

بما للميم من الختام بمخرجها، إلى أن تمام الأمر قد دنا جداً إبانه، وحضر من غير شك زمانه.

وبما في أوله من الضم إلى رفعة دائمة في حمد كبير. وبما في آخر من النصب إلى تمام الفتح، وقربه على وجه عظيم.

فكان جمع الأحرف في آية واحدة على هذا الوجه، مشيراً إلى ما ذكر، وكان كونها تسعاً وعشرين، وكون عدد الآيات فيها مطابقاً لذلك، مشيراً إلى أن الفتوح من ذلك الحين، لا تزال في ازدياد إلى نهاية تسع وعشرين سنة، فيحصل هناك التمام، فيبدأ ـ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند نزول آية المائدة بكمال الدين ـ النقص (١).

ولقد كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى فتح بعد جميع بلاد العرب، بلاد فارس بكمالها وقتل ملكها يزد جرد، ومزق ملكها، فلم يقم بعده لهم ملك إلى اليوم، وفتح أكثر بلاد الروم والغرب وتواترت الفتوح، وارتفعت رايات الإسلام براً وبحراً، إلى أن ظهر الدين، كما قال تعالى: ﴿على الدين كله﴾، ثم قتل عند تمام ذلك أمير المؤمنين عثمان الشهيد رضي الله عنه، ختام سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وذلك لتسع وعشرين من نزول هذه

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره ٦/٥٢: عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت «اليوم أكملت لكم دينكم» وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك؟. قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال: صدقت.

وهارون بن عنترة، ضعفه ابن حبان وقال: منكر الحديث جداً. (الميزان ٤/٢٨٤). وفي السند سفيان بن وكيع بن الجراح. وهو متهم: الميزان ٢/١٧٣، والخلاصة ١٤٦. وعندي: أنه حديث ضعيف السند، ورده أولى، وإلا: فما معنى نقصان الدين؟.

وفي تفسير ابن كثير ٢/١٢ عن ابن عباس قال: قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ هو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين: أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً. ورواه ابن جرير ٦/٥١.

السورة سنة ست من الهجرة، فنقص بقتله رضي الله عنه كثيراً، وتفرقت الكلمة، وانحل ـ بعد ـ النظام، فقام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في جمع شمله، فكان كلما رتق رتقا، فتُقِ من ناحية أخرى فَتْقُ، واستمر الأمر متماسكاً، ألى أن مضت خلافة النبوة ثلاثون سنة، لنزول أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما عن الأمر للإصلاح بين الناس في ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين، ثم ظهر النقصان، وجاء الملك العضوض كما أخبر به الصادق، وحكم به الخلائق، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فضائلها

وأما فضائلها: فروى القعنبي[1]، وأبو مصعب[2]، في موطأيهما، والبخاري في الصحيح من رواية القعنبي عن مالك، عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال عمر رضي الله عنه ثكلتك أمك يا عمر، نزرت[3]رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب ـ بفتح القاف وإسكان العين المهملة وفتح النون ـ المدني نزيل البصرة، أحد الأئمة الأعلام، روى عن مالك وشعبة وحماد ابن سلمة، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة، وأمم سواهم، قال أبو حاتم: ثقة حجة، لم أر أخشع منه، ومات ـ رحمه الله ـ في المحرم سنة ٢٢١.
راجع: تذكرة الحفاظ ٣٨٣/١. طبقات الحفاظ ١٦٥. الخلاصة ١٨٢.

(٢) هو أبو مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، الزهري الفقيه، قاضي المدينة، روى عن مالك وابراهيم بن سعد، وروى عنه أصحاب الكتب الستة ما عدا النسائي، وكان من فقهاء أهل المدينة، ثقة في الرواية مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٤٢ عن اثنتين وتسعين سنة.
راجع: طبقات الحفاظ ٢٠٩ ترجمة رقم ٤٧١.

(٣) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٣٥٨/٢: نزرت فلاناً، إذا ألححت عليه في السؤال.

عمر رضي الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، فخشيت أن يكون نزل فيّ قرآن فما نشبت[1] أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فجئت رسول الله ﷺفسلمت، فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة، لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[2].

وروى الإمام أحمد في المسند عن مُجمِّع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن، قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها، إذ الناس ينفرون ـ وفي رواية: يوجفوز[3] ـ الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟. قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف، حتى وجدنا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم[4]، واجتمع الناس إليه، فقرأ عليهم: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: أي رسول الله أو فتح هو؟. قال: أي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح[5].

---

(١) قال في جامع الأصول ٢/٣٥٨: أي ما لبثت.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/٦٦، وكتاب التفسير، سورة الفتح باب إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٦/٤٣، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح ٦/١٠٤.

وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح ٥/٢٠.

وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن ١/٢٠٣.

(٣) وفي سنن أبي داود: يهزون.

قال الخطابي في معالم السنن ٤/٥٢: يهزون: أي يحركون رواحلهم، والهز: كالضغط على الشيء، وشدة الإعتماد عليه. والإيجاف: الركض والإسراع، اهـ.

(٤) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة من ناحية الحجاز.

لسان العرب ٥/٣٨٥٩. ط: دار المعارف.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣/٤٢٠.

وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً ٣/٧٦ حديث رقم ٢٧٣٦.

وللنسائي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية، فذكر أنهم نزلوا دهاساً من الأرض - يعني بالدهاس: الرمل - فذكر قصة نومهم عن الصبح، وصلاة النبي ﷺ حين استيقظوا، ثم قال: فركب، فسرنا وكان النبي ﷺ إذا أنزل الوحي، اشتد عليه وعرفنا ذلك منه، فتنحى منتبذاً خلفنا فجعل يغطي رأسه، فيشتد عليه، حتى عرفنا أنه قد أنزل عليه، فأتانا فأخبرنا أنه قد أنزل عليه: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»[1].

وروى محمد بن نصر المروزي[2] في كتاب «قيام الليل» عن هشام بن عروة عن أبيه، أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقة وضعت جرانها[3] فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه.

وقد مضى في سورة المائدة ما يشبهه.

وللشيخين - وهذا لفظ مسلم - وأحمد، والترمذي، والنسائي، عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت على النبي ﷺ «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» إلى آخر الآية مرجعه من الحديبية[4]، وأصحابه مُخَالطوا الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدى[5] بالحديبية، فقال: نزلت عليّ آية

---

(١) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٤٦٤.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، ولد سنة ٢٠٢ هجرية. قال الخطيب: كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم. وقال الحاكم: هو إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة اهـ. ومات - رحمه الله - في المحرم سنة ٢٩٤ بمدينة سمرقند.
راجع: تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٠. تاريخ بغداد ٣/٣١٥، شذرات الذهب ٢/٢١٦.

(٣) قال في النهاية ١/٢٦٣: الجران: باطن العنق.

(٤) الحديبية - بتخفيف الياء - قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت باسم بئر عند الشجرة التي بايع الناس رسول الله ﷺ عندها، بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

(٥) قال ابن الأثير في جامع الأصول ٢/٣٥٧: الهدى: ما يهديه الحاج أو المعتمر إلى البيت الحرام من النعم لينحره بالحرم.

هي أحب إليَّ من الدنيا، فلما تلاها رسول الله ﷺ، قال رجل من أصحابه: قد بين الله عز وَجَلَّ لك ما يفعل بك ـ وفي رواية: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، هذا لك ـ فماذا يفعل بنا؟. فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾(1).

وروى البيهقي في الدلائل، من طريق ابن إسحاق، عن المسور(2) ومروان في قصة الحديبية قالا: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً، فلما كان بين مكة والمدينة، نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»(3).

وروى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن اسحاق، عن أبي برزة(4) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ في الصبح: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»(5).

---

(1) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/٦١، وكتاب التفسير، سورة الفتح، باب إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ٦/٤٣.
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية ١٢/١٣٥.
وصحيح الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح ٥/٦١ حديث رقم ١٣١٦.
ومسند الإمام أحمد ٣/٢١٥، ٢٥٢.

(2) هو المسور ـ بضم الميم وفتح السين وتشديد الواو ـ بن مخرمة بن نوفل بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف روى عن النبي ﷺ، وعن خاله عبد الرحمن والخلفاء الأربعة. مات سنة أربع وستين.
راجع: تهذيب التهذيب ١٠/١٥١. والخلاصة ٣٧٧.

(3) سيرة ابن هشام ٣/٣٢٠ من حديث الزهري.

(4) في الأصل: أبي بردة. والتصويب عن مصنف عبد الرزاق.
وهو أبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي، صاحب النبي ﷺ، نزل البصرة بعد أن كان من ساكني المدينة، وحديثه في البخاري في كتاب الغزوات. مات سنة ٦٤ بخرسان، على خلاف في ذلك.
راجع: تهذيب التهذيب. ١/٤٤٦.

(5) مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب القراءة في صلاة الصبح ٢/١١٨ حديث رقم ٢٧٣٢.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
مقصودها	٤١٥
فضائلها	٤١٧
سورة الزمر	٤٢١
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٢٢
مقصودها	٤٢٣
فضائلها	٤٢٤
سورة غافر	٤٣٢
عدد آياتها ومايشبه الفاصلة فيها	٤٣٣
مقصودها	٤٣٥
فضائلها	٤٣٦
سورة حم السجدة	٤٤٢
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٤٢
مقصودها	٤٤٣
فضائلها	٤٤٥
سورة حم عسق	٤٤٩
عدد آياتها وفواصلها	٤٤٩
مقصودها	٤٥٠
فضائلها	٤٥٦
سورة الزخرف	٤٦٤
مقصودها	٤٦٥
فضائلها	٤٦٨
سورة الدخان	٤٧٠
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٧٠
مقصودها	٤٧١
فضائلها	٤٧٢
سورة الجاثية	٤٧٥
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٧٥
مقصودها	٤٧٦
فضائلها	٤٧٧
سورة الأحقاف	٤٧٩
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٨٠
مقصودها	٤٨٠
فضائلها	٤٨٢
سورة محمد ﷺ	٤٨٥
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٨٦
مقصودها	٤٨٦
فضائلها	٤٨٨
سورة الفتح	٤٩١
عدد آياتها وما يشبه الفاصلة فيها	٤٩١
مقصودها	٤٩٢
فضائلها	٤٩٥